



Wasit University
Repository

Wasit University Repository

repository.uowasit.edu.iq

الاحوال العامة للدولة العمارية في طرابلس (462-502هـ)

General conditions of the Amari state in Tripoli (462-502 AH)

العتابي, جبار فرج لازم

إشراف: الأستاذ الدكتور محمد حسين علي السويطي

جامعة واسط — 2026

<https://repository.uowasit.edu.iq/handle/123456789/228>

<https://doi.org/10.31185/uowasit-72>

حُمِّلَ هذا الملف من مستودع جامعة واسط

Downloaded from the Wasit University Repository — repository.uowasit.edu.iq



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة واسط

كلية التربية للعلوم الانسانية | قسم التاريخ

الاحوال العامة للدولة العمارية في طرابلس (462- 502هـ)

رسالة تقدم بها الطالب

جبار فرج لازم العتابي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة واسط، وهي جزء من
متطلبات نيل شهادة الماجستير في فلسفة التاريخ الإسلامي

إشراف

الأستاذ الدكتور

محمد حسين علي السويطي

2026م

1447هـ

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (الأحوال العامة للدولة العمارة في طرابلس ٤٦٢-٥٠٢ هـ) لطالب الماجستير (جبار فرج لازم) في قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة واسط، قد جرت تحت إشرافي بمراحلها كافة وأرسلتها للمناقشة.

التوقيع:

المشرف: أ.د. محمد حسين علي السويطي

التاريخ: ٢٠٢٦/٦/٧

توصية رئيس القسم

بناءً على التوصيات المقدمة من قبل المشرف والمقوم اللغوي أُرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع

أ.د. محمد حسين علي السويطي

رئيس قسم التاريخ

التاريخ: ٢٠٢٦/٦/٧

إقرار المقوم اللغوي

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (الأحوال العامة للدولة العمارة في طرابلس ٤٦٢-٥٠٢ هـ) لطالب الماجستير (جبار فرج لازم) في قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة واسط، قد تمت مراجعتها من الناحية اللغوية وتصحيح ما ورد فيها من أخطاء لغوية وتعبيرية ولذلك أصبحت الرسالة مؤهلة للمناقشة.

التوقيع:

الاسم: م.د. صابر بن خليف مطير

الدرجة العلمية: مدرس دكتور

العنوان: جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

التاريخ: ٢٠٢٦/٦/١٥

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة أننا أطلعنا على رسالة الطالب (جبار فرج لازم) الموسومة بـ (الأحوال العامة للدولة العمارية في طرابلس ٤٦٢-٥٠٢هـ)، وتمت مناقشته بمحتوياتها وكل ما تعلق بها، في يوم الأربعاء المصادف ٢٠٢٦/٨/٢٦، ووجدنا أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في تخصص التاريخ الإسلامي بتقدير (جيد جداً عالٍ).

التوقيع

أ.د. احمد محمد جودي

عضواً

٢٠٢٦/٨/٣

التوقيع

أ.د. محمد حسين علي السويطي

عضواً ومشرفاً

٢٠٢٦/٨/٣١

التوقيع

أ.د. ثامر نعمان مصطفى

رئيساً

٢٠٢٦/٨/٣١

التوقيع

أ.د. سوسن فاضل كاظم

عضواً

٢٠٢٦/٨/٣١

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة واسط على قرار لجنة المناقشة

التوقيع

أ.د. محمود حمود عزالدين حميد

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة واسط

التاريخ: ٢٠٢٦/٩/١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ

أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

[المجادلة: 11]

صدق الله العلي العظيم

الإهداء

كهأهدي هذا الجهد المتواضع.. إلى من أنقذ الأمة إلى من كان قاب قوسين أو أدنى إلى من أسمه في العرش محفوظ وفي الأرض مذكور إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وآله) وأضعه خاشعاً بين يديه... وأسجد شكراً لله عز وجل

كهإلى.... من كان عينيّ اللتين أبصر بهما ويديّ اللتين أقوى بهما والدي رحمه الله.

كه إلى من وهبني الحب والحنان إلى خيمة الدفاء والأمان والدتي رحمها الله.

كهإلى.... حبيبة قلبي الأولى... زوجتي العزيزة شكرا وعرفانا

كهإلى.... نور عيناى بناتي العزيزات (نور- زهراء)

كهإلى من وهبني العطاء استاذي الدكتور محمد السويطي.

كهإلى.... من وضعوني على الطريق الصحيح في العلم أساتذتي.

كهإلى كل من كان له مكانة في قلبي إلى الجميع أهدي ما وفقني إليه ربي ...

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله الصادق الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن اتبع هداهم إلى يوم الدين.

وبعد: شكراً لله تعالى على توفيقه لي على اتمام هذه الرسالة، وأسجل شكري وامتناني إلى الأستاذ الدكتور محمد حسين علي السويطي المشرف على الرسالة الذي منحني الكثير من وقته، وكان لرحابة صدره وسمو خلقه وأسلوبه المتميز في متابعة الرسالة الأثر الأول بعد الله سبحانه وتعالى لتكون بصورتها الحالية داعياً له من الله تعالى التوفيق ودوام الصحة والعمر المديد خدمة للعلم والمعرفة وأن يكتب صنيعة هذا في ميزان حسناته.

ويدعوني الواجب أن أشكر أساتذتي الأفاضل في قسم التاريخ كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة واسط وأخص بالذكر منهم، أ. د. فاضل جابر ضاحي، وأ. د. رياض عبد الحسين راضي وأ. د. إسراء مهدي مزبان، وأ. د. عقيل عبد الله العابدي، وأ. د. حيدر مزهر عسكر، وأ. د. أحمد محمد جودي، وأ. م. د. شمخي يابر عويد، و أ. م. د. شيماء بدر عبد الله، وأ. م. د. سوسن فاضل كاظم، والشكر موصول لمؤسسة جداول المعرفة في النجف الاشرف المتمثلة بالسيد حيدر الحكيم وكافة العاملين فيها فلهم منّي جميعاً كل المودة والتقدير والاحترام.

شكري وتقديري إلى زملاء الدراسة لروح المحبة والتعاون التي شاعت بيننا ولكل من ساعدني في إنجاز رسالتي، ولكل من ساعدني في إنجاز الرسالة ولو بكلمة طيبة. سائلاً
الباري عزّ وجلّ أن يوفق كلّ إنسان يقدم العون والمساعدة.

وبالختام أتقدّم بالشكر الجزيل إلى عائلتي الكريمة التي ساندتني ووفّرت لي الدعم المعنوي طوال مدة الدراسة، فكان لصبرهم وتشجيعهم بالغ الأثر في إتمام هذا العمل. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الباحث

المحتويات

رقم الصفحة	المحتويات
أ	عنوان الرسالة
ب	الآية القرآنية
ج	الإهداء
ت	الشكر والعرفان
هـ - ط	المحتويات
10 - 1	المقدمة
25 - 11	التمهيد- نشأة مدينة طرابلس وجغرافيتها
13 - 11	أولاً - التسمية:
17 - 13	ثانياً - النشأة:
17	ثالثاً - البيئة والمناخ:
24 - 17	رابعاً - مشاهير جبالها ومواقعها وحصونها:
25 - 24	خامساً - التقسيمات الادارية:
55 - 26	الفصل الأول- التعريف ببني عمار وأحوالهم العامة قبل اعلان الدولة العمارية
42 - 26	المبحث الأول - التعريف ببني عمار ودورهم في الدولة الفاطمية قبل اعلان الدولة العمارية
29 - 26	أولاً- التعريف ببني عمار:
42 - 29	ثانياً- دورهم في الدولة الفاطمية قبل اعلان الدولة العمارية:
33 - 29	1- دورهم في ولاية العهد:
39 - 34	2- قيادة الجيش الفاطمي:
39 - 39	3- الوزارة:
40 - 39	4- رئاسة ديوان الإنشاء:
42 - 40	5- القضاء:
55 - 43	المبحث الثاني - التشيع عند بنو عمار:
50 - 43	أولاً- مفهوم التشيع وجذوره:
54 - 50	ثانياً- التشيع في طرابلس وبلاد الشام:

55 - 54	ثالثاً- تشيع بنو عمار:
94 -56	الفصل الثاني- نشأة الدولة العمارية والعوامل المساعدة على قيامها والتعريف بحكامها ونظامها السياسي والاداري
67 -56	المبحث الأول - حكومات طرابلس ال سابقة والتعريف بولاياتها في العصر الفاطمي:
63 - 56	أولاً- حكومات طرابلس السابقة:
67 - 63	ثانياً- التعريف بولاية طرابلس في العصر الفاطمي:
78 -68	المبحث الثاني- نشأة الدولة العمارية في طرابلس والتعريف بحكامها (462- 502هـ):
72 -68	أولاً- نشأة الدولة العمارية:
87 -72	ثانياً- حكام الدولة العمارية في طرابلس (462- 502هـ):
94 -88	المبحث الثالث - النظام السياسي والاداري للدولة العمارية في طرابلس (462- 502هـ):
92 -88	أولاً- النظام السياسي:
94 -92	ثانياً- النظام الإداري:
148 -95	الفصل الثالث- الأحوال العلمية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والعمرانية للدولة العمارية في طرابلس (462- 502هـ):
125 -95	المبحث الأول- الأحوال العلمية للدولة العمارية في طرابلس (462- 502هـ):
103 -95	أولاً- المؤسسات التعليمية:
96 -95	1- المساجد:
101 -96	2- دار العلم:
102 -101	3- الأسواق:
103 -102	4- القصور:
110 -103	ثانياً- التعريف بمشاهير علماء الدولة العمارية في طرابلس:
108 -103	1- ابن البراج (ت481هـ):
109 -108	2- اسعد بن أحمد بن أبي روح الطرابلسي (ت504هـ):
109	3- أبو عبد الله أحمد بن محمد الطليطلي (ت512هـ):
110 -109	4- الحسين بن بشر بن علي بن بشر الطرابلسي (ت5هـ):
125 -110	ثالثاً- علوم الدولة العمارية في طرابلس:

115 -110	1- العلوم الدينية:
122 -116	2- علوم اللغة العربية:
123	3- علم التاريخ:
125 -124	4- العلوم العقلية:
139 -126	المبحث الثاني - الأحوال الاجتماعية والدينية للدولة العمارية في طرابلس (462 - 502هـ):
127 -126	أولاً- طبقات المجتمع الطرابلسي:
131 -127	ثانياً- عناصر المجتمع الطرابلسي:
133 -132	ثالثاً- الملابس:
139 -134	رابعاً- الاحتفالات الدينية:
137 -134	1- الاحتفالات بالمناسبات الدينية العامة:
139 -137	2- الاحتفالات بالمناسبات الدينية الخاصة:
148 -140	المبحث الثالث - الأحوال الاقتصادية والعمرانية للدولة العمارية في طرابلس (462 - 502هـ):
146 -140	أولاً- الأحوال الاقتصادية:
148 -146	ثانياً- الأحوال العمرانية:
190 -149	الفصل الرابع- عوامل سقوط الدولة العمارية في طرابلس (462 - 502هـ):
180 -149	المبحث الأول - الحروب البيزنطية والصليبية:
154 -149	أولاً- الحروب البيزنطية:
179 -154	ثانياً- الحروب الصليبية:
164 -156	1- الحملة الصليبية الأولى على طرابلس (492هـ):
167 -164	2- الحملة الصليبية الثانية على طرابلس (495هـ):
179 -167	3- الحملة الصليبية على طرابلس وبداية الحصار الاقتصادي (495 - 497هـ):
180 -179	ثالثاً- تحالف القوى الخارجية:
190 -181	المبحث الثاني - ضعف دعم الدول الإسلامية وانقلاب أبو المناقب:
184 -181	أولاً- ضعف دعم الدولة العباسية والقوى الإسلامية التابعة لها:
185 -184	ثانياً- ضعف دعم الدولة الفاطمية والقوى الإسلامية التابعة لها:
190 -185	ثالثاً- انقلاب ابن عمه أبو المناقب واسدال الستار على دولة بنو عمار:
193 -191	الخاتمة

197 -194	الملاحق
271 -198	قائمة المصادر والمراجع
208 –198	أولاً – المصادر:
271 –208	ثانياً – المراجع:
A- D	ملخص اللغة الإنجليزية

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا أبي القاسم محمد (ﷺ)، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

حظيت الدراسات المتعلقة بالأسر العربية المسلمة باهتمامٍ واسع في ميدان الدراسات التاريخية عامةً، وفي تاريخ الحضارة الإسلامية خاصةً، لما كان لها من أثرٍ واضح في رسم معالم التاريخ الإسلامي وصياغة أحداثه السياسية والحضارية، وكانت أسرة بني عمار من الأسر التي لها حضورٌ بارز في بلاد الشام خلال القرن الخامس للهجرة، إذ استطاعت أن تؤدي دورًا سياسيًا وعسكريًا وثقافيًا مهمًا، انعكس بصورة واضحة على مدينة طرابلس وما جاورها.

ومن هنا جاء اختيار موضوع هذه الرسالة (الأحوال العامة للدولة العمارية في طرابلس 462-502هـ)، لما يمثله هذا المشروع البحثي من أهمية تاريخية تسلط الضوء على مرحلة مفصلية شهدتها بلاد الشام، اتسمت بتغيرات سياسية واسعة وصراعات إقليمية متلاحقة، إلى جانب نشاط حضاري واقتصادي ملحوظ.

شهدت تلك الحقبة ضعفًا تدريجيًا في سلطة الخلافة المركزية، سواء العباسية أو الفاطمية، الأمر الذي أفسح المجال لظهور إمارات محلية مستقلة، كان من أبرزها إمارة بني عمار في طرابلس، وقبل قيام الدولة العمارية كانت هذه المدينة خاضعة لنفوذ الدولة الفاطمية التي بسطت سيطرتها على أجزاء واسعة من بلاد الشام، إلا أن تراجع نفوذها الإداري واشتداد النزاعات الداخلية مهّد الطريق أمام بروز بني عمار بوصفهم قوة محلية استطاعت، بفضل حنكتها السياسية وكفاءتها الإدارية، تأسيس كيان يتمتع بقدر كبير من الاستقلال.

واستفاد حكام بني عمار من الموقع الجغرافي المتميز لمدينة طرابلس على الساحل الشرقي لبحر الروم، فعملوا على تحويلها إلى مركز اقتصادي وحضاري مزدهر، كما وانتهجوا سياسة قائمة على الموازنة بين القوى الكبرى آنذاك، ولاسيما الفاطميين والسلاجقة، الأمر الذي أسهم في تأسيس دولتهم والمحافظة على استقرارها النسبي وتجنب الصدمات المباشرة مع تلك القوى، مما انعكس إيجابًا على مختلف نواحي الحياة في مدينة طرابلس، إذ شهدت ازدهارًا اقتصاديًا ملحوظًا، وغدت مركزاً تجارياً مهماً في شرق بحر الروم، ونشطت

فيها الحركة البحرية والتجارية مع الأقاليم المجاورة، فضلاً عن ازدهار الصناعات المحلية، وفي مقدمتها صناعة الورق التي أسهمت في تنشيط الحركة العلمية والثقافية فيها.

وشهدت طرابلس على الصعيد العمراني والثقافي نهضة واضحة، تمثلت في إنشاء العديد من المؤسسات العلمية والثقافية، من أبرزها (دار العلم)، التي عُدَّت من أهم المراكز العلمية في ذلك العصر، لما ضمَّته من مكتبة كبيرة وما هيَّأته من بيئة ملائمة للعلماء والباحثين، مما عكس اهتمام الدولة العمارية بالعلم والمعرفة بوصفهما ركيزة من ركائز القوة الحضارية، وعلى المستوى الاجتماعي، تميزت المدينة بتنوعها الديني والمذهبي والعرقي، الأمر الذي أكسبها طابعاً حضارياً مميزاً، وساعد على إيجاد حالة من التعايش النسبي بين مكوناتها المختلفة في ظل الاستقرار الذي وفّره الدولة.

إلا أنَّ الدولة العمارية واجهت فيما بعد تحديات عسكرية متزايدة، ولاسيما مع اقتراب الحملات الصليبية من سواحل بلاد الشام في أواخر القرن الخامس للهجرة، إذ سعى حكامها إلى تحصين مدينتهم وتعزيز أسطولها البحري لمواجهة الأخطار المتصاعدة، غير أن محدودية الموارد وضعف الدعم القادم من القوى الإسلامية الأخرى حالاً دون قدرتهم على الصمود طويلاً، ومع اشتداد الضغط الصليبي، اضطرت طرابلس إلى الاستسلام في سنة (502هـ)، لتنتهي بذلك الدولة العمارية وتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ المدينة تحت الحكم الصليبي.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في أنَّ استلهام العبرة من التاريخ يُعدُّ أحد المحاور الأساسية في الطرح القرآني؛ إذ تناول القرآن الكريم القضايا الكبرى التي تمسّ حياة الإنسان، بدءاً من خلق البشرية وانتهاءً بما بعد الحياة الدنيا، مقدِّماً للأمم رؤيةً حضاريةً تستشرف المستقبل، وتحدّد إطاراً لفهم حركة الأحداث والتاريخ من خلال منهج القصص القرآني، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾⁽¹⁾، وهو ما يدلّ على أنَّ عرض الوقائع التاريخية في القرآن لم يكن سرداً مجرداً، بل جاء محملاً بالدلالات والعبر التي تدعو إلى التأمل والتفكير، كما أكّد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾⁽²⁾، بما يعكس البعد التحليلي للتاريخ القائم على تتبّع الأحداث، والكشف عن أسبابها، واستنباط نتائجها ودلالاتها.

(1) سورة يوسف: الآية 3 .

(2) سورة الانعام: الآية 11 .

وانطلاقاً من هذا المنهج القرآني، تبرز ضرورة إعادة قراءة التاريخ قراءة واعية تقوم على التحليل والنقد، من خلال طرح التساؤلات والإجابة عن الإشكالات التي أحاطت بكثير من مراحل التاريخ الإسلامي، سعياً إلى فهم الهويات التي تلاشت أو شُوِّهت بفعل عوامل سياسية وفكرية متعددة، وليس الهدف من إعادة النظر في التراث التاريخي إثارة النزاعات أو تأجيج الانقسامات، إنما السعي إلى مصالحة الأمة مع ذاتها واستعادة وعيها بهويتها الحضارية الأصيلة، تلك الهوية التي تعرّضت عبر العصور إلى قدر كبير من التشويه والتحريف نتيجة تدخل عوامل عديدة، الأمر الذي أفضى إلى تكوين صورة تاريخية مضطربة امتزجت فيها الحقائق بالروايات المتناقضة والأساطير، ومن هنا برزت الحاجة إلى تقديم قراءة علمية رصينة للتاريخ، تستند إلى التحقيق والتحليل، بغية إعادة الأحداث إلى سياقاتها الصحيحة، وإبراز حقيقتها بعيداً عن التزييف أو الإغفال.

من خلال دراسة أحوال الدولة العمارية في طرابلس خلال المدة الممتدة بين (462-502هـ)، ودراسة بنيتها السياسية والإدارية، واستعراض تطوراتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية، بغية الكشف عن العوامل التي أسهمت في نشأتها وتمكّنها من تحقيق مستويات متفاوتة من الاستقرار والازدهار، كما تسعى الدراسة إلى تفسير الآليات التي مكّنت هذه الدولة من المحافظة على وجودها ضمن بيئة إقليمية مضطربة اتسمت بتفكك السلطة المركزية وتعدد مراكز النفوذ والقوى المتنافسة.

وتناولت الرسالة كذلك طبيعة التوازنات السياسية التي اعتمدتها الدولة العمارية في تعاملها مع القوى الإقليمية الكبرى، فضلاً عن تحليل أثر الموقع الاستراتيجي لمدينة طرابلس في تنشيط الحركة التجارية والثقافية وتعزيز مكانتها الإقليمية، كما عُنيت ببحث تأثير التهديدات الخارجية، ولاسيما الحملات الصليبية، في إضعاف قدراتها الدفاعية وتقويض استقرارها السياسي، مع التركيز على التفاعل المعقّد بين العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في نهاية المطاف في تراجع الدولة وسقوطها، ومن ثمّ، سعت إلى إبراز الدولة العمارية بوصفها نموذجاً للإمارات المحلية التي ظهرت في العصر الإسلامي الوسيط، من خلال بيان فرص الازدهار التي أُتيحت لها، والتحديات السياسية والعسكرية التي جعلتها عرضةً للانحيار والسقوط.

وعزز ما تقدم في اختيارنا لهذا الموضوع، قناعتنا الراسخة بأنّ التاريخ الشيعي قد تعرّض عبر مراحل متعددة من التاريخ إلى قدرٍ من الإهمال والتهميش في كثير من الدراسات التاريخية، وليس ذلك بدافع التعصّب أو الانحياز، إنما انطلاقاً من الحرص على إظهار الحقيقة التاريخية وإبراز الجوانب التي لم تنل حظّها الكافي من البحث والدراسة، لذلك حاولنا تسليط

الضوء على تجربة إحدى الدول الشيعية التي سعت إلى بناء الإنسان والعقل، وتسخير إمكاناتها السياسية والاقتصادية والثقافية للنهوض بالمجتمع، والإسهام في تحقيق حالة من التقدم والازدهار ضمن محيطها الحضاري والسياسي.

أما فيما تعلق بإشكالية البحث، فإن تناولها يقتضي بدايةً الوقوف على ماهية دولة بني عمار، وتحليل طبيعة تكوينها السياسي والاجتماعي، والكشف عن الأصول التاريخية التي انبثقت منها، فضلاً عن بيان الظروف والدوافع التي أسهمت في ظهورها ضمن البيئة السياسية المضطربة التي شهدتها بلاد الشام في العصر الإسلامي الوسيط، ودراسة الدور الذي أدته هذه الدولة في إرساء دعائم نهضة عمرانية وثقافية وعلمية كان لها أثرٌ واضح في تاريخ مدينة طرابلس، إذ خلّفت إرثاً حضارياً عكس ما بلغته المدينة آنذاك من ازدهار ورفي فكري وثقافي.

لذلك برزت جملة من التساؤلات المحورية التي تسعى الرسالة إلى الإجابة عنها، من أبرزها: هل استطاع بنو عمار تأسيس دولة متكاملة الأركان مثّلت نموذجاً حضارياً قادراً على تلبية تطلعات المجتمع؟ وكيف أسهموا في بناء مؤسساتها وترسيخ مقوماتها السياسية والاقتصادية والثقافية؟ وما أبرز الآثار الحضارية والعلمية التي تركتها دولتهم؟ وما العوامل التي ساعدت على تحقيق حالة من الاستقرار والازدهار؟ ثم ما الأسباب التي أدت لاحقاً إلى تراجع هذه الدولة وسقوطها؟

وتنبع أهمية هذه الإشكالية من الحاجة إلى فهم طبيعة الأوضاع العامة للدولة العمارية في طرابلس خلال المدة الممتدة بين (462-502هـ)، بوصفها واحدة من الإمارات المحلية التي نشأت في ظلّ حالة التفكك السياسي وضعف السلطة المركزية في بلاد الشام، فعلى الرغم مما شهدته هذه الدولة من ازدهار اقتصادي وثقافي واستقرار نسبي، فإنها لم تحظَ بدراسات تحليلية كافية تُعنى بالكشف عن بنيتها الداخلية، وآليات إدارتها، وطبيعة علاقتها بالقوى الإقليمية المحيطة بها.

وعليه، تمحورت إشكالية الرسالة حول محاولة تفسير التفاعل بين العوامل الداخلية والخارجية التي أثّرت في مسار الدولة العمارية؛ إذ سعت إلى تحليل دور التنظيم السياسي والإداري والاقتصادي والاجتماعي في تعزيز قوة الدولة وترسيخ استقرارها، مقابل دراسة أثر التحديات الخارجية، ولاسيما الضغوط العسكرية والسياسية الناتجة عن الحملات الصليبية والصراعات الإقليمية، التي أسهمت في إضعافها وانتهت بسقوطها، ومن ثمّ، تحديد مشكلة

الدراسة في الإجابة عن التساؤل الرئيس الآتي: إلى أي مدى نجحت الدولة العمارية في تحقيق الاستقرار والازدهار في ظل بيئة سياسية مضطربة؟ وما الأسباب التي حالت دون استمرارها على الرغم من إنجازاتها الداخلية؟

ولتحقيق أهداف هذه الرسالة، اعتمدنا على المنهج التحليلي بوصفه المنهج الأنسب لدراسة الدولة العمارية، إذ يقوم على تتبع نشأتها وتطورها ضمن سياقها الزمني، وتحليل الأحداث السياسية والإدارية والعسكرية التي مرّت بها، مع ربطها بالظروف السياسية والمذهبية المحيطة بهذه الأسرة، وبيان أهم العوامل التي أسهمت في تكوين الدولة العمارية وتشكلها.

كما سعت إلى تحليل أثر هذه الدولة في محيطها الإقليمي، بما يفضي إلى فهمٍ علميٍّ دقيق لطبيعتها ودورها التاريخي؛ وإلى جانب ذلك، تمّ توظيف المنهج الوصفي في عرض الوقائع والأحداث بأسلوبٍ منظم ومتسلسل، فضلاً عن الاستفادة من المنهج المقارن عند الحاجة؛ للمقارنة بين الروايات التاريخية المختلفة، أو لبيان أوجه التشابه والاختلاف بين المراحل المتعددة من تاريخ الدولة العمارية وإيضاحاً كان للمنهج النقدي دور في نقد بعض الروايات التاريخية التي ذكرت في ثنايا الرسالة.

وكان لزاماً علينا أن نقف عند الدراسات السابقة التي تناولت الأحوال العامة للدولة العمارية في طرابلس خلال الفترة (462-502هـ)، وأبرزها: (المسلمون الشيعة في طرابلس حقبة بني عمار أنموذجاً) للباحث علاء احمد حاج عمر، وهي رسالة أكاديمية قُدمت لإحدى الجامعات الإسلامية في لبنان، أستعرض فيها تاريخ تأسيس مدينة طرابلس ونشأة بني عمار وانتقالهم من المغرب إلى مصر، كما تناولت الجوانب العلمية والثقافية التي ازدهرت في عهدهم بصورة ضيقة النطاق وغير وافية، ولم يتطرق الباحث فيها إلى أحوالهم السياسية والمناصب الإدارية قبيل وبعد إعلان الدولة، ولم يذكر حُكامهم بصورة وافية وواضحة، و(إمارة بني عمار في طرابلس 462-502هـ: دراسة في الأوضاع الاقتصادية والعمرانية وسقوطها)، للباحثة سري عمران نوح، وهو بحث منشور في جامعة كربلاء، خُصّص لدراسة النشاط الاقتصادي في المدينة وبيان أثر موقعها الجغرافي في ازدهارها العمراني والاقتصادي، غير أنه لم يتناول نشأة الإمارة وحكامها، وأغفل الجوانب العلمية والاجتماعية المتعلقة بها.

وعلى الرغم من الأهمية العلمية الكبيرة لهاتين الدراستين، لكنهما محدودتين نسبياً، إذ لم تحظْ هذه الدولة - دولة بنو عمار - بدراسة مستقلة وشاملة، إنما وردت الإشارة إليها عرضاً ضمن تاريخ بلاد الشام، أو في سياق الحديث عن الحروب الصليبية.

وقد واجهتنا في اعداد هذه الرسالة جملة معوقات، أبرزها ندرة المعلومات التي أوردتها المصادر التاريخية عن أسرة بنو عمار، ولاسيما ما اتصل بدورها الحضاري، إذ جاءت تلك المعلومات قليلةً ومتناثرةً ومتفرقةً في بطون المصادر والمراجع، لم تستمر إمارة بني عمار سوى نحو أربعين سنة، من 462 إلى 502هـ، وهي مدة قصيرة نسبياً قياساً بالدول التي خلفت تراثاً تاريخياً ضخماً؛ لذلك لم تتوفر فرصة كافية لظهور مؤلفات تاريخية مستقلة تسجل تفاصيل الحياة السياسية والاجتماعية والحضارية للدولة .

عدم وجود مؤرخ عماري معاصر دَوّن تاريخ الدولة بصورة مستقلة من أبرز أسباب التشتت أن الأخبار لم تصلنا من خلال تاريخ عماري رسمي أو حوليات محلية متكاملة، وإنما جاءت غالباً ضمن مؤلفات مؤرخين من خارج طرابلس، مثل ابن القلانسي وابن الأثير وابن العديم وغيرهم؛ ولذلك نجد الخبر الحضاري موزعاً بين كتب التاريخ والتراجم والجغرافيا والأدب. يضاف إلى ذلك اضطراب أسماء أفراد هذه الأسرة واختلافها في الروايات التاريخية، الأمر الذي استلزم منا تقديم جهداً كبيراً وعملاً مضنياً لنتبّع تسلسل أسمائهم وضبطها في ضوء التباين الواضح بين المصادر التي تناولتهم.

ووفقاً للمتطلبات البحثية والموضوعية، تم تقسيم الرسالة على أربعة فصول، سبقتها مقدمة بينا فيها فكرة الموضوع وفرضيته ومسوغات اختياره وأهم الدراسات السابقة التي تعرضت له والمصادر التي تم الاعتماد عليها، وتمهيد عرضنا فيه أصل تسمية طرابلس ونشأتها وبيئتها ومناخها ومشاهير جبالها ومواقعها وحصونها وأهم أنهارها وجزرها، ولحقها خاتمة وثقنا فيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها مع ذكر لبعض التوصيات العلمية ذات الصلة.

جاء الفصل الأول بعنوان (التعريف ببني عمار وأحوالهم العامة قبل اعلان الدولة العمارية)، وضم مبحثين، عرفنا بالمبحث الأول ببني عمار وبيننا دورهم في الدولة الفاطمية قبل اعلان الدولة العمارية، وأصلهم وأبرز شخصياتهم قبل اعلانهم للدولة، وتطرقنا في المبحث الثاني الى التشيع عند بني عمار.

وجاء الفصل الثاني بعنوان (نشأة الدولة العمارية والعوامل المساعدة على قيامها والتعريف بحكامها ونظامها السياسي والاداري)، وتكون من مبحثين، ضم المبحث الأول حكومات طرابلس السابقة والتعريف بولاتها في العصر الفاطمي وضحنا فيه هذه الحكومات منذ الفتح الاسلامي الى الاستقلال عن الدولة الفاطمية، وعرضنا في المبحث الثاني نشأة الدولة العمارية في طرابلس وعرفنا بحكامها.

وعنون الفصل الثالث بـ(الأحوال العلمية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والعمرائية للدولة العمارية في طرابلس 462-502هـ)، وبين المبحث الأول منه الأحوال العلمية للدولة العمارية في طرابلس، وكشف المبحث الثاني عن الأحوال الاجتماعية والدينية للدولة العمارية في طرابلس، ودرس المبحث الثالث الأحوال الاقتصادية والعمرائية للدولة العمارية في طرابلس.

وخصص الفصل الرابع لدراسة (عوامل سقوط الدولة العمارية في طرابلس 462-502هـ) وضم مبحثين، درسنا في المبحث الأول العوامل الخارجية لسقوط وانهايار الدولة العمارية في طرابلس، المتمثلة بالحروب البيزنطية والصليبية وشخصنا في المبحث الثاني العوامل الداخلية للانهايار وسقوط الدولة العمارية في طرابلس منها ضعف دعم الدول الاسلامية وانقلاب ابي المناقب.

وقد تنوعت المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في انجاز هذه الرسالة، بما يتناسب مع طبيعة موضوعها واتساع مجالاته، فقد استندت إلى عدد كبير من المصادر العربية الأصيلة، شملت كُتب التاريخ العام، والتراجم، والجغرافية والرحلات، واللغة والأدب، فضلاً عن المؤلفات الموسوعية، وقد اكتسبت هذه المصادر أهميتها لكون كثير منها معاصراً للأحداث أو قريباً من الحقبة التاريخية موضوع الدراسة، كما استفدنا من المراجع العربية الحديثة، وبعض المؤلفات الأجنبية المترجمة، إلى جانب البحوث الأكاديمية والدوريات العلمية المحكمة، التي أسهمت في إثراء الدراسة بالمعلومات والتحليلات المهمة، وسنعرض أبرز هذه المصادر والمراجع بحسب أهميتها وصلتها بموضوع الرسالة، وبحسب الاتي:

أولاً- كُتُب التاريخ العام:

هي كُتُب حوت مادة تاريخية عن أحداث مختلفة، شملت جوانب سياسية وعسكرية وإدارية واجتماعية وعلمية وغرائب الأحداث، وتضمنت مجموعة كبيرة من الوثائق مثل: الرسائل والعهود، وعلى الرغم من تركيز هذه المصادر على تسجيل الجانب السياسي من الأحداث بصورة خاصة، والاهتمام بأخبار الملوك وعلاقاتهم، إلا أنها لم تغفل إيراد إشارات عن الجوانب الاقتصادية والمالية⁽¹⁾، وشكلت العمود الفقري للرسالة، واستفدنا من معلوماتها في فصول الرسالة كلها.

وكان في طليعة تلك الكتب، كتاب (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) لابن الجوزي (ت597هـ)، الذي دون الأحداث على السنين، وأفادنا بمعلومات غنية عن تراجم علماء طرابلس بمختلف جوانب الحياة، وكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير (ت630هـ)، وهو من المصادر الأساسية الذي أفادنا بالمعلومات التاريخية عن طرابلس وحياتها السياسية من خلال ذكره عدداً من الحكام والولاة الذين تعاقبوا على المدينة منذ الفتح الإسلامي حتى سقوطها على أيدي الصليبيين، فقد أمدنا بمعلومات عن علاقة طرابلس بالإمارات العربية في بلاد الشام وغيرها، وأنه تفرد في بعض الروايات التاريخية؛ لاعتماده على روايات شفوية سمعها عن أبيه، وكتاب (المختصر في أخبار البشر) لأبي الفداء (ت732هـ) الذي قدم معلومات عن الأمراء بلاد الشام وطرابلس، والأحداث التي شهدتها أماراتهم في طرابلس، فضلاً عن كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) لابن خلدون (ت808هـ)، الذي مثل مرحلة متقدمة في الكتابة التاريخية، إذ لم يكتفِ بالسرد، بل قدّم إطاراً تحليلياً لفهم نشوء الدول وسقوطها.

ثانياً- كتب التراجم العامة:

يُعد هذا القسم من مصادر التاريخ الإسلامية ذا أهمية بالغة للباحثين، لتقديمها سيرة قد تطول وقد تقصر أو تكون بين هذا وذاك، للشخص المترجم له، فضلاً عن تميز العديد منها بالثقة والدقة والغنى بالمعلومات المختلفة، وهي على أنواع، منها: كتب الطبقات، وكتب

(1) ضاحي، محاضرات في منهج البحث، ص30.

الوفيات، والتراجم العامة، وغيرها⁽¹⁾، وقد أفادتنا هذه الكتب بأنواعها المختلفة في تقديم معلومات نافعة عن علماء الأسر العلمية في حلب ومدن الشام ومنها طرابلس.

ومن أهم تلك الكتب التي انتفعنا منها، كتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلكان (ت681هـ)، وهو من كُتب التراجم المرتبة بحسب الحروف الهجائية، أفادنا في جميع فصول الرسالة، لما تضمنه من معلومات قيمة عن علماء طرابلس وملوك بني عمار، وكتاب (سير أعلام النبلاء) للذهبي (ت748هـ)، وهو كتاب تميز بطابعه النقدي، حيث لم يكتفِ المؤلف بسرد السير الذاتية، بل قدم آراءً وتقييمات شخصية حول الأعلام الذين تناولهم.

ثالثاً- كُتب تواريخ الدول والامارات والمُدن:

جاءت هذه الكتب من حيث الأهمية في الدرجة الثالثة من بعد كُتب التاريخ العام وكتب التراجم، وكان في طليعتها: كتاب (ذيل تاريخ دمشق) لابن القلانسي (ت555هـ)، وتكمن أهميته بتسجيل مؤلفه الأحداث منذ بداية الغزو الصليبي لبلاد الشام الى أواخر ايام حياة مؤلفه، وقد أفادنا كثيراً، اذ عالج الكثير من المواقع منذ البداية وحتى سنة سقوط مدينة طرابلس بيد الصليبيين، وانماز اسلوب كتابته وعرض الروايات بالدقة والوضوح، لذلك اعتمد عليه أغلب المصنفين الذين جاؤوا بعده.

وكتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للإدريسي (ت560هـ)، قدم معلومات قيّمة عن موقع طرابلس وتسميتها وحالتها الاقتصادية وبعض الإشارات الاجتماعية، وكتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت626هـ)، ويُعد مؤلفه من أئمة الجغرافية، ومن العلماء العارفين باللغة والأدب، بدأ حياته نساخاً ورحل في طلب العلم، وسجل خلال رحلته تفاصيل عن المدن والأقاليم التي زارها، فدَوّن مواقعها وأحوالها العامة، وتمتاز معلوماته بالدقة والشمولية، أفادنا في تعريف المدن والمحال والأنهار والقلاع وغيرها من الأماكن التي ذكرت في متن الرسالة، كما قدّم معلومات مفصلة عن مدينة طرابلس ومدنها وقراها أفادتنا بشكل خاص في التمهيد.

(1) ضاحي، محاضرات في منهج البحث، ص31.

ومن كتب تواريخ المدن والإمارات والدول الأخرى التي انتفعنا من مادتها التاريخية في رسالتنا هذه، كتاب (زبدة الحلب في تاريخ حلب) لابن العديم (ت660هـ)، وهو مصدر أساسي لدراسة تاريخ حلب بصورة عامة وطرابلس بصورة خاصة، وقد مثل هذا الكتاب حوليات لمدينة حلب في حقبة الحروب الصليبية حتى سنة (641هـ) لتوقفه عن الكتابة، وسجل تأريخ بلاد الشام قبل الغزو الصليبي وفي اثنا بوضوح، لذلك كان هذا المؤلف من بين المؤلفات المهمة التي واكبت موضوع البحث من البداية حتى النهاية، فمعلوماته مهمة ودقيقة ووافية. وكتاب (الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة) لابن شداد (ت684هـ)، وتضمن معلومات قيمة عن جغرافية طرابلس وتاريخ العلاقة بينها وبين الإمارات الإسلامية والصليبية.

رابعاً- كتب اللغة:

تُعد كتب اللغة من الأدوات الأساسية في الدراسات التاريخية، لما تُسهم به في ضبط المصطلحات وفهم الدلالات الدقيقة للألفاظ الواردة في المصادر⁽¹⁾، ولا سيما عند تناول مفاهيم ذات أبعاد سياسية ومذهبية، وقد أفادتنا مجتمعة في جميع فصول الرسالة.

ومن أبرزها، كتاب (العين) للفراهيدي (ت175هـ)، الذي أفادنا في بيان الجذور الأولى لبعض الألفاظ، وكتاب (لسان العرب) لابن منظور (ت711هـ)، الذي انماز بسعة مادته وتنوعها وجمعه لأقوال أئمة اللغة وتعدد شواهد التي تساعد على تتبع تطور الدلالة واستعمال اللفظ في سياقات مختلفة، وقد شكّل مصدراً أساسياً لنا في تفسير عدد كبير من المصطلحات التي وردت في متن الرسالة.

خامساً- المراجع الحديثة:

المراجع الحديثة هي مدونات حديثة كُتبت بأقلام عربية أو أجنبية، تنوعت بين كتب ورسائل وأطاريح وأبحاث، التي لم تكن بإجمالها بعيدة بفائدتها عن هذه الرسالة، فقد شكلت أساساً هاماً باستيفاء الكثير من الأفكار النافعة التي خصت البحث، وأعانتنا كثيراً في رسم خطوط الرسالة العامة، وامتدّتنا بمعلومات متنوعة في مختلف نواحي الحياة العلمية والسياسية والاقتصادية لمدينة طرابلس ومدن بلاد الشام.

(1) ضاحي، محاضرات في منهج البحث، ص57.

ومنها كتاب (تاريخ طرابلس السياسي والحضاري) وكتاب (الحياة الثقافية في طرابلس الشام) لعمر عبد السلام تدمري، وكتاب (طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي) لعبد العزيز سالم، وكتاب (الحركة الصليبية) لسعيد عبد الفتاح عاشور، وكتاب (تاريخ الحروب الصليبية) للسيد الباز العريني، وكتاب (الحروب الصليبية) المؤلف ارنست باركر.

ختاماً نقول: إنَّ هذا الجهد البحثي محاولة لبيان الأحوال العامة لأسرة بني عمار في طرابلس الشام وأحوال دولتهم، نرجو أن نكون قد وفقنا في عرضها، وإعطاء الموضوع قيمته العلمية التي يستحقها، ولا ندعي الكمال هنا، ونستعين بقوله تبارك وتعالى: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} (1)، فهما آفة الإنسان اليوم، وإن أصبنا فذلك ما نرجوه، وهو فضل محض من الله عز وجل إنه على ما يشاء قدير وله الكمال وحده، وحسبنا إننا حاولنا والله الموفق.

الباحث

(1) البقرة: 286 .

التمهيد

نشأة مدينة طرابلس وجغرافيتها

أولاً- التسمية:

ورد في التاريخ الاسلامي أكثر من مدينة حملت تسمية (طرابلس)، أبرزها طرابلس الواقعة في آسيا على الساحل الشرقي لبحر الروم⁽¹⁾ وطرابلس الغرب الواقعة على الساحل الجنوبي لبحر الروم⁽²⁾.

وفي سبيل التمييز، أطلق عدد من المؤرخين والجغرافيين على طرابلس الواقعة في آسيا تسمية (طرابلس الشام) على أساس وقوعها في منطقة بلاد الشام، وعلى طرابلس الأخرى تسمية (طرابلس الغرب) لوقوعها في غرب منطقة العالم الاسلامي⁽³⁾.

وقد أنشد الشاعر المتنبي (ت354هـ)⁽⁴⁾ في مدح أهل طرابلس الشام - محل البحث- قائلاً⁽⁵⁾:

أَكَارِمَ حَسَدَ الْأَرْضِ السَّمَاءُ بِهِمْ

وَقَصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَنْ طَرَابُلُسٍ

وأنَّ أصل لفظة طرابلس فينيقية اغريقية⁽⁶⁾، وفي معناها رايان، الأول: "ان طرابلس كانت عبارة عن ثلاثة حصون مجتمعة باللسان الرومي"⁽⁷⁾، والثاني ما صرح به القلقشندي (ت821 هـ) بقوله: "معنى أطرابلس فيما يقال ثلاث مدن، وقيل مدينة الناس"⁽⁸⁾، وهو ما مال اليه عدد من الباحثين، بأنه لفظ يُشير الى أنَّ المدينة كانت ثلاثة أحياء مسورة

-
- (1) لغرض تمييزها عن طرابلس الأخرى أضاف لها ياقوت الحموي حرف الألف، فسمّاها (أطرابلس). معجم البلدان، ج3/ ص355
 - (2) البلاذري، فتوح البلدان، ص356.
 - (3) سالم، طرابلس الشام، ص25.
 - (4) احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي، ولد في مدينة الكوفة بمحلة كنده في سنة (303هـ). البغدادي، تاريخ بغداد، ج1/ ص112
 - (5) البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ص684.
 - (6) الريحاني، قلب لبنان، ص449؛ التدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص17.
 - (7) المقدسي، احسن التقاسيم، ص179؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج5/ ص341.
 - (8) صبح الاعشى، ج5/ ص334.

ومنفصلة، هي: حي الصوريين وحي الصيداويين وحي الاروايين⁽¹⁾، وهو رأي بقى ضمن دائرة الترجيحات؛ لعدم العثور على وثيقة تاريخية جازمة أو جزم التنقيبات الأثرية بذلك، فمن المتعارف عليه ان طرابلس قد اتخذت اسمها الاغريقي- تريبولي- بعد ان اتحدت احيائها الثلاثة أو القرى الثلاث التي انشأها أهل المدن: صور⁽²⁾ وصيدا⁽³⁾ وارواد⁽⁴⁾، بحدود النصف الأول من القرن الخامس عشر قبل الميلاد⁽⁵⁾، وأصبحت عاصمة للاتحاد الفينيقي أو متروبول فينيقيا (Metropole la phenivie)⁽⁶⁾.

وأكد فيليب حتي أنَّ أثر تسمية سامية عُرفت بها طرابلس بعد ان أصبحت عاصمة لاتحاد المدن الفينيقية في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، بدليل العثور على مسكوكات نقدية تعود الى عام (188-189 ق.م)، وقد استبدل أثر بـ "تريبولي" المدن الثلاث كاسم اتحادي رئيسي، ثم أخذه العرب وعربوه الى طرابلس⁽⁷⁾.

- (1) الريحاني، قلب لبنان، ص449؛ التدمري، تاريخ طرابلس، ص17؛ ميشال شيماء، لبنان، ص44.
- (2) مدينة في الاقليم الرابع طولها تسع وخمسون درجة وربع، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلثان، وهي مشهورة سكنها خلق من الزهاد والعلماء، مشرفة على بحر الشام داخله في البحر مثل الكف على الساعد يحيط بها البحر من جميع جوانبها الا الرابع الذي منه شروع بابها، افتتحها المسلمون ايام عمر ابن الخطاب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3/ ص433.
- (3) مدينة في الاقليم الرابع طولها تسع وخمسون درجة وربع، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلثان على ساحل بحر الشام من اعمال دمشق شرقي مدينة صور بينها ستة فراسخ قالوا سميت بصيدون بن صدقا بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام. المصدر نفسه، ج3/ ص437.
- (4) جزيرة في البحر قرب القسطنطينية فتحها المسلمون في سنة (54هـ) بقيادة جنادة بن امية في أيام معاوية بن ابي سفيان وقام بإسكانها. المصدر نفسه، ج1/ ص162.
- (5) ان أول ما وصلنا بخصوص التسمية، ثلاثة أسماء لثلاث قرى كانت تعرف بـ "نيوام ونوغس، وهرنكليرد" ذكرها الانكليزي بروس وقال: انها كانت موجودة في النصف الاول من القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وكانت تشكل منها مدينة طرابلس يوم اجتماع الفينيقيين فيها كل فريق في قرية. امين الريحاني، قلب لبنان، ج9/ ص44؛ اميشال شيماء، لبنان، ص44.
- (6) نقل عبد العزيز سالم عن بروس رواية أكدت على ان طرابلس الشام مدينة فينيقية الانشاء فقد اسسها الفينيقيون على امتداد الشاطئ الشمالي الشرقي لشبه جزيرة المينا واطلقوا عليها اسم "اثر" thar ولا نعرف تاريخ تأسيس اثر على وجه التحديد وكل ما نعرفه في هذا السبيل انها كانت في عصر السيادة الفارسية في القرن الرابع ق.م وبالتحديد في سنة 359 ق.م وهي السنة الاولى من عهد الملك ارتخششتا الثالث 359 ق.م - 338 ق.م من ثلاث أحياء تمثل المدن الفينيقية الثلاثة، صور وصيدا وارواد، فكانت تشتمل على حي للصوريين وحي للصيدانيين وحي للاروايين، أي انها كانت مركزاً لاتحاد فينيقي يضم المدن الثلاثة المذكورة او عاصمة لهذا الاتحاد الثلاثي، وكانت يحيط بكل من أحياء اثر الثلاثة سور قائم بذاته، وكانت مقراً لاجتماع المؤتمر الفينيقي العام. ينظر: طرابلس الشام، ج16/ ص123- ص127. Brace - conde, Tripoli of Lebanon, Beirut, 1961, P. 9.
- (7) تاريخ لبنان، ص189؛ تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج1/ ص278.

ولأنيس فريحة رأي خالف نسبة تسمية طرابلس الى الاغريق، اذ أشار الى أن الشائع انه اسم اغريقي يعني ثلاث مدن، لكنه ليس كذلك، مستنداً الى أن طرابلس أقدم من الاغريق، وخلص الى اطلاق اسم تربيل على المدينة، وعزز هذه التسمية الى الواقع الجغرافي، وهو جبل تربل المجاور

فلفظ تربيل هو الاسم الفينيقي القديم لطرابلس، ولم يكن للإغريق من أثر سوى انهم اضافوا عليه حرف "S" الذي غالباً ما كان يلحق بآخر أسمائهم، فاصطبغ الاسم بالصيغة الاغريقية وأصبح تربيلس، ثم حُرِفَ الى تري - بولس ويعني المدن الثلاث⁽¹⁾.

وهو ما أيده السيد عبد العزيز بقوله: "ليس من المستبعد ان يكون تربيل هو الاسم الفينيقي القديم لطرابلس، لان لفظة تر لفظة فينيقية معناها الجبل وتقابلها لفظة طور بالعربية بمعنى الجبل الذي يكسوه الشجر، كما هو الشأن في طور سيناء، ولعل اسم طوربيل او تربيل حرف فيما بعد في العصر الاغريقي بعد ان اضيفت اليه اللاحقة الاغريقية الى تريبولس تأكيداً لوجود ثلاثة أحياء في المدينة تمثل المدن الفينيقية الثلاثة صور وصيدا وارواد"⁽²⁾.

وفي القرن الأول للهجرة حين واجه العرب في فتوحاتهم مدينتين ساحليتين حملاً اسماً واحداً "تريبولس" عربوا اسميهما الى طرابلس بإثبات الف مهموزة في أولها، وأغلب الظن ان الالف قد أضيفت تخلصاً من التسكين في أول حروفها⁽³⁾.

وقد وصلت أول تسمية عربية للفظ "تريبولس" بطرابلس في الربع الأول من القرن الاول للهجرة، عندما غزا عمرو بن العاص المدينة المغربية في سنة (22هـ) حينما كتب الى الخليفة عمر بن الخطاب (11-23هـ) عنها: "أنا قد بلغنا طرابلس، وبينها وبين افريقيا تسعة أيام، فان رأى امير المؤمنين ان يأذن لنا في غزوها فعل"⁽⁴⁾.

ثانياً- النشأة:

تضافرت جملة عوامل على نشأة مدينة طرابلس وبروزها على مسرح الأحداث بصورة مدينة مؤثرة في جوانب الحياة المختلفة، لعل أهمها موقعها الجغرافي الذي تميزت به، وأهميتها الحربية والاقتصادية والتجارية، فهي تقع "على سفح ذيل من أذيال جبل لبنان"⁽⁵⁾، عند نهاية وادي قاديشا⁽⁶⁾، حيث يوجد في اقليمها منخفض أرضي بين جبال لبنان وجبال النصيرية⁽⁷⁾ الى

(1) الريحاني، قلب لبنان، ص449- ص450؛ بولس، تاريخ لبنان، ص132.

(2) طرابلس الشام، ص7.

(3) حتي، تاريخ لبنان، ص189؛ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج1/ ص278.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ق1/ ص266.

(5) الدمشقي، نخبة الدهر، ص207.

(6) وادي قاديشا هو وادي عميق كان يجري فيه نهر قاديشا، وهو من أشد أودية لبنان وعورة وعمقاً، وأكثرها روعة وجمالاً، يبدأ عند سفح غابة الارز، وينحدر انحداراً سريعاً في انحناءات وتعرجات متواصلة

الشمال منها الذي يُعد المنفذ الرئيس الى منعطف الفرات وبلاد ما بين النهرين، والى بلاد الكلدانيين التي تربط اسيا باوربا، وهو الطريق الكبير للهجرات والغزوات⁽¹⁾. وبحكم موقعها شكلت باب اسيا نحو حلب ودمشق وبغداد والموصل والخليج العربي⁽²⁾، وهمزة وصل بين الشرق والغرب، فالطرق الشمالية للقوافل التي تنتقل باستمرار بين الخليج العربي وبحر الروم كانت تنتهي بطرابلس⁽³⁾، ومن المزايا الأخرى لموقعها الجغرافي قربها من غابات الارز التي كانت تستغل أخشابها في صناعة السفن في ميناء المدينة، مما جعلها داراً لصناعة السفن، فضلاً عن صناعات أخرى⁽⁴⁾.

ولو تطرقنا الى العامل التاريخي لتلك المدينة لوجدنا لها امتدادات تاريخية قبل تأسيسها بوصفها مركزاً مهماً في الحضارات القديمة، وأخذت طرابلس في الظهور بعد أن أصبحت مركزاً للاتحاد الفينيقي الذي ضم المدن الثلاثة صور وصيدا وارواد، بحكم حاجتها لإقامة مركز يرفع مصالح تلك المدن، ويكون بعيداً عن النزاعات التي تنشب على الاتحاد بالإضافة الى بعدها عن الخطر الفارسي⁽⁵⁾.

وكان لطرابلس أهمية إضافية بوصفها مركزاً ثقافياً بارزاً ميزها عن باقي المدن الساحلية في منطقة بلاد الشام، فحظيت باهتمام كبير من الأباطرة الرومان، الذين شيدوا فيها الأبنية الفخمة، ولاسيما الإمبراطور هيرودوت الكبير (62-4 ق.م)⁽⁶⁾ الذي بنى الكثير من المشاريع العمرانية في المدن الفينيقية⁽⁷⁾، وحين أصبح انطونيوس حاكماً للشرق وهب مدن سوريا الواقعة بين مصر ومصب النهر الكبير الجنوبي (الوثيوس) الفاصل بين سوريا ولبنان اهدى مدينتي صور وصيدا، الى عشيقته كليوباترا⁽⁸⁾ ملكة مصر، وكانت طرابلس من بين المدن

-
- الى ان ينتهي بسهل طرابلس عند الساحل، يصل عمقه في بعض أجزائه الى 1700 قدم. سالم، طرابلس الشام، ص14؛ حتي، لبنان في التاريخ، ص16.
- (7) حتي، تاريخ سورية، ج2/ ص232.
- (1) ريسلر، الحضارة العربية، ص3.
- (2) اليعقوبي، البلدان، ص327؛ البغدادي، مرصد الاطلاع، ج1/ ص91.
- (3) ابن خلدون، العبر، المجلد5، ق1/ ص765-768؛ القرماني، أخبار الدول، ص489؛ لامنس، تسريح الابصار، ج2/ ص160.
- (4) لامنس، تسريح الابصار، ج1/ ص137.
- (5) حتي، لبنان في التاريخ، ص188.
- (6) هيرودوت مؤرخ وجغرافي يوناني عاش في القرن الخامس قبل الميلاد وعُرف بلقب أبو التاريخ لأنه كتب أول وصف تاريخي شامل للحضارة الغربية، وهو عمل ضخّم وثق فيه الحروب اليونانية الفارسية، ووصف العديد من البلدان والأشخاص الذين قابلهم في رحلاته الواسعة حول بحر الروم. ينظر: الملاح، تاريخ هيرودوت، ص110-220؛ كامل، هيرودوت في مصر، ص110-250.
- (7) بولس، تاريخ لبنان، ص187.
- (8) كليوباترا هي آخر ملوك وملكات المملكة البطلمية في مصر حكمت من عام (51) حتى عام (30) قبل الميلاد، واشتهرت بعلاقاتها السياسية مع القادة الرومان يوليوس قيصر وماركوس انطونيوس، انتهى حكمها بعد هزيمتها في معركة أكتيوم ضد اوكتافيان. ينظر: آن اشتون، كليوباترا ملكة مصر، ص123-172؛ ابوت، كليوباترا ملكة مصر، ص99-120.

المهداة اليها، وتذكراً لذلك الاهداء أصدرت طرابلس نقداً في سنة (37-36ق.م) حمل مجسماً لكليوباترا، وواصلت إصدارها للنقود، مما دل على تمتعها ببعض الاستقلال الذاتي⁽¹⁾.

وقد استمر اهتمام الرومان بطرابلس عن طريق تشييد أبنيتها وبناء معابد كثيرة فيها، كمعبدي عشتارت ويزيس⁽²⁾، فضلاً عن تخصيص دور لسك النقود الفضية، وهناك شواهد أثرية رومانية من تلك الحقبة مازالت شاخصة، كمعبد بزيلا من أواخر القرن الأول، ومعبدي عين عكرين من القرن الثاني والثالث، ومعبد السفيرة وغيرها⁽³⁾.

وزادت أهمية طرابلس بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام، بوصفها آخر قلاع البيزنطيين الشامية التي كان لازماً على المسلمين فتحها لكونها مصدر تهديد لمكتسبات المسلمين في بلاد الشام، ولاسيما أنها منفذ بحري مهم بإمكان البيزنطيين استغلاله لرفد جيوشهم في بلاد الشام بتعزيزات عسكرية بحرية في ظل افتقار المسلمين الى قوة بحرية مقابلة للأسطول البيزنطي، كما أن استيلاء المسلمين على طرابلس مكنهم من الافادة من أسواقها العامرة ودور صناعة السفن فيها واستخدام ميناءها لتصدير السلع المتنوعة ولاسيما في عصر الدولة الأموية⁽⁴⁾، إذ زادت فيه الحاجة الى مقدرات طرابلس لرفد القوة البحرية الأموية في ذروة انشغالها بمعاركها ضد الأسطول البيزنطي، فركز معاوية بن ابي سفيان (41-60هـ) على مدينة طرابلس ومينائها بوصفها المنفذ الأبرز لمنطقتي دمشق وحمص⁽⁵⁾.

وقد اهتمت الدولة الأموية بتحصين السواحل الشامية، واتخاذها منطلقاً لفعاليتهم القتالية، ولاسيما في عهد عبد الملك بن مروان (65-86هـ)، الذي أنشأ قاعدته البحرية الرئيسية في طرابلس، وجدد القلعة المطلة على مينائها، مضيفاً اليها تحصينات كثيرة، ثم جدد أغلب أبنية طرابلس واسكنها بالمقاتلين المسلمين، ووضع لها نظاماً حربياً خاصاً تمثل بإرسال جند من دمشق اليها صيفاً وابدالهم بجند من بعلبك شتاءً، فصارت آمنة ومزدهرة، وفعل الشيء نفسه في السواحل المتصلة بها، مركزاً على قلاع صور وعكا وقيسارية وعسقلان مع رفد مدنها بمزيد من السكان⁽⁶⁾.

واستمرت طرابلس في تلك الحقبة تابعة لدمشق، مع أن الأمويين دأبوا على تحصينها وترميمها وتجميلها فضلاً عن جعلها قاعدة انطلاق لمواجهة الخطر البيزنطي، خاصة في أثناء حقبة حكم الوليد بن عبد الملك (86-96هـ)⁽⁷⁾.

ولم تتغير البنية الإدارية لطرابلس في أثناء عصر الدولة العباسية (132-656هـ)، فظلت تابعة لولاية دمشق التي لم تعد عاصمة الخلافة، وكان عامل دمشق مشرفاً على كور⁽⁸⁾

(1) داوني، انطاكية القديمة، ص110.

(2) حليم، محافظة الشمال، ص46.

(3) سالم، طرابلس الشام، ص25.

(4) اليعقوبي، البلدان، ص337؛ بن يحيى، تاريخ بيروت، ص145.

(5) تدمري، تاريخ طرابلس، ص96.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، ج1/ ص151؛ ابن الاثير، الكامل، ج4/ ص341.

(7) المصدر نفسه، ج1/ ص151؛ المصدر نفسه، ج4/ ص341.

الشام البرية وحمص وقنسرين وبعلبك والغوطة وحووران والجولان وكور دمشق الساحلية ومنها طرابلس⁽¹⁾، ولا يعني ذلك إهمال الخلفاء العباسيين لها، فقد عمر أبو جعفر المنصور (136-158هـ) حصون سواحلها وطور عمارة مدنها⁽²⁾، ولا سيما مدينتي اللاذقية وطرابلس اللتان تعرضتا لغزو الاسطول البيزنطي في عام (141هـ)⁽³⁾. لأنّ السواحل الشامية معرضة لهجمات الدولة البيزنطية، لذلك اهتم المنصور بتحسين المدن الساحلية وتقوية دفاعاتها ولحماية الثغور الإسلامية المهمة التي تؤدي وظيفة دفاعية متقدمة لحماية بلاد الشام من الهجمات القادمة من البحر مما جعل مدينة طرابلس ذات أهمية في مراقبة طرق الملاحة والحركة البحرية في شرق المتوسط، ولتعزيز السيطرة العباسية كان من الضروري تثبيت نفوذها في بلاد الشام، وتقوية المدن الساحلية بوصفها مراكز استراتيجية واقتصادية مهمة .

وتمثل العامل الاقتصادي لمدينة طرابلس في موقعها الجغرافي ونشاط سكانها في التجارتين الداخلية والخارجية، وتنوع الحرف والنشاط الاقتصادي، الذي كان له أثر في تأسيسها، وزيادة أهميتها في العصور الإسلامية، حتى غدا مينائها العصب التجاري الأبرز لتجارة الهند وسواها من الحواضر الإسلامية المتجهة الى بلاد الشام ومنها الى أوربا⁽⁴⁾، فعن طريقها تمت عمليات الاستيراد والتصدير، ونقل منتجات الشام والشرق الى بلاد الروم وسواها من الممالك المسيحية، وهو ما وصفه الرحالة ناصر خسرو بقوله: "تحصل المكوس بهذه المدينة، فتدفع السفن الآتية من بلاد الروم والفرنجة والاندلس والمغرب، العشر للسلطان فيدفع منه أرزاق الجند، وللسلطان بها سفن تسافر الى بلاد الروم وصقلية⁽⁵⁾ والمغرب للتجارة"⁽⁶⁾.

وشكلت الثروة الزراعية عاملاً مساعداً لاقتصاد طرابلس التي اشتهرت بوفرة مزروعاتها وتنوعها، بحيث لم تحتاج الى استيراد شيء من المحاصيل، وكانت تجمع في بساتينها من الفواكه والثمار "ما لا يوجد في سائر الاقاليم أصلاً، اذ لا يكاد يوجد فيها دار بغير شجر لكثرة تخرق أرضها بالمياه"⁽⁷⁾، وأهم محاصيلها قصب السكر وأشجار النارج والموز

(8) كور مفردها كورة، وهي كل صقع يشتمل على عدة قرى، ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها. عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج1/ ص332.

(1) اليعقوبي، البلدان، ص327.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ج1/ ص193.

(3) الطبري، تاريخ، ج7/ ص509؛ ابن الاثير، الكامل، ج5/ ص500 .

(4) تدمري، الحياة الثقافية، ص14.

(5) جزيرة عظيمة مثلثة الشكل تقع على بحر الروم مقابلة افريقيا. الزهري، الجغرافية، ص130؛

الحموي، معجم البلدان، ج3/ ص416

(6) سفر نامه، ص58.

(7) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص253؛ الدمشقي، نخبة الدهر، ص207.

والليمون والتمر والزيتون والكروم⁽¹⁾، وبما ان قصب السكر من المحاصيل المهمة التي تنمو بغزارة، فقد أقيمت مصانع لعصره وصنعه تمونان اوربا حتى اواخر العصور الوسطى⁽²⁾.

ثالثاً- البيئة والمناخ:

كانت اماره طرابلس تقع في الاقليم الرابع⁽³⁾ وموقعها على بحر الروم جعل مناخها يتصف بصيف حار وجاف وشتاء معتدل ورطب، مما كان له تأثيره في تشكيل بيئة طرابلس، اذ أسهم دفء بحر الروم في تلطيف درجات الحرارة مقارنة بالمناطق الداخلية، وهو على هذا الحال معتدل وحار ورطب في مناطق، وبارد في قراها الكائنة على السفح الغربي في جبل القضيبي من سلسلة جبال لبنان، بسبب ارتفاعها عن سطح البحر، إذ كانت تتأهز درجات الحرارة في الصيف بين 16، 5-25 درجة، وفي الشتاء تكون بين 16- 5، 1 درجة⁽⁴⁾.

وكانت الأحوال الجوية في اقليم طرابلس تتسم بهبوب الرياح الشرقية الشمالية والغربية الجنوبية على نحو دائم، أما الرياح الجنوبية والشمالية والشرقية والغربية الشمالية فتكون نادرة الحدوث، وفي أواخر الربيع تهب من الغرب الجنوبي رياح السموم وهي حارة ومخنقة ولربما تكون العواصف والزوابع⁽⁵⁾.

ومما تقدم يظهر أنّ بيئة مدينة طرابلس ومناخها بكونه معتدلاً على الساحل، مع شتاء ممطر وصيف حار ورطب كان مناسبة لإقامة دولة، وجعلها مركزاً تجارياً هاماً ومركزاً بحرياً للصناعة والأسطول، مما جعلها بيئة خصبة للتطور الاقتصادي والثقافي.

(1) الاصطخري، مسالك الممالك، ص46.

(2) حتي، لبنان في التاريخ ، ص414.

(3) ابن رسته، الاعلاق، ج7/ ص97.

(4) الاصطخري، المسالك والممالك، ص46؛ ابو العينين، دراسات في جغرافية لبنان، ص215.

(5) افندي، ولاية بيروت، ج2/ ص183.

رابعاً- مشاهير جبالها ومواضعها وحصونها:

1- الجبال:

ضمت طرابلس في ذروة اتساعها على سلاسل جبلية، أهمها: (جبال النصيرية)، وهي جزء من الجبال التي كانت تمتد في كل من سوريا ولبنان وفلسطين والأردن في اتجاه عام من الشمال الى الجنوب، محاذية الساحل الشرقي للبحر المتوسط⁽¹⁾، وهي سلسلة جبلية ينخفض ارتفاعها في القسم الجنوبي بحيث تصبح صالحة للعبور عن طريق ممرات تحميها بعض القلاع والحصون مثل قلعة صافيتا وحصن ابن الاحمر⁽²⁾، كما انها تفصل طرابلس عن بادية الشام من الشرق، وتمتد من الشمال الى الجنوب حتى تصل مدينة عكار لتكون جبال عكار، ثم تندمج في سلسلة جبال لبنان وتفرق هاتان السلسلتان عن بعضهما بوادي النهر الكبير⁽³⁾.

و(جبال عكار)، وتمتد من الجهة الشرقية الى الشمالية من طرابلس الشام ويحدها من الشمال صافيتا وحصن الاكراد، ومن الشرق حمص ومن الجنوب بيروت، ومن الغرب بحر الروم⁽⁴⁾، فتتعالى حتى يبلغ ارتفاع بعض قممها (3050م) عن سطح البحر، وارتفاع ظهر السواد من جبال ضنية يبلغ (3047 م)، وارتفاع العقدة التي تفصلها عن جبال لبنان هو (2090م)⁽⁵⁾.

وكذلك (جبال حذور والأرز)، تمتد من مشارف طرابلس، وهي مركبة من الطبقات البركانية الحديثة⁽⁶⁾، وتشرف على طرابلس من الجنوب الشرقي جبال الارز الشهيرة بتلوجها المقيمة على مدار الفصول ومنها ينبع نهر قاديشا المقدس- أبو علي- داخل مغارة عرفت قديماً بذلك الاسم⁽⁷⁾. فضلاً عن (جبال القضيبي)، تقع في الجهة الشرقية من طرابلس، وتفصلها عن بيروت، ويبلغ ارتفاعها نحو ثلاثة آلاف متر يدوم عليها الثلج ثلاثة أو أربعة أشهر في السنة⁽⁸⁾.

(1) الصياد، معالم جغرافية الوطن العربي، ج10/ ص105.

(2) الزوكة، في جغرافية العالم العربي، ص72.

(3) التطيلي، رحلة بنيامين، ص185.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4/ ص480؛ افندي، ولاية بيروت، ج2/ ص267.

(5) الزوكة، في جغرافية العالم العربي، ص75.

(6) التطيلي، رحلة بنيامين، ص185؛ افندي، ولاية بيروت، ج2/ ص416.

(7) ابو العينين، دراسات في جغرافية لبنان، ص215.

(8) افندي، ولاية بيروت، ج2/ ص184.

2- المدن والموانئ:

ضمت طرابلس العديد من المواضع التي تنوعت بين البلدات الصغيرة والقرى ذات الأهمية المختلفة من النواحي الجغرافية ولاستراتيجية والاقتصادية، ولعل أشهرها: (أنطراطوس)، وهي مدينة بثغور الشام على نهر البردان⁽¹⁾، عرفت بخصوبتها⁽²⁾ وهي قديمة من بناء الروم، سميت قديماً "يارسين" ثم عُربت إلى طراطوس⁽³⁾، وكانت محاطة بسورين لكل سور خمسة أبواب من الحديد وعدد الشرفات في السور الأول الذي يلي المدينة نحو ثمانية آلاف، وفيه مئة برج⁽⁴⁾، وفيها دفن الخليفة المأمون بن الرشيد (170-218 هـ) بعد أن وافاه الاجل وهو في بلاد الروم سنة (218هـ)⁽⁵⁾.

ومنها كذلك (اللاذقية)، وهي ميناء ومدينة مشهورة على ساحل بحر الروم، ذكرها ياقوت الحموي قائلاً: "مدينة على ساحل بحر الشام... وهي غربي جبلتين بينهما ستة فراسخ... مدينة عتيقة رومية فيها ابنية قديمة مكيعة، وهو بلد حسن في وطاء من الارض وله مرفأ جد محكم وقلعتان متصلتان على تل شوف على الربض والبحر على غربيها وهي على صفته"⁽⁶⁾، ووصفها ابو الفداء بانها مدينة جليلة تبعد عن انطاكية بثمانية وأربعين ميلاً وعن طرابلس بأربعة وستين ميلاً وهي اجلّ مدينة بالساحل منعة وعمارة ولها ميناء عظيم⁽⁷⁾، وكانت أحد كور الساحل التابعة لإقليم حمص⁽⁸⁾، وتاريخها قديم يعود الى ما قبل ميلاد السيد المسيح (عليه السلام)، فبعد وفاة الاسكندر سنة 323 ق.م اقتسم قواده البلاد التي فتحها، وكانت سوريا من نصيب سلوقس الذي اكسبته انتصاراته لقب الفاتح، فشرع سلوقس في انشاء المدن في الجزء الشمالي الغربي من سوريا الذي صار يُعرف بالإقليم السلوقي، حيث أقام أربع مدن، هي: انطاكية وسلوقية وافامية واللاذقية⁽⁹⁾، وقد أنشأت تلك المدن على أساس مزدوج بري وبحري فسلوقية هي ميناء مدينة انطاكية، واللاذقية ميناء مدينة افامية، وأطلق سلوقس على

- (1) ابن خردادبه، المسالك، ص162؛ الفلقشندي، صبح الاعشى، ج4/ ص236- ص237؛ العمري، مسالك الابصار، ص201- ص205؛ الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص133.
- (2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4/ ص28؛ ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص184.
- (3) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص239؛ الاصطخري، المسالك، ص184.
- (4) ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص184.
- (5) الطبري، تاريخ، ج9/ ص650.
- (6) معجم البلدان، ج5/ ص5- ص6؛ ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص232.
- (7) تقويم البلدان، ص257.
- (8) ابن خردادبه، المسالك والممالك، ص76.
- (9) دواني، انطاكية القديمة، ص45.

اللاذقية اسم Laobiceal نسبة الى اسم امه، وسمى المدينة البرية افامية Abamea نسبة الى زوجته(1).

و(بانياس)، ذكرها ياقوت الحموي بقوله: "بانياس كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر ولعلها سُميت باسم الحكيم بانياس"(2)، أسسها فيليب بن هيردوس ملك اليهود من كليوبترا عام 20 ق.م - 3م، وسماها قيسارية فيليبي، اكراماً للقيصر طبريوس وتميزاً لها عن قيسارية الكبرى(3)، وسُميت نيرونياس أيضاً اكراماً للقيصر نيرون لكنها ظلت محتفظة باسمها الأول(4). و(جبل)، وتقع الى الجنوب من مدينة بانياس وشمال مرقب، يحدها من الشرق حصن صهيون ومن الغرب بحر الروم(5)، وهي بلدة من أعمال طرابلس سُميت باسم بانيها جبل بن الايهم(6)، وهي من القلاع المشهورة بساحل الشام من أعمال طرابلس قرب اللاذقية وتبعد ميل واحد من الشاطئ(7).

ومنها كذلك، (جبل)، وهي مدينة مشهورة في شرقي بيروت على ثمانية فراسخ(8) من بيروت، انها من أعمال صور شهيرة ببناء السفن(9)، وصفها ابن شداد بقوله: "هي مدينة حسنة على البحر، لها سور من حجر حصين وليس بها ماء جار. وانما يشرب اهلها من الآبار. لم تزل في يد من يلي دمشق منذ ان فتحت الى ان انتقلت الى المصريين، وولوا فيها من قبلهم"(10).

3

- (1) رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية، ج1/ ص362 .
- (2) معجم البلدان، ج2/ ص365.
- (3) الشدياق، اخبار الاعيان، ص67.
- (4) نسيم، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص6
- (5) عزمي بك، ولاية بيروت، ج2/ ص416.
- (6) جبل بن الايهم بن جبل بن الحارث الاعرج بن جبل بن الحارث الاكبر بن عمرو بن جفنة بن عمرو بن عامر ماء السماء، واسمه المنذر بن حارث، اخر ملوك الغساسنة في الشام. الصحاري، أنساب العرب، ص177.
- (7) ينظر: التطيلي، رحلة بنيامين، ص87- ص88.
- (7) الفرسخ وحدة قياس الطول (المسافة) يقدر باثني عشر ألف ذراع، أي حوالي ستة كيلو مترات. فتح الله، معجم الفاظ الفقه الجعفري، ص318.
- (9) التطيلي، رحلة بنيامين، هامش1، ص89.
- (10) الاعلاق الخطيرة ، ص78.

- القلاع والحصون:

القلعة هي الحصن على الجبل وجمعها قلاع⁽¹⁾، وعرفها ياقوت الحموي بأنها السحابة الضخمة والحجارة الضخمة، وهي بشكل عام من بناء الانسان للاحتماء فيها وتكون في المدينة والسهل والجبل وقد تبنى على الحصن نفسه فيزداد مناعة وقوة⁽²⁾. أما الحصن فهو كل مكان محرز ومنيع لا يوصل الى جوفه، أو هو عبارة عن مكان معد لدفع الحملات والهجمات، وقد تكون أسباب حصانته طبيعية كالأنهار أو صناعية مثل الاسوار، وهناك حصون ثابتة أي معدة لإقامة المدافعين عليها، تُعرف بالحصون الموقية أو حصون ميدان القتال⁽³⁾.

إن تاريخ القلاع والحصون جزء لا يتجزأ من تاريخنا الحضاري والعسكري، وقد تطلبت المواقف السياسية والحقائق العسكرية بناء تحصينات دفاعية في الطرق والممرات الجبلية الضيقة، لتكون بمثابة موانع قوية لصد زحف الجيوش المعادية⁽³⁾، فوجود القلاع والحصون في مكان استراتيجي وان كانت صغيرة الحجم يعطيها أهمية فائقة، وهناك العديد من القلاع والحصون المنتشرة في ربوع الساحل الشامي ومنها طرابلس في مناطق جبلية وعرة، كجبال النصيرية، ومفترق الطرق التاريخية الهامة أو في مناطق جبال الحدور، مع أن بعضها بني في سهول خصبة أو في ممرات سالكة للجيوش الغازية، أهمها: (حصن المرقب)، ويعد من الحصون المشهورة بالمنعة والحصانة وهو كبير جداً⁽⁴⁾، يقع الى أقصى جنوب اللاذقية، يحده من الشمال جبله ومن الشرق حماه، ومن الجنوب طرابلس، ومن الغرب بحر الروم، ويمتد من شاطئ البحر الى جبال النصيرية، وأرضه تتدرج بالارتفاع اعتباراً من الساحل وهي ذات عوارض⁽⁵⁾. وقال عنه ابن عبد الحق: "بلد وقلعة حصينة تشرف على سواحل بحر الشام وعلى مدينة بانياس. وهو على ساحل جبله يحدث كل من رآه انه لم ير مثله. وللمرقب فيما مضى نائب من قبل السلطان وقاض يوليه قاضي طرابلس"⁽⁶⁾، والمرقب وبلنيس بلدة من أعمال طرابلس فمرقب اسم القلعة أحدثه المسلمون في سنة (454هـ)، وبلنيس اسم لبلدتها وبينهما فرسخ، وقلعتها حصينة مشرفة على سواحل بحر الشام، وبها ميناء حسن، وهي بليدة ذات صهاريج وبعض أشجار الزيتون وغيره⁽⁷⁾، وصفه ابن الشحنة فذكر ان

(1) الجوهرى، الصحاح، ج2/ص335

(2) معجم البلدان، ج2/ص34.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2/ص34؛ البستاني، دائرة المعارف، ج7/ص90-95

(4) ابن عبد الظاهر، تشریف الايام، ج2/ص77.

(5) القرمانى، أخبار الدول، ص489؛ افندي، ولاية بيروت، ج2/ص386-387.

(6) مرصد الاطلاع، ج4/ص411؛ وينظر: ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص266-267.

(7) القرمانى، اخبار الدول، ص489.

قلعة مرقب، التي كانوا يدعونها Margat تقع على قمة جبل يشرف على بانياس وسواحل بحر الشام، وتحرسها الأبراج، وفي أسفلها صخور ضخمة، وكانت هندستها خليطاً من هندسة الحصون الواقعة جنوب فرنسا والهندسة البيزنطية وفي وسطها معبد⁽¹⁾.

و(حصن الأكراد)، ويقع الى الشمال الشرقي من طرابلس الشام، يحده من الشمال والشرق حمص ومن الجنوب عكار، ومن الغرب صافيتا، وان الانحاء الشرقية والشمالية والجنوبية عبارة عن أصقاع جبلية وليس فيه سهل الا قسم البقيعة المشهور⁽²⁾، وذكر منتجب الدين يحيى بن ابي طيء (ت630هـ)⁽³⁾ في سبب تسميته: "ان شبل الدولة نصر بن مرداس⁽⁴⁾ صاحب حمص أسكن فيه قوماً من الأكراد في سنة اثنتين وعشرين واربعمئة فنسب اليهم، وكان من قبل يسمى حسن السفح"⁽⁵⁾، وذكر القلقشندي قائلاً: "أضافة حصن واحد الحصون الى الأكراد الطائفة المشهورة... قال في تقويم البلدان: والقياس أن طولها ستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها اربع وثلاثون درجة"⁽⁶⁾.

و(قلعة عكار)، وهو منطقة جبلية تمتد من الجهة الشرقية الى الشمالية من طرابلس الشام ويحده من الشمال صافيتا وحصن الاكراد، ومن الشرق حمص ومن الجنوب بيروت، ومن الغرب بحر الروم⁽⁷⁾، وقال القلقشندي أنها: "من القلاع الجبلية على مرحلة من طرابلس في جهة الشرق يوسط جبل لبنان في واد والجبل محيط بها"⁽⁸⁾.

و(قلعة وحصن صافيتا)، وتقع في الجانب الشمالي من مدينة طرابلس الشام، حيث تحدها من الشمال اللاذقية، ومن الشرق حصن الاكراد، ومن الجنوب عكار، ومن الغرب بحر الروم⁽⁹⁾، وهو يعدّ من أهم الحصون لموقعه المهم المسيطر على مدينة طرابلس من جهة⁽¹⁰⁾.

(1) الدرر المنتخب، ص266- ص267.

(2) ابن عبد الظاهر، تشریف الايام، ص385؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج4/ ص144.

(3) يحيى بن ابي حميدة بن ظافر بن علي الحلبي الغساني، له آثار كثيرة في التاريخ، منها كتاب (معادن الذهب في تاريخ حلب)، الذهبي، اعلام النبلاء، ج4/ ص378.

(4) نصر بن صالح المرداسي، أبو كامل، شبل الدولة، صاحب حلب بعد قتل والده صالح بن مرداس في موقعة (الاقحوانة) في سنة (420هـ)، ووسع لقبه ليشمل حمص التي ألحقت بإمارته، قتل في سنة (429هـ) يد أنوشتكين الدزبري الذي استولى على حلب. ابن العديم، زبدة الحلب، ج / ص205.

(5) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص115.

(6) صبح الاعشى ج4/ ص144.

(7) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4/ ص480؛ افندي، ولاية بيروت، ج2/ ص267.

(8) صبح الاعشى، ج4/ ص144.

(9) ينظر: العمري، مسالك الابصار، ص201- ص205؛ افندي، ولاية بيروت، ج2/ ص331- ص332.

(10) رنسيان، تاريخ الحروب، ج2/ ص598، وص608.

ومن جهة أخرى لوقوعه على الساحل مما جعلها ذات تأثير كبير على حماية طرابلس حريباً واقتصادياً، ونتيجة لموقع هذه المدينة المهم فقد كان من البديهي ان تتجه الانظار اليها⁽¹⁾.

ومنها كذلك (قلعة صهيون)، وتقع في الجهة الشمالية الشرقية للاذقية، ومحاط من الشمال والشرق جبيل ومن الجنوب جبلة⁽²⁾. وقال ياقوت الحموي: "صهيون حصن حصين من اعمال سواحل بحر الشام... ليس بمشرف على البحر وهي قلعة حصينة مكينة في طرف جبل خنادقها اودية واسعة هائلة عميقة ليس لها خندق محفور الا من جهة واحدة مقدار طوله ستون ذراعاً او قريب من ذلك وهو نقر في حجر ولها ثلاثة أسوار، سوران دون مربضها وسور دون قلعتها وكانت بيد الافرنج"⁽³⁾، أما القرمانى فقال: "صهيون بلدة من اعمال طرابلس الشام بها قلعة حصينة وهي على صخر اصم صعب المرتقى وهي على طرف جبل تحتها اودية هائلة واسعة عميقة وهو نقر في حجر صلد ولها ثلاثة اسوار وبقلعتها مياه كثيرة من الامطار، وكانت دار ملك الفرنج"⁽⁴⁾. وقال ابن الشحنة: "بلدة منيعة لها قلعة حصينة قل ان يوجد مثلها... وهي بعيدة عن البحر لكنها تشرف عليه من بعد لأنها على طرف جبل عال تحته اودية هائلة واسعة عميقة وليس لها خندق محفوراً الا من جهة واحدة طوله ستين ذراعاً وهو نقر في حجر ولها ثلاث اسوار، سوران دون الربض، وسور دون القلعة"⁽⁵⁾.

و(حصن عرقة)، وهو حصن مشهور لموقعه وأهميته لمدينة طرابلس، فهو أحد البوابات المهمة التي لو احتلت لفتحت طرابلس على نحو سريع، لأنه احدى نقاط ضعف طرابلس، عرفة ابن شداد بأنه: "مدينة قديمة في سفح جبل لبنان قليل العلو، والبحر منها على ثلاثة اميال. ولها في وسطها حصن عال حصين. وشرب اهلها من مياه تأتيهم من نهر يجري ملاصق لها، وبها قصب السكر، وبنائها بالجص والتراب... طولها ست وستون درجة، وعرضها خمس وثلاثون درجة ودقيقتان"⁽⁶⁾.

(1) ابن الاثير، الكامل، ج10/ ص475؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5/ ص180.

(2) فريجة، اسماء المدن والقرى اللبنانية، ص251.

(3) معجم البلدان، ج3/ ص496.

(4) اخبار الدول، ص459.

(5) الدر المنتخب، ص267.

(6) الأعلاق الخطيرة، ص92.

4- الأنهار المهمة:

حفلت طرابلس بمجموعة من الأنهار المهمة التي زادت من أهمية موقعها وساعدت على ازدهارها عبر القرون، فقسم منها يجري من الجنوب الى الشمال، والآخر يجري من الشمال الى الجنوب، لتصب جميعها في بحر الروم ضمن الساحل الذي كانت طرابلس تشغله⁽¹⁾. ولعل أهمها: (نهر قاديشا أو أبو علي)، وهو من الأنهار الدائمة الجريان المذكور في التوراة باسم كاديشة، ينبع من جبل "ماكمال" الواقع في ناحية بشرى التابعة لمدينة البترون، ويمر بجوار قرى اهدن وزغرتا، ويدخل في امارة طرابلس، ثم يسقي أراضي الامارة الخصبة وطوله من منبعه الى مصبه 38 كيلو متراً⁽²⁾، ويُقسم طرابلس على قسمين، شمالي شرقي يعرف باسم القبة⁽³⁾ التي عرفت في العصور الوسطى باسم قبة النهر⁽⁴⁾، وجنوبي غربي يقوم على هضبة مماثلة لهضبة القبة اشتهرت عند الصليبيين باسم تلة الحجاج أو الزوار⁽⁵⁾، وهناك قسم ثالث من أقسام طرابلس المثلثة يقع في أقصى الطرف الغربي من الرأس الداخل في البحر، حيث منطقة الميناء التي عرفت عند اليونان القدماء بالاسكلة، وتعني المرفأ⁽⁶⁾ أو الميني⁽⁷⁾، وهذا القسم العمراني هو أساس مدينة طرابلس الفينيقية، ويعتقد بعضهم ان منطقة الميناء كانت مفصولة عن الأراضي اليابسة بذراع من البحر، بحيث كانت جزيرة اتصلت باليابسة على مر القرون بفعل تراكم مجروفات نهر قاديشا (أبو علي)، ويتراوح ارتفاع الاراضي في هذه المنطقة بين مترين وخمسة امتار عن سطح البحر⁽⁸⁾.

و(النهر الكبير)، وهو من الأنهار الدائمة الجريان ينبع من مرتفعات جبل عكار، ويصب في حوض مدينة عرقة فهو أصلح مدخل يدخل فيه من الساحل الى داخل بلاد الشام⁽⁹⁾.

(1) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص177؛ ابو العيين، دراسات، ص224.

(2) افندي، ولاية بيروت، ج2/ ص183.

(3) ينظر: ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص104- ص106.

(4) هضبة صخرية تقوم فوق مجموعة من المغاور وترتفع عن سطح البحر حوالي 70م. ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص104- ص106.

(5) ابن حوقل، المسالك والممالك، ج1/ ص165.

(6) كونتنو، الحضارة الفينيقية، ص29.

(7) ابو العيين، دراسات، ص217.

(8) ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص264.

(9) الزوكة، في جغرافية العالم العربي، ص75.

كما ضمت طرابلس أنهاراً أخرى أقل أهمية بدليل قلة المعلومات الواردة عنها في المصادر التاريخية، إذا لم يرد عنها إلا شذرات متفرقة لم تسعفنا في تكوين صورة وافية عنها مثل: البارود، العميق، العرقاء، العويق، الشيخ زنادة، الشلالات، الأبرس، الصاروت، الغمقة، الحصين، كلها تنبع من جبار عكار وحصن الاكراد وتصب في بحر ، فإن ذلك لا يقلل من أهميتها في العصر العماري. هذه المجاري المائية كانت جزءاً من البيئة الطبيعية المهمة التي وفرت المياه للأراضي الزراعية والقرى المحيطة بالمدينة، وأسهمت في خصوبة سهل طرابلس وبساتينه. بالإضافة إلى دورها في تلبية بعض الاحتياجات اليومية للسكان والحيوانات ودعم الأنشطة الاقتصادية. وفرة المياه في المنطقة الزراعية حول المدينة كان لها دور كبير في توفير المواد الغذائية وتعزيز الموارد الاقتصادية، مما انعكس إيجابياً على استقرار طرابلس وازدهارها. يمكن القول إن أهمية هذه الأنهار بالنسبة لبني عمار لم تكن فقط في استغلال كل مجرى مائي بشكل مباشر، بل كانت جزءاً من شبكة الموارد الطبيعية التي دعمت المجال الاقتصادي والزراعي لطرابلس، وعززت قدرتها على الاستقرار والصمود في ظل الظروف السياسية والعسكرية التي شهدتها الساحل الشامي في القرن الخامس الهجري⁽¹⁾.

5- الجزر:

امتازت طرابلس عن غيرها من المدن الساحلية بوجود العديد من الجزر المتناثرة في وسط البحر بمواجهة الميناء، فقد أشار لها الإدريسي بقوله: "يقابل مدينة طرابلس أربع جزر في وصف، فأولها مما يلي البحر: جزيرة النرجس وهي صغيرة خالية، واليها جزيرة العمد ثم اليها جزيرة الراهب ثم اليها جزيرة اردقون"⁽²⁾.

ومما تقدم يظهر أنّ لموقع مدينة طرابلس أهمية كبيرة على مر العصور وتوالت على هذه المدينة العريقة في تاريخها العديد من الدول، كما شهدت المدينة تعاقب حضارات وثقافات عبر التاريخ مثل الرومان والبيزنطيين والعرب، أدّت المدينة دوراً استراتيجياً هاماً كقاعدة بحرية ودفاعية في العصور الإسلامية.

(1) الصياد، معالم جغرافية الوطن العربي، ج10/ ص107.

(2) نزهة المشتاق، ص18.

خامساً- التقسيمات الادارية:

لم تكن تقسيمات مدينة طرابلس الإدارية مستقرة ولا تسمياتها ثابتة، إذ استخدمت مصطلحات متعددة للدلالة عليها، مثل: قاعدة⁽¹⁾، وحاضرة، وولاية، وعمل⁽²⁾، ومنطقة، وكانت الأكثر شيوعاً⁽³⁾.

أما الأجزاء التابعة لها فقد أطلق عليها اسم (عمل)، وكان يشمل بدوره مجموعة من المدن والقرى، ويبدو أن حدود هذه التقسيمات لم تكن ثابتة ايضاً ولم تتبع قاعدة محددة؛ ففي بعض الأحيان كانت مدينة معينة أو قلعة أو مجموعة من المدن تتبع مدينة رئيسية، ثم تُنقل تبعيتها إلى مدينة أخرى بناءً على تعديلات إدارية، فقد تضاف الأعمال الى عمل آخر أو يفصل العمل الواحد الى عمليْن⁽⁴⁾.

وكانت مدينة اللاذقية تابعة لأعمال حمص⁽⁵⁾ ثم أصبحت تابعة لحلب⁽⁶⁾، كما كانت جبلة جزءاً من أعمال اللاذقية⁽⁷⁾ التي بدورها كانت تتبع في البداية لحمص ثم لحلب، قبل أن تُلحق بطرابلس، أما طرطوس فقد بدأت كجزء من أعمال حمص ثم أصبحت ضمن أعمال طرابلس⁽⁸⁾، كما ان عدد الكور والأعمال كانت خاضعة للزيادة أو النقصان تبعاً للمتغيرات الادارية التي يستدعيها عدد السكان وحالة الأعمال من الاحتلال أو غيره⁽⁹⁾.

ومما تقدم يظهر بوضوح أنّ نشأة مدينة طرابلس لم يكن مرتبطاً مع ظهور الاسلام، إنما لهذه المدينة جذوراً تاريخياً تمتد لزمان أقدم من ذلك، وأنّ سر حيويتها عبر التاريخ هو تنوع جغرافيتها ونقاء بيئتها.

(1) القلقشندي، صبح الاعشى، ج4/ ص146.

(2) اليعقوبي، البلدان، ص89.

(3) ابن الفقيه، البلدان، ص161.

(4) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص355.

(5) ابن الشحنة، المسالك والممالك، ص232؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص62.

(6) المقدسي، احسن التقاسيم، ص62؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2/ ص6.

(7) البغدادي، مرصد الاطلاع، ص312؛ ابن الشحنة، المسالك والممالك، ص267.

(8) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1/ ص6.

(9) ارناف، اطلس تاريخ الاسلام، ص322.

المبحث الأول

التعريف ببني عمار ودورهم في الدولة الفاطمية قبل اعلان الدولة العمارية

أولاً- التعريف ببني عمار:

يُحيط بأصل هذه الأسرة نوعاً من الغموض، وهو أمر ليس بغريب بالنسبة لأسرة مثلها، برزت بفضل كفاءة أبنائها، من غير سابقة في السلطة أو غيرها، فأمرائها كانوا من المغاربة الذين قدموا مصر مع الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (341-365هـ)⁽¹⁾، وعندما قامت الدولة الفاطمية في سنة (297هـ) تولوا مراكز قيادية في مصر والشام⁽²⁾.

وبخصوص نسبها، طُرح رأيان، الأول انهم كتمايون من البربر⁽³⁾، والثاني انهم أسرة عربية، لكن حصل اختلاف في نسبتهم، فقد أرجعهم أبو الفدا (ت732هـ) والقلقشندي (ت821هـ) الى بني كلب⁽⁴⁾ من قضاة⁽⁵⁾ التي ترجع أصولها الى حمير⁽⁶⁾، بينما ذهب المقرئزي (ت845هـ) الى انهم من بني طي⁽⁷⁾، لكنه في موضع آخر قال انهم من بني كلب⁽⁸⁾.

ولعل الرأي الثاني بأن نسبهم عربي هو الأقرب للصواب؛ لتأكيد المقرئزي عليه، الذي ولد ونشأ في بعلبك وعاش وصنف في مصر⁽⁹⁾ مما يجعله أكثر دراية من غيره

(1) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ص222؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص44.

(2) المقرئزي، اتعاظ الحنفاء، ص266

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج12/ ص201.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص44؛ ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص42؛ ابن خلدون، العبر، ج4/ ص70.

(4) المختصر في أخبار البشر، ج1/ ص432؛ نهاية الأرب، ص32-33.

(5) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص440؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ص408؛ الأصمعي، تاريخ العرب قبل الاسلام، ص117.

(6) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج2/ ص551؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ص400.

(7) المقرئزي، اتعاظ الحنفاء، ج2/ ص143.

(8) المصدر نفسه، ج2/ ص143.

(9) المهاجر، ابن البراج، ص29.

بخصوص تاريخ هذه الأسرة ونسبها، وإن تسميتهم بالكثامين جاء لكونهم كانوا شيوخ هذه القبيلة التي كانت تدين بالولاء المعنوي لهم⁽¹⁾.

وقد ظهر دور بني عمار في الدولة الفاطمية عن طريق قبيلة كتامة التي كانت تشكل الجزء الأكبر من الجيش الفاطمي⁽²⁾، فكانوا من عناصر هذا الجيش ثم تدرجت مكانتهم عند الدولة الفاطمية حتى أصبحوا قادة الجيش، ثم برزوا في أدوار أخرى⁽³⁾، مستفيدين من ظروف المنطقة والصراعات السياسية، لتدخل أسرتهم التاريخ كما هو حال أسر أخرى، مثل الحمدانيين⁽⁴⁾ وآل الجراح⁽⁵⁾ والمرداسيين⁽⁶⁾ وبنو عقيل⁽⁷⁾ وغيرهم ممن ساحت لهم الظروف بأن يظهروا ويقدموا نتاجاً حضارياً كبيراً للمجتمع العربي الاسلامي.

ولعل من أبرز رجالات هذه الأسرة الذين كان لهم الفضل في وضع أسس الدولة العمارية، هم:

عمار بن علي بن أبي الحسين، وكان أحد قادة الدولة الفاطمية⁽⁸⁾ في صقلية بحسب ما ذكره القرشي (ت872هـ) بقوله: "أخرج عمار بن علي بن أبي الحسين في عساكر عظيمة، فانتهى إلى صقلية، فظفر بالروم، وغرق كثيراً من أساطيلهم وذلك في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة"⁽⁹⁾، إلا أن الأقدار والطبيعة كانت وراء موته في سنة (345هـ).

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص44؛ ابن خلدون، العبر، ج4/ص70؛ حاج عمر، المسلمون الشيعة، ص29.

(2) القاضي النعمان، المجالس والمسائرات، ص554؛ الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص541.

(3) سيمر الحديث عن هذا الموضوع في النقطة ثانياً من هذا المبحث.

(4) حكم الحمدانيون الموصل وحلب وأسسوا إمارة لهم هناك امتد حكمها للمدة (333-417هـ). ينظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ص67-68؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2/ص191-192.

(5) آل الجراح أسرة عربية ترجع في أصولها إلى قبيلة طي، تمكنت من تأسيس إمارة لها في فلسطين (358-433هـ) واتخذوا من الرملة عاصمة لهم. ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص50.

(6) المرادسيون أسرة عربية من بني مرداس، ترجع أصولهم إلى بني كلاب، تمكنت من تأسيس إمارة لها في حلب للسنوات (417-472هـ). ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج8/ص68-69؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/ص421؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17/ص375-376؛ تاريخ الإسلام، ج9/ص446؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16/ص157؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج15/ص627-628.

(7) بني عقيل أسرة عربية تمكنت من تأسيس إمارة لها في صور سنة (455-483هـ) على يد قاضيها عين الدولة بن أبي عقيل. ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص96-97؛.

(8) ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي، ص123.

(9) تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص584.

أثناء عودته، إذ هبت عليهم عاصفة بحرية دمرت الأسطول الفاطمي وقتلت العديد من جنود الدولة وقاداتها، وهو ما بينه المقرئزي (ت845هـ) بقوله: "فخرجت عليه ريح شديدة بالقرب من صقلية فعطب الأسطول بأسره وغرق القائد عمار في يوم الجمعة لعشر بقين من جمادي الآخرة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ودفن من الغد بصقلية"(1).

وأبو الغنائم الحسن بن علي بن أبي الحسين، وكان من قادة جيش الدولة الفاطمية بأفريقيا والزاب ثم بصقلية(2)، أسندت إليه قيادة المنطقة؛ لانتمائه إلى أسرة بني عمار التي أدت دوراً بارزاً في دعم الدولة الفاطمية(3)، وتثميناً لذلك عهد إليه المنصور(4) بقيادة صقلية، وهو ما كشف عنه ابن خلدون (ت808هـ) بقوله: "عقد المنصور على صقلية للحسن بن أبي الحسن الكلبى من صنائعهم ووجوه قواده وكنيته أبو الغنائم، وكان له في الدولة محل كبير"(5)، فدخلها في سنة (336 هـ)(6) واستقر فيها، وغزا الروم في البر والبحر واتخذ جملة تدابير سياسية وعسكرية وحضارية(7)، وتوفي فيها في سنة (353 هـ) بعد أن أصيب بمرض الحمى، وحزن أهل المدينة عليه كثيراً، وهو ما بينه ابن الخطيب(ت776هـ) بقوله: "حزن أهل صقلية عليه حزناً عظيماً، لما كان قد أجرى الله على يديه من العدل والظهور والخير"(8).

وأحمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسين، الذي تولى حكم صقلية بعد وفاة والده في سنة (353 هـ)، وقد حاول أن يكمل مشوار والده ويكسب العامة ويقوي صقلية(9).

وأبو محمد الحسن بن عمار بن علي بن أبي الحسين، الملقب بأمين الدولة، وكان أحد شيوخ بني عمار، وله أثر بارز في الدولة الفاطمية إذ تولى قيادة الجيش الفاطمي في

- (1) المقفى، ص372؛ ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي، ص123.
- (2) ينظر: ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي، ص122- ص123.
- (3) المقرئزي، المقفى، ص30؛ القرشي، عيون الاخبار، السبع الخامس، ص337.
- (4) إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي، أبو طاهر، المنصور بنصر الله، ثالث خلفاء الدولة الفاطمية بالمغرب، ولد بالقيروان في سنة (302 هـ)، قام بالأمر بالمهدية بعد وفاة أبيه القائم بأمر الله في سنة (334 هـ)، وبويع في سنة (336 هـ)، توفي في سنة (341 هـ) في المنصورية، ودفن في المهدية. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1/ ص76؛ الزركلي، الاعلام، ج1/ ص322.
- (5) العبر، ج4/ ص266.
- (6) ابن الاثير، الكامل، ج7/ ص176؛ أبو الفداء، المختصر، ج1/ ص432.
- (7) ابن الاثير، الكامل، ج7/ ص177؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4/ ص224؛ القرشي، عيون الاخبار، السبع الخامس، ص328.
- (8) تاريخ المغرب العربي، ص123؛ ابن خلدون، العبر، ج4/ ص268.
- (9) ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي، ص124.

عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله في سنة (381هـ)، وهو من فتح الطريق لأبناء قبيلته لينتقلوا الى الشام، توفي في سنة (390هـ)⁽¹⁾.

وأبو الحسين **عمار بن محمد أبو الحسين** الملقب بخطرير الملك رئيس الرؤساء، وكان من المؤثرين في صنع القرار في الدولة الفاطمية، اذ شغل مناصب رفيعة فيها، كالوزارة وديوان الإنشاء، توفي في سنة (412هـ)⁽²⁾.

وأبو **الكتائب أحمد بن عمار**، وكان شيخاً جليلاً، وله أثرٌ كبيرٌ في الدولة الفاطمية، اذ وضع له أبو الفتح الكراكي (ت449هـ)⁽³⁾ كتاب (عدة البصير في حج يوم الغدير)⁽⁴⁾، وأُسند له القضاء في مصر، توفي في سنة (457هـ)⁽⁵⁾.

ومما تقدم يتبين ان أسرة بنو عمار عربية، وانهم كانوا شيوخ قبيلة كتامة المغربية، وساعدتهم الظروف العامة على البروز ليكونوا نواة لدولة تم الاعلان عنها لاحقاً.

ثانياً- دورهم في الدولة الفاطمية قبل اعلان الدولة العمارية:

كان لعدد من أفراد بني عمار أثراً في صنع القرار بالدولة الفاطمية قبل اعلان الدولة العمارية، حتى شغل عدد منهم مناصب مهمة، وكالاتي:

1- دورهم في ولاية العهد:

ورث الفاطميون نظام ولاية العهد من الخلافتين الأموية والعباسية، الذي يعتمد بشكل عام على عهد الوالد لولده، مما يعني أن الحكم عادة ما ينتقل إلى الأبناء. نظام ولاية العهد

(1) ابو شجاع، ذيل تجارب الامم، ج3/ص222؛ تدمري، الحياة الثقافية، ص39
(2) ابن الصيرفي، الإشارة، ص80؛ الزركلي، الأعلام، ج5/ص36. وسيمر الحديث عن دوره في الوزارة وديوان الإنشاء في المبحث الثاني من الفصل الثاني من رسالتنا.
(3) أبو الفتح محمد بن علي الكراكي، كان شيخ الشيعة، نحويًا ولغويًا، وله عدة مصنفات، توفي في مدينة صور. ينظر: الذهبي، العبر، ج2/ص294-295؛ سير أعلام النبلاء، ج18/ص121؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4/ص96؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج2/ص443.

(4) أحد مصنفات الكراكي التي اختصت في البحث بإثبات إمامة علي بن ابي طالب (عليه السلام) في يوم الغدير، وهو جزء واحد من مائتي ورقة. الأمين، اعيان الشيعة، ج3/ص220؛ الطهراني، الذريعة، ج15/ص277.

(5) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج10/ص584؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا، ج2/ص155. وسيمر الحديث عن دوره في القضاء في الفصل الثاني المبحث الثاني من رسالتنا. وينظر: ملحق رقم 1.

لدى الفاطميين تميز بخصوصية واضحة، وهي انتقال الإمامة⁽¹⁾ من الأب إلى الابن عن طريق التعيين بالنص⁽²⁾.

أي النص عليه من قبل الإمام السابق⁽³⁾، كذلك نصت تقاليدهم في هذه المسألة على أن تبقى ولاية العهد خفية في بعض الحالات، حيث قد يحتفظ الإمام بوصيته سراً ولا يفصح عنها إلا لبعض الموثوقين⁽⁴⁾، كما أن الإمام لا يستطيع تعيين أكثر من وريث واحد، إذ تقتضي التقاليد النص على إمام واحد فقط⁽⁵⁾، وهو ما خالف به الفاطميين الأعراف والتقاليد التي عرفت الخلفاء الأموية والعباسية في ولاية العهد⁽⁶⁾.

وخير مثال على ذلك عندما عين القائم بأمر الله (322-334هـ) ولي عهده المنصور بالله في سنة (334هـ) أحضر بعض الثقات فقط من وجوه كتامة، وهو ما كشف عنه ابن حماد الكتامي (ت626هـ) بقوله: "في شهر رمضان من سنة 334هـ ولي أبو القاسم إسماعيل ولي عهده، وفوض إليه أمره وأدخل جماعة من وجوه كتامة ورؤسائهم إلى نفسه، فقال هذا مولاكم وهو ولي عهدي والخليفة من بعدي"⁽⁷⁾.

وكان الفاطميون لا يطلبون توافر شروط خاصة في الإمام مثل الشروط التي كانت موجودة عند الأمويين والعباسيين، منها العمر والعدالة والعلم وسلامة الحواس والأعضاء وحسن الرأي والشجاعة والنسب وأن يكون من قریش⁽⁸⁾، مما أدى إلى وصول عدد كبير

(1) لقب استخدمه الفاطميون عوضاً عن لقب الخلافة الذي استخدمه الأمويون والعباسيون اقتداءً بالإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي كان أول من اتخذ هذا اللقب، وكانوا يسمونه إماماً تشبيهاً بإمام الصلاة في وجوب أتباعه والاقتداء به، لذا سمو الخلافة بالإمامة الكبرى؛ تميزاً لها عن الإمامة الصغرى، هي إمامة الصلاة؛ حرصاً منهم على إظهار صفتهم الروحية وسلطتهم الدينية. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج1/ص239؛ ماجد، نظم الفاطميين، ج1/ص51؛ الشيال، مجموعة الوثائق الفاطمية، ص22.

(2) ينظر: القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج1/ص43-45، الشيال، مجموعة الوثائق الفاطمية، ص24.

(3) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص11؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص249؛ ماجد، نظم الفاطميين، ج1/ص56؛ الشيال، مجموعة الوثائق الفاطمية، ص24.

(4) سيد، الدولة الفاطمية، ص249.

(5) ماجد، نظم الفاطميين، ج1/ص57؛ تامر، الحاكم بأمر الله، ص115؛ الحدراوي، الحاكم بأمر الله، ص65.

(6) سيد، الدولة الفاطمية، ص249.

(7) أخبار ملوك بني عبيد، ص57.

(8) ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص5-6؛ ابن خلدون، العبر، ج1/ص241؛ ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص27.

من صغار السن إلى منصب الإمامة، مثال على ذلك الحاكم بأمر الله الذي كان عمره إحدى عشرة سنة ونصف والظاهر لإعزاز دين الله ستة عشر سنة وعمر المستنصر بالله ثمان سنوات وعمر الأمر بأحكام الله خمس سنين وعمر الفائز بنصر الله خمس سنين أيضاً والعاقد لدين الله إحدى عشرة سنة⁽¹⁾، وهو ما مكن بعض رجال القصر ونسائه والوزراء وقادة الجيش من التسلط والسيطرة على الدولة.

ولمكانة بنو عمار عند الفاطميين كان لهم أثر في اسناد ولاية العهد في أحوال كثيرة، كان أولها عندما مرض العزيز بالله الفاطمي (365-386هـ) في العشر الأخيرة من رجب سنة (386هـ)⁽²⁾، واحتضر في مدينة بلبيس⁽³⁾ استدعى قبيل وفاته القاضي محمد بن النعمان (ت389هـ)⁽⁴⁾ وأبو محمد الحسن بن عمار، وأوصاهما بولده وولي عهده الحاكم الذي كان صغيراً⁽⁵⁾.

وبهذا صار الأمر للحاكم بأمر الله (386-411هـ) بعد وفاة العزيز بالله الفاطمي⁽⁶⁾، وأصبح الحسن بن عمار الوصي الرسمي عليه مع برجوان الخادم (ت390هـ)⁽⁷⁾؛ وهو ما صرح به النويري (ت733هـ) بقوله: "تولى كفالته برجوان الخادم، وقام بأمر الجيوش وتدبير أمور الدولة أبو محمد الحسن بن عمار ابن أبي الحسين وتلقب بأمين الدولة، وهو أول من لقب في دولتهم في مصر، وكان ذلك بوصية العزيز"⁽⁸⁾.

- (1) ماجد، نظم الفاطميين، ج1/ ص57؛ الطيار، مدينة القاهرة خلال عصر الخلافة الفاطمية، ص125.
- (2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/ ص186.
- (3) بلبيس مدينة قديمة في مصر قرب القسطنطينية على طريق بلاد الشام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1/ ص479؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص119.
- (4) محمد بن النعمان بن محمد بن منصور، أبو عبد الله، تولى قضاء مصر في سنة (374هـ)، وكانت له مكانة عظيمة في الدولة الفاطمية. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج9/ ص106- ص107؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5/ ص89؛ الزركلي، الأعلام، ج7/ ص126.
- (5) الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص237؛ النويري، نهاية الأرب، ج28/ ص105.
- (6) ابن ميسر، أخبار مصر، ص50؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/ ص186.
- (7) أبو الفتوح برجوان الذي تنسب إليه حارة برجوان بالقاهرة، كان من خدام العزيز بالله صاحب مصر ومدبري دولته، وكان نافذ الأمر، نظر في أيام الحاكم في ديار مصر والحجاز والشام والمغرب في سنة (388هـ)، قُتل في القصر بأمر الحاكم بأمر الله. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/ ص270.
- (8) نهاية الأرب، ج28/ ص105.

يتضح من ذلك أنَّ الحسن بن عمار كان يتمتع بمكانة مرموقة لدى الدولة الفاطمية بدليل تلقيه بـ "أمين الدولة"، وأنَّ الحاكم بأمر الله كان يخاطبه: "أنت أميني على دولتي ورجالي"⁽¹⁾، دلالة على دوره الكبير في تدبير أمور الدولة خلال هذه المرحلة.

إنَّ ولاية العهد في الدولة الفاطمية لم تستقر على مبدأ معين، وهو ما كان يصب في صالح زيادة نفوذ أسرة بنو عمار، ومن ذلك مبايعة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي (411-427هـ) ابن الحاكم بالأمر بعد ان أقصاه والده عن ولاية العهد، وعين ابن عمه عبد الرحيم بن الياس (ت 411هـ)⁽²⁾ في سنة (404هـ) بدلاً منه⁽³⁾، لم يكن الحاكم بأمر الله جاداً في تعيين عبد الرحيم ولياً للعهد على الرغم من منحه صلاحيات واسعة؛ لأنه أراد لعبد الرحيم دوراً مؤقتاً ليكون وصياً ومؤازراً لابنه الظاهر لإعزاز دين الله حتى بلوغه سن الرشد، ويتضح ذلك من الألقاب التي استخدمها الحاكم، حيث منح عبد الرحيم لقب "ولي عهد المسلمين"، بينما احتفظ لابنه الظاهر بلقب "ولي عهد المؤمنين"، وهو ما عكس أهمية لقب الإيمان داخل العقيدة الفاطمية⁽⁴⁾، مقارنة بكلمة مسلم التي تعبر عن عموم الإسلام، وفي ضوء هذا التمييز، يمكن اعتبار إعلان ولاية العهد لعبد الرحيم غير شرعي من منظور العقيدة الفاطمية، حيث يبرز الإيمان بشكل مركزي في سياقها، أما عن منح الحاكم كافة الصلاحيات لعبد الرحيم، فيبدو أنه كان يهدف إلى الافادة من خبراته لتخفيف الأعباء المرتبطة بشؤون الحكم⁽⁵⁾، وهو ما بينه الانطاكي (ت 458هـ) بقوله: "ولى الحاكم عهده لابي القاسم عبد الرحيم بن الياس... وجعله الخليفة من بعده، وذلك في شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعمئة، ودعي له على المنابر في سائر أعمال المملكة"⁽⁶⁾.

وبهذا نلاحظ أنَّ الحاكم بأمر الله قد خالف الثوابت التي وضعت في مسألة ولاية العهد بأن تنتقل من الأب إلى الابن وليس إلى ابن العم.

- (1) ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص 87؛ المقرئزي، المقفى، ص 374 .
- (2) أبو القاسم عبد الرحيم بن الياس بن احمد بن عبيد الله المهدي، من أمراء الدولة الفاطمية في مصر، ولي عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج 3/ ص 343-344 .
- (3) ماجد، نظم الفاطميين، ج 1/ ص 60؛ تامر، الحاكم بأمر الله، ص 116.
- (4) القاضي النعمان، دعائم الاسلام، ج 1/ ص 15 .
- (5) ماجد، نظم الفاطميين، ج 1/ ص 60؛ تامر، الحاكم بأمر الله، ص 116؛ الحدراوي، الحاكم بأمر الله، ص 58.
- (6) تاريخ الانطاكي، ص 306؛ وينظر: المقرئزي، اتعاظ الحنفاء، ج 1/ ص 387-488؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4/ ص 235 .

وبعد وفاته في سنة (411هـ)⁽¹⁾ تولت تدبير شؤون الدولة الفاطمية أخته ست الملك (ت414هـ)⁽²⁾ وحكمت لمدة أربع سنوات أظهرت فيها حنكة وحكمة في إدارة الأمور، فزادت هيبتها وعظمت شخصيتها، وعاشت بعد الحاكم أربع سنين وماتت⁽³⁾.

وكانت قد ألغت الوضع الذي أوجده الحاكم بتولية ابن عمه ولاية العهد، واعتمدت في ذلك على أبي الحسن محمد بن عمار الملقب بخطير الدولة، وكان من خواص رجال الدولة الفاطمية، فطلبت منه احضار ولي العهد عبد الرحيم بن الياس الذي كان مقيماً في مدينة دمشق⁽⁴⁾. وقد نقل ابن تغري بردي (ت874هـ) هذا الحدث برواية نصها: "أحضرت خطير الملك الوزير وعرفته الحال، واستكتمته واستحلفته على الطاعة والوفاء، ورسمت له بمكاتبة ولي العهد"⁽⁵⁾.

وقام محمد بن عمار بمراسلة الأمراء والقادة في دمشق، مطالباً بالقبض على عبد الرحيم بن إلياس، وبالفعل تم ترحيله إلى مصر حيث لقي حتفه داخل القصر⁽⁶⁾، وجاءت هذه الخطوة بهدف السيطرة على الأوضاع ونقل السلطة من الحاكم إلى ابنه وولي عهده الشرعي الظاهر لإعزاز دين الله، الذي كان يعيش مع والدته في قصر ست الملك منذ سنة (404هـ)⁽⁷⁾، وبعد ذلك قامت ست الملك بتكريم الظاهر لأعزاز دين الله، حيث ألبسته أروع الملابس وزينت رأسه بتاج جده المعز لدين الله، تعبيراً عن الفخر والاعتزاز،

(1) اختلفت المصادر التاريخية في مقتل الحاكم بأمر الله، فالبعض منها اتهم أخته ست الملك أخته بقتله بالتعاون مع ابن دواس الكتامي. ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص129؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا، ج1/ ص396-397؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4/ ص187 وما بعدها؛ وبعض آخر اتهم ابن دواس وحده بقتله وبرأ ست الملك. الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص361؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1/ ص271.

(2) بنت العزيز بالله الفاطمي وأخت الحاكم بأمر الله الفاطمي، كانت من النساء المدبرات الحازمات، وكان الحاكم بأمر الله يستشيرها في معضلاته. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/ ص142؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج7/ ص196؛ الصفي، الوافي بالوفيات، ج10/ ص69.

(3) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص313؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4/ ص78؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4/ ص198.

(4) الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص306؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا، ج1/ ص396؛ ماجد، الحاكم بأمر الله، ص178.

(5) النجوم الزاهرة، ج4/ ص191.

(6) الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ج2/ ص368؛ النويري، نهاية الأرب، ج28/ ص128-129؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4/ ص196.

(7) سيد، الدولة الفاطمية، ص118.

و"أركبته مركباً من مراكب الخليفة"⁽¹⁾، وهي من عادات تسلم ولي العهد الحكم في الدولة الفاطمية، وأخذ له البيعة محمد بن عمار في يوم عيد الأضحى في سنة (411هـ)⁽²⁾، وذكر ابن تغري بردي (ت874هـ) ذلك بقوله: "صاح خطير الملك الوزير: يا عبيد الدولة، مولاتنا السيدة تقول لكم هذا مولاكم فسلموا عليه، فقبلوا الأرض بأجمعهم، وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل، ولقبوه الظاهر لإعزاز دين الله"⁽³⁾.

واعتمدت على محمد بن عمار في بادئ الأمر، إلا أنها أمرت بقتله فيما بعد، بسبب خوفها على الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي، وهو ما بينه الانطاكي (ت458هـ) بقوله: "افتتن الظاهر بذلك، وتوفر عليه، وواصل الركوب إلى دار رئيس الرؤساء خطير الملك عمار بن محمد والمقام بها للمنادمة وسماع الأغاني فأنكرت السيدة عمته ذلك خوفاً عليه من حيلة تتم عليه وقتلت رئيس الرؤساء خطير الملك"⁽⁴⁾.

يتبين لنا مما سبق أن العماريين لم يتسمنوا منصب ولاية العهد، لكن كان لعدد منهم دور في صنع قرار اسناده.

2- قيادة الجيش الفاطمي:

شكلت قبيلة كتامة بقيادة بني عمار، الركيزة الأساسية التي اعتمدت عليها الدولة الفاطمية، إذ كانت العمود الفقري لقواتها العسكرية التي واجهت بها خصومها وساهمت في ترسيخ سيطرتها على الأراضي، ولأن بني عمار شيوخ هذه القبيلة، فمن الطبيعي أن يكون لهم تأثير كبير في قيادة الجيش الفاطمي وصنع القرار في الدولة الفاطمية⁽⁵⁾.

وقد أثبتت فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد⁽⁶⁾ في عام (333هـ) إبراز قوة بني عمار والكتاميين في الدفاع عن الدولة الفاطمية الناشئة، إذ قاد عمار بن علي الجيش الفاطمي في

(1) المقرئزي، اتعاط الحنفاء، ج2/ ص3- ص4؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4/ ص192.

(2) ابن الصيرفي، الإشارة، ص80.

(3) النجوم الزاهرة، ج4/ ص192.

(4) تاريخ الانطاكي، ص374.

(5) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ص222؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص44؛ العميرة، الجيش الفاطمي، ص60.

(6) مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتي الخارجي، الملقب بصاحب الحمار، لأنه كان يمتطي حماراً أشهباً. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص495؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/ ص126؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج8/ ص167.

شمال أفريقيا⁽¹⁾، لمواجهة قوات أبي يزيد، وهي إحدى أخطر الحركات التي تعرضت لها الدولة الفاطمية وكادت أن تؤدي إلى انهيارها، إذ نجحت باقتطاع أجزاء مهمة من أراضي الدولة الفاطمية ونشرت حالة واسعة من الفوضى والاضطراب، لكن بفضل حكمة وشجاعة عمار بن علي، الجد الأكبر لعائلة بني عمار، تمكن الجيش الفاطمي من القضاء على قوات أبي يزيد⁽²⁾، مبرهنًا على قدرة الفاطميين في التصدي للتحديات الكبرى، وهو ما بينه المقرئ بقوله: "فبعثه على رجال كتامة إلى تونس في فتنة أبي يزيد مخلص بن كيداد... فقاتله وهزمه عمار وتبعه إلى تونس وقتل كثيراً من أصحابه، وأخذ ثلاثة آلاف جمل تحمل طعاماً وغيره، وعاد إلى القائم بالمهدية، فأمره أن يقيم بسوسة"⁽³⁾.

ونتيجة لتلك الجهود ومساهماتهم في إيقاف وتدمير الفتنة كافأته الدولة الفاطمية على إخلاصه وجهده الكبير، ثم جعله الخليفة القائم بأمر الله الفاطمي والياً على مدينة سوسة⁽⁴⁾.

لقد جمع النظام الفاطمي الجانبين السياسي والعسكري في إدارة شؤون الدولة، حيث لم يكن دور والي المدينة مقتصرًا على تنظيم أمورها وإدارتها فقط، بل يشمل مسؤولية الدفاع عنها عسكرياً ضد أي تهديد خارجي أو داخلي، كما كان له دور مهم في صياغة السياسات التي تخدم مصالح الدولة الفاطمية بشكل عام وتحقق أهداف المنطقة بشكل خاص، وله دور في الحروب تعزيز جيوش الدولة وتوجيه الإمدادات إلى النواحي المهددة

(1) القرشي، عيون الأخبار، السبع الخامس، ص 184.

(2) ينظر: الدشراوي، الخلافة الفاطمية، ص 265-269.

(3) المقفي، ص 372.

(4) سوسة مدينة قديمة من بلاد أفريقيا على ساحل البحر. الحميري، الروض المعطار، ص 331.

أو المدن المحاصرة فترات الاضطرابات(1).

وهذا ما قام به الحسن بن علي، إلى جانب أخيه عمار بن علي، بالدفاع عن المدن التي كانت تحت سيطرتهم ضد قوات أبي يزيد، وفي إطار ذلك، بادر الحسن بن علي، والي تونس، بإرسال جيش كبير بقيادة أخيه عمار بن علي لمواجهة جيوش أبي يزيد بالقرب من تونس، حيث نجحوا في إلحاق الهزيمة به(2) بفضل جهود بني عمار واستبسالهم في القتال، تمكنوا من حماية الدولة الفاطمية من الأطماع التي كانت تهددها، إذ استطاع الجيش الفاطمي بقيادة كتامة وبني عمار بشكل كبير في القضاء على فتنة أبي يزيد الخطيرة، وهو ما دفع الخليفة المنصور بالله الفاطمي إلى الإشادة بدورهم العظيم خلال خطبته التي أعلن فيها وفاة والده القائم وانتهاء تلك الفتنة المدمر: "يا أهل دعوتنا، يا أنصار دولتنا، يا كتامة، احمدا الله وأشكروه على ما خصكم به من نعمته وحييته منته وفضلكم به على كافة الخلق في غرب وشرق، وبدأكم بالنعمة العظمى ثم شفّعكم بالمنة الكبرى"(3).

ولم يكتف بنو عمار بما تقدم بل حسموا تطلعات أبي خزر الزناتي (ت360هـ)(4) الذي أراد التخلص من الفاطميين وتكوين دولة هناك بمساعدة ودعم قبيلته له في سنة (358هـ) مما اضطر الحسن بن عمار إلى تحريك جيشه ومحاربتة وانزال الهزيمة به وإعادة الاستقرار والهدوء للمنطقة من جديد(5).

كما شارك بنو عمار في توسيع رقعة الدولة الفاطمية وتثبيت حكمها في الولايات التابعة لها مثل صقلية، التي مثلت ذروة النزاع بين الفاطميين والبيزنطيين، مما حدا بالخليفة المعز بالله الفاطمي لإرسال جيش ضخم بقيادة الحسن بن عمار الحق الهزيمة بالبيزنطيين الذين حاصروا رمطة(6) في سنة (352هـ) وتمكن من قتل قائدهم وسقوط أغلب جيشه(7)،

(1) الدشراوي، الخلافة الفاطمية، ص524 .

(2) ابن الأثير، الكامل، ج7/ ص190؛ القرشي، عيون الأخبار، السبع الخامس، ص184 .

(3) ينظر: الجوزري، سيرة جودر، ص59- ص60؛ القرشي، عيون الأخبار، السبع الخامس، ص327؛ العمايرة، الجيش الفاطمي، ص63 .

(4) اسمه محمد بن الخير بن محمد بن خزر الزناتي، كان من كبار زعماء قبائل زناتة الأمازيغية، وأحد أقوى ملوك المغرب في عصره، خاض صراعات سياسية وعسكرية كبيرة ضد الدولة الفاطمية وقبائل صنهاجة في شمال إفريقيا. القرشي، عيون الأخبار، السبع السادس، ص175.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج7/ ص315؛ المقرئ، المقفى، ص373 .

(6) قلعة حصينة بجزيرة صقلية بينهما ثمانية أميال وهي بعيدة من البحر فوق جبل وفيها آثار الماء. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3/ ص68 .

(7) ابن الأثير، الكامل، ج7/ ص285؛ النويري، نهاية الأرب، ج24/ ص204؛ ابن خلدون، العبر، ج4/ ص60؛ المقرئ، المقفى، ص373 .

وهكذا "فتح الله قلعة رمطة على يد الحسن بن عمار"⁽¹⁾، ومن حينها أصبحت رمطة تابعة للدولة الفاطمية.

وامتد دور بني عمار الى قيادة الاسطول الفاطمي في العديد من المواجهات، كقيادتهم له إلى صقلية وتحقيق انتصارات عظيمة، في معركة مجاز مسيني سنة (354هـ) وقعت المعركة في سياق الصراع الفاطمي-البيزنطي حول رمطة في صقلية. فعندما أرسل البيزنطيون جيشاً كبيراً لنجدة أهل رمطة المحاصرين، تولى الحسن بن عمار قيادة القوات الإسلامية التي واجهتهم، وتمكن المسلمون من إلحاق هزيمة كبيرة بالقوات البيزنطية، وقتل قائد الجيش البري البيزنطي منويل وعدداً من كبار قادته. وبعد ذلك استكمل المسلمون حصار رمطة حتى فتحوها، ثم جاءت الموقعة البحرية عند مجاز مسيني؛ إذ عبرت القوات الإسلامية مضيق مسيني باتجاه ريو (ريجيو دي كالابريا) في جنوب إيطاليا، واشتبكت مع الأسطول البيزنطي، وتمكنت من إغراق عدد من سفنه وتدمير جانب كبير من الأسطول، ثم توغلت السرايا الإسلامية في مدن قلورية، مما اضطر بعضها إلى طلب الصلح ودفع الأموال. ولذلك عُرفت الواقعة بـ موقعة المجاز؛ لأن المسلمين جازوا مضيق مسيني إلى البر الإيطالي⁽²⁾. وقد وثق ذلك المقريري بقوله: "فسار من قبل أخيه الحسن بن علي متولي صقلية على اسطول إلى بلاد الروم"⁽³⁾.

وفي إطار نشاطهم البحري دعم بنو عمار القائد جوهر الصقلي⁽⁴⁾ في مواجهة القرامطة⁽⁵⁾ في سنة (361هـ)، حين قادوا الاسطول الفاطمي ضدهم، فقد روي: "لما قدم

(1) المقريري، المقفى، ص373.

(2) المقفى، ص371؛ وينظر: القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص582.

(3) المقفى، ص372؛ وينظر: القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص584.

(4) جوهر بن عبد الله أبو الحسن، القائد مولى المعز لدين الله الفاطمي، ولد في سنة (312هـ)، واستمر في خدمة الدولة الفاطمية، وكان من أعظم قوادها، توفي في القاهرة سنة 381هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/ ص193؛ المقريري، المقفى، ص327؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4/ ص29؛ الزركلي، الأعلام، ج2/ ص148.

(5) من الإسماعيلية أتباع حمدان قرمط، كان أول ظهورهم في الكوفة سنة (264هـ) ثم انتشرت دعوتهم في أنحاء مختلفة مثل البحرين والقطيف وغيرها. ينظر: الطبري، تاريخ، ج10/ ص23؛ الصابي، تاريخ أخبار القرامطة، ص6- ص12؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج2/ ص929.

الاسطول في ذي القعدة من المغرب خرج عليه ابن عمار في ذي الحجة وسار إلى تنيس⁽¹⁾، ولقي اسطول القرامطة، فاخذ منه سبع قطع، واسر خمسمائة رجل⁽²⁾.

واستمر الحسن بن عمار في قيادة الجيش الفاطمي طوال فترة حكم المعز لدين الله الفاطمي في مصر، وأصبح في عهد الخليفة العزيز بالله من أبرز رجال الدولة وارتفعت مكانته وتقلد أعلى المناصب الإدارية فيه⁽³⁾.

ومما تقدم يظهر أنّ لبني عمار أثراً مهماً في قيادة الجيش الفاطمي، وبفضل كفاءتهم واخلاصهم استطاعت الدولة الفاطمية كبح جماح الكثير من الأطراف التي ناصبتها العداء، والحققت بهم هزائم عسكرية جسيمة، الذي عزز من مكانة بني عمار

3- الوزارة:

لم يعرف الفاطميون في المرحلة الأفريقية منصب الوزير، إنما ظهرت في مصر بصورة محدودة الصلاحيات في سنة (347هـ)⁽⁴⁾، وظل الحال كذلك حتى ظهور بدر الجمالي (ت487هـ)⁽⁵⁾، واسنادها له، إذ توسعت صلاحياتها وصار صاحبها مفوضاً⁽⁶⁾، وأصبحت من أرفع وظائف الدولة الفاطمية وأعلىها رتبة⁽⁷⁾.

وقد تولى الحسن بن عمار منصب الوزارة في أيام الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي في سنة (386هـ)⁽⁸⁾، لكن باسم الوساطة، ويبدو انها انذاك كانت أقل شأناً من الوزارة، وهو ما بينه القلقشندي بقوله: "اعلم ان الوزارة في الدولة الفاطمية كانت تارة في أرباب السيوف وتارة أرباب الأقلام وفي كلا الجانبين تارة تعلق فتكون وزارة تفويض تضاهي

(1) تنيس جزيرة في مصر على ساحل البحر المتوسط قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط. ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص168؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2/ ص51؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص119؛ الحميري، الروض المعطار، ص137.

(2) ينظر: المقرئزي، المقفى، ص373- ص374.

(3) المناوي، الوزارة والوزراء، ص86؛ زكار، مدخل، ص793.

(4) المقرئزي، الخطط، ج1 ص439؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص34.

(5) بدر بن عبد الله الجمالي، الأرمني، أبو النجم أمير الجيوش المصرية، ولي دمشق من قبل المستنصر بالله الفاطمي سنة (455هـ)، ثم استدعاه إلى مصر واستعان به وأصبح الحاكم في دولته. ينظر: ابن الصيرفي، الإشارة، ص55- ص56؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19/ ص81؛ ابن حجر، رفع الأصر، ص91- ص92؛ الزركلي، الأعلام، ج2/ ص45.

(6) ينظر: سيد، الدولة الفاطمية، ص250؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص36- ص37.

(7) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3/ ص482.

(8) ينظر: أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ص222؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص44- ص45؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص53؛ سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص127.

السلطنة الآن أو قريباً منها ويعبر عنها حينئذ بالوزارة، وتارة تنحط فتكون دون ذلك ويعبر عنها حينئذ بالوساطة"⁽¹⁾.

لكن ما ميز وساطة بني عمار انها استندت الى نفوذهم الذي كان أعلى شأنًا من الوزارة ذاتها، فكانت وساطتهم استئارا لم يخضع لقاعدة القلقشندي السابقة، ودليل ذلك هو ان الحسن بن عمار كان مدبر دولة الخليفة الحاكم بأمر الله على الرغم من انه وسيطاً، وفاق نفوذه نفوذ الكثير من الوزراء، وهو ما عبر عنه السيوطي (ت911هـ) بقوله: "أما الوزارة فصاحبها ثاني السلطان إذا انصف، وعرف حقه"⁽²⁾.

واتسمت مراسيم تعيين الوزير في الدولة الفاطمية بالأبهة والعظمة، اذ كان ينظم احتفال كبير في قصر الخلافة لتكريم هذه المناسبة المميزة، وهو ما جرى في اسناد الوزارة للحسن بن عمار، اذ نُظم حفل كبير في قصر الخلافة بحضور الخليفة الحاكم بأمر الله، بين المقرئ (ت845هـ) ملامحه العامة بقوله: "قلده سيفاً من سيوف العزيز بالله، وحمله على فرس بسرج من ذهب... وقاد بين يديه عدة خيول، وحمل معه خمسين ثوباً من سائر البز الرفيع، ونزل من القصر إلى داره في موكب عظيم"⁽³⁾، ليمنحه خلعة الوزارة التي تُعد الزي الرسمي والمميز له عن بقية الأمراء والموظفين، وكانت عبارة عن طيلسان⁽⁴⁾، مما دل على مكانة الحسن بن عمار عند الحاكم بأمر الله.

ولقب الحسن بن عمار بـ"أمين الدولة"، وهو أول من لقب به في الدولة الفاطمية⁽⁵⁾، وأصبحت له سلطة واسعة في الدولة فاقت صلاحيات الوزير، فسيطر على الحكم وتغلب على منافسيه بالاعتماد على قبيلته كتامة، وهو ما بينه ابن القلانسي (ت555هـ) بقوله:

(1) صبح الأعشى، ج3/ ص482- ص483.

(2) حسن المحاضرة، ج2/ ص130.

(3) المقفى، ص374؛ اتعاط الحنفا، ج1/ ص326.

(4) الطيلسان من ألبسة الرأس، وهو ضرب من الأكسية التي توضع على الرأس فوق العمامة ويدار طرفاه حول الرقبة أو يسدل اسفله فوق الاكتاف أو على الظهر يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ. العسكري، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ص143؛ ابراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص306.

(5) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ص222؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص44؛ ابن الصيرفي، الإشارة، ص26؛ ابن الأثير، الكامل، ج7/ ص479.

"استولى على الأمر وبسط يده في الاطلاق والعطاء والصلات بالأموال والثياب"⁽¹⁾، ولمكانته هذه صار "الناس على اختلاف طبقاتهم يترجلون له"⁽²⁾.

فأقر الحاكم بأمر الله له ما شرعه العزيز بالله من جرايات منتظمة، تضمنت تمويل مطابخه بمبلغ شهري قدره خمسمائة دينار لتغطية احتياجات اللحم والتوابل ونحوها، فضلاً عن تقديم سلة فاكهة بصورة يومية بقيمة دينار، إلى جانب عشرة أرتال من الشمع، وحمل من البلح يُمنح كل يومين⁽³⁾، قال المقرئزي: "أجرى لابن عمار ما كان يجري له في أيام العزيز بالله من الجرايات لنفسه ولأهله وحرمة"⁽⁴⁾.

لكن هذا الحال لم يدم، إذ تحالف عليه الحاسدون والمبغضون والمخالفون، وحرصوا الشعب عليه، فتمكنوا في النهاية من الإطاحة به وعزله عن منصبه، وقد صور ابن القلانسي مشهد تلك النهاية بقوله: "حمل الغلمان عليه فانهزم، وزحفت العامة إلى داره فانتهبوها، وفتحوا خزائنه وتفرقوا ما فيها"⁽⁵⁾، والمقرئزي بقوله: "فامتدت الأيدي إلى دار ابن عمار واصطبلاته... فنهبوا منها ما لا يحصى كثرة"⁽⁶⁾.

واعتلى الوساطة أيضاً من أسرة بني عمار، خطير الملك عمار بن محمد، إذ اسندها له الظاهر لإعزاز دين الله "في شهر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة واربعمائة خلع عليه للوساطة وكتب له سجل بذلك، وزال أمره في ذي القعدة من السنة المذكورة، وكانت مدة نظره سبعة اشهر وأيام"⁽⁷⁾.

ومما تقدم يظهر ان اثنين من بني عمار قد اختارتهم الدولة الفاطمية ليكونوا وزراء فيها، أي أن مركز الوزير ونفوذه يتأثر بقوة الخليفة وشخصية الوزير نفسه وهو ما نلاحظه على وزراء بني عمار الذي كان لهم من القوة والنفوذ ما سيطروا به على الدولة سيطرة تامة.

(1) ذيل تاريخ دمشق، ص44؛ وينظر: ابن الصيرفي، الإشارة، ص26؛ ابن الأثير، الكامل، ج7/ ص479.

(2) ابن الصيرفي، الإشارة، ص26؛ وينظر: المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج1/ ص327؛ المقرئزي، ص374-375.

(3) ابن الصيرفي، الإشارة، ص26؛ المقرئزي، الخطط، ج2/ ص445.

(4) الخطط، ج2/ ص445.

(5) ذيل تاريخ دمشق، ص49.

(6) الخطط، ج2/ ص445؛ اتعاظ الحنفا، ج1/ ص331.

(7) ابن الصيرفي، الإشارة، ص33-34؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج2/ ص39.

4- رئاسة ديوان الإنشاء:

كان ديوان الإنشاء من أهم دواوين الإدارة في الدولة الفاطمية، ويلي الوزارة في الأهمية، ويُطلق عليه اسم (ديوان الرسائل) أو (ديوان المكاتبات)⁽¹⁾.

ووصف القلقشندي أهميته بالقول: "كانت الكتابة من أشرف الصنائع وأرفعها وأربح البضائع وأنفعها، وأفضل المآثر وأعلاها، وآثر الفضائل وأغلاها لاسيما كتابة الإنشاء التي هي منها بمنزلة سلطانها وإنسان عينها بل عين إنسانها لا تلتفت الملوك إلا إليها ولا تعول في المهمات إلا عليها"⁽²⁾.

وقد أبدت الدولة الفاطمية في مصر اهتمامًا بالغًا بهذا الديوان، لحاجتها إلى تعزيز الدعاية لحكامها في بواكير حكمهم، مما تطلب من الديوان بذل جهود كبيرة لتحقيق ذلك، "فارتفع بهم قدره وشاع في الآفاق ذكره"⁽³⁾.

وكان يترأس الديوان كاتب يتم اختياره وفق الكفاءة ولاسيما في مجالي الأدب والنحو والولاء، ويطلق عليه تسمية (رئيس) أو (متولي الديوان) أو (صاحب الديوان)⁽⁴⁾، ويخاطب بـ "الشيخ الأجل"، ويُلقب بـ "كاتب الدست الشريف"⁽⁵⁾ لكتابته بين يدي السلطان⁽⁶⁾.

وأُسند هذا المنصب الرفيع إلى خطير الملك عمار بن محمد في أيام الظاهر لأعزاز دين الله⁽⁷⁾، وكان من أفاضل الكتاب وبلغائهم⁽⁸⁾، إذ شدد الفاطميون أن يكون مسؤول هذا الديوان بليغاً وفصيحاً وأميناً، "لأنه لو زاد أدنى كلمة أو حذف أيسر حرف أو كتم شيئاً قد

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3/ ص490؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج2/ ص345؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص266.

(2) صبح الأعشى، ج1/ ص6.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج1/ ص96.

(4) ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل، ص7؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص266؛ سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص130.

(5) الدست هو دست السلطان أي مرتبة جلوسه. القلقشندي، صبح الأعشى، ج1/ ص137.

(6) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3/ ص490؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج2/ ص344.

(7) ابن الصيرفي، الإشارة، ص33.

(8) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3/ ص490؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص266.

علمه، أو تأول لفظاً بغير معناه، أو حرفه عن جهته، أدى ذلك ضرر لا يستوجب الضرر، ونفع لا يستوجب النفع، بل ربما ضر من يجب نفعه ونفع من يجب الإضرار به"⁽¹⁾.

وبهذا كان خطير الملك العماري المسؤول عن استلام المكاتبات الواردة الى الخليفة ثم عرضها عليه للتداول فيها واجابتها وفق ما تقتضيه المصلحة، وهو ما بينه ابن الصيرفي (ت542هـ) بقوله: "هو الذي يتسلم الكتب الواردة ويعرضها على الخليفة من يده، ثم يأمر بتنزيلها والجواب عنها، والخليفة يستشير في أكثر أموره، ولا يحجب عنه شيء حتى جاء، وهذا امر لا يصل اليه غيره، وربما بات عنده"⁽²⁾.

وكان راتب صاحب ديوان الإنشاء مائة وعشرين ديناراً شهرياً مع الكسوة والرسوم، وله حاجب من الامراء الشيوخ، وله في مجلسه المرتبة العظيمة والمخاد والمسند ودواة عظيمة الشأن⁽³⁾.

وتولى خطير الملك فضلاً عن ديوان الإنشاء ديوان المشاركة والأتراك، وهي الوساطة بين الحضرة وتلك الطوائف⁽⁴⁾.

5- القضاء:

كان لمنصب القاضي أهمية كبيرة في الدولة الفاطمية، لذلك يتم اختياره بعناية كبيرة ووفق شروط قوية منها الإنصاف والعدالة ومعرفته بالفقه وأحكام الدين، فكان منصب القاضي تتولاها أسر معينة تهتم بالشرع وعلومه⁽⁵⁾.

ولأن أسرة بني عمار أسرة كريمة عُرف أبناءها بالعلم والتدين والانصاف والعدل، أسند منصب القضاء في عصر الدولة الفاطمية الى عدد من أفرادها، منهم: أبو القاسم علي بن أحمد بن عمار (ت448هـ)، الذي كان يلقب بجمال الدولة؛ لحكمته وحسن سيرته، شغل منصب القضاء في مدينة الاسكندرية، وحُمدت سيرته⁽⁶⁾.

(1) ابن الصيرفي، القانون، ص 7 .

(2) القانون، ص 15؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج 1/ ص 136؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفاء، ج 2/ ص 344.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج 3/ ص 490؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفاء، ج 2/ ص 344 .

(4) ابن الصيرفي، الإشارة، ص 33؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص 251 .

(5) من أبرز الأسر التي تولت القضاء في مصر، أسرة بني النعمان الذين تعاقبوا على منصب القضاء في مصر لأكثر من ستين سنة تتخللها بعض الانقطاع. ينظر: الكندي، كتاب الولاة، ص 586-588؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج 2/ ص 141-142؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص 268.

(6) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 10/ ص 584؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفاء، ج 2/ ص 155.

وأبو طالب عبد الله بن محمد الملقب بأمين الدولة (ت464هـ)⁽¹⁾، الذي تولى القضاء في طرابلس قبل أن يصبح والياً عليها إضافة الى مهامه القضائية بحدود سنة (458هـ)، وكان محمود السيرة، لذلك وصفه الكراجكي (ت449هـ) بالقاضي الجليل⁽²⁾.

وقد مارس مهامه في طرابلس بسلطات واسعة، سمحت له بالتدخل كوساطة للصُلح بين الخليفة المستنصر بالله الفاطمي وبين صاحب حلب، بصفته قاضياً ووالياً على طرابلس، وكان ذلك في سنة (459هـ)، فاستطاع ان يُصلح بينهما⁽³⁾. مما دل على قوة نفوذه ومكانته الرفيعة في الدولة الفاطمية.

وكان يتم اختيار القاضي في الدولة الفاطمية من بين الفقهاء الإسماعيليين، ويُشترط في تعيينه أن يحكم وفق مذهب الدولة، باعتبار أن منصب القاضي من المناصب العليا في الدولة، متقدماً في المكانة على داعي الدعاة⁽⁴⁾.

ويتميز بارتداء زي خاص يعكس مكانته، حيث ينتمي إلى طبقة أرباب العمائم⁽⁵⁾، ويُعقد مجلسه بشكل منتظم في يومي الثلاثاء والسبت، ويتميز بوجود طراحة ومسند مغطى بالحرير يجلس عليه القاضي، بينما يجلس الشهود متحلقين حوله، ويساعده خمسة من الحجاب، منهم اثنان أمامه مباشرة، واثنان آخران عند باب المقصورة، وخامس يتولى توجيه الخصوم إليه، ويعمل معه أربعة من كتاب الموقعين، ويشتمل على كرسي ودواة مزخرفة بالفضة، تُجلب إليه خصيصاً من خزائن القصور⁽⁶⁾.

ومما تقدم يتبين ان بني عمار كانوا قد اسهموا قبل تأسيسهم للدولة في صنع القرار بالدولة الفاطمية، عن طريق شغلهم لمواقع قيادية في الدولة مثل القيادة السياسية والعسكرية

(1) سيرد الحديث عنه في المبحث الثاني من الفصل الثاني لكونه من مؤسسي الدولة.
(2) صنف الكراجكي حينما كان في طرابلس في حدود سنة (436هـ) لأمين الدولة كتاباً في الفقه اسمه (البستان)، وصفه فيه بالقاضي الجليل، وهذا يعني ان أمين الدولة استمر في القضاء منذ ذلك التاريخ لغاية وفاته وحتى بعد ان كُلف بالإمارة عليها. الطهراني، الذريعة، ج3/ص105؛ تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص241.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5/ص80.
(4) داعي الدعاة هو من المناصب الدينية في الدولة الفاطمية، ورتبته تلي رتبة قاضي القضاء، وكانت وظيفته الأساسية هي أخذ العهد ونشر الدعوة الفاطمية بين المستجيبين. ينظر: ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص110؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3/ص487؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج2/ص344.
(5) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج2/ص343؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص270.
(6) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص107؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج2/ص343؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص273.

اثناء فترة الفتن والحروب والمناصب الرفيعة والمهمة في الدولة وعلت مكانتهم وارتقوا
ارفع المناصب الإدارية فيها، مما وفر لديهم الخبرة اللازمة لتأسيس دولة فيما بعد اطلق
عليها تسمية (الدولة العمارية).

المبحث الثاني

التشيع عند بني عمار

أولاً- مفهوم التشيع وجذوره:

الشيعة في اللغة تعني: "الأعوان والأنصار"⁽¹⁾، إذ يقال فلان من شيعة فلان، أي ممن يرى رأيه، والجمع أشياع⁽²⁾، وعلى ذلك يقول: شايعتك على كذا، أي تابعتك عليه⁽³⁾.

وقال الفراهيدي (ت170هـ): "الشيعة قوم يتشيعون، أي يهوون أهواء قوم ويتابعونهم وشيعة الرجل أصحابه واتباعه، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة"⁽⁴⁾، وبالمعنى نفسه قال الازهري (ت370هـ): "الشيعة، كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة"⁽⁵⁾، وهذا يعني ان مفهوم التشيع يعني المناصرة والمتابعة والاجتماع على أمر أو التحزب لشخص.

أما اصطلاحاً، فالشيعة قوم اجتمعوا على إمام أو مذهب أو طائفة، ويرون الرأي نفسه، ويعملون بما يشار اليهم من زعيمهم، وقد غلبت هذه التسمية على اتباع الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومن يتولاه، وهو ما يتبين من رأي المفيد (ت413هـ) بشأن لفظة الشيعة؛ ومفاده: انها تعني الأتباع والأعوان على الاطلاق، كالقول شيعة بني أمية أو شيعة بني العباس، أو شيعة فلان، وإذا ادخل فيها أل التعريف فهي تعني أتباع الإمام علي (عليه السلام) على سبيل الولاء له واعتقاد امامته بعد الرسول الكريم (ﷺ) بلا فصل⁽⁶⁾.

وقال الشهرستاني (ت548هـ): "إن الشيعة هم الذين شايعوا علياً على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً أو خفياً، واعتقدوا أن الامامة لا تخرج من أولاده، وأن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده"⁽⁷⁾، وعلى رأسهم أبو ذر

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، ص545.

(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج3/ص227.

(3) الزمخشري، أساس البلاغة، ص408.

(4) العين، ج2/ص191.

(5) تهذيب اللغة، ج3/ص40.

(6) أوائل المقالات، ص35؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج4/ص448.

(7) الملل والنحل، ج1/ص108.

الغفاري (ت32هـ)⁽¹⁾، والمقداد بن الاسود (ت33هـ)⁽²⁾، وسلمان الفارسي (ت36هـ)⁽³⁾، وعمار بن ياسر (ت37هـ)⁽⁴⁾، ومن وافق مودته مودة علي (عليه السلام)⁽⁵⁾.

ومما تقدم يظهر أنَّ لفظة الشيعة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بشخصية الامام علي (عليه السلام)، حيث إن مفهوم الإمامة لا يبدو أنه نشأ تلقائياً داخل الأمة، بل ارتبط بتشريع إلهي مستمد من السنة النبوية للرسول الأعظم، فالإمامة جاءت لتكون وسيلة لتجسيد الأحكام الإسلامية وتحريكها نحو التطبيق العملي للممارسات النبوية.

ووردت مفردة الشيعة في أكثر من موضع من نصوص القرآن الكريم، وهي تعني الأتباع والأعوان والأنصار، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾⁽⁶⁾، بمعنى من شيعة نوح إبراهيم، وسائراً على نهجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق⁽⁷⁾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ﴾⁽⁸⁾، أي في فرق الأولين، وكل فرقة شيعة، وأصله المشايعة وهي المتابعة⁽⁹⁾، كما وردت في الموروث النبوي الشريف، منها قول

(1) جندب بن جنادة الغفاري، وقيل جندب بن سكن، وقيل برير بن جنادة، وقيل برير بن عبدالله، احد السابقين الاولين من نجباء أصحاب النبي محمد (ﷺ)، وهو خامس خمسة في الاسلام. الذهبي، سير الاعلام النبلاء، ج3/ص367.

(2) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة ويكنى أبا معبد، وتبناه حالف الاسود بن عبد يغوث الزهري في الجاهلية، فكان يقال له المقداد بن الاسود، فلما نزل القرآن ادعوه لا بائهم قيل المقداد بن عمرو، هاجر المقداد ارض الحبشة الهجرة الثانية. ابن سعد، الطبقات ج3/ص119.

(3) ابو عبدالله الفارسي سابق الفرس الى الاسلام صحب النبي وخدمه وحدث عنه، وروى جملة احاديث عن مجموعة من الصحابة، وكان ليبيا حازماً، من عقلاء الرجال، وعبادهم ونبلائهم. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج3/ص309.

(4) ابن عامر بن مالك بن كنانة، امه سُمية مولاة بني مخزوم من كبار الصحابييات أيضاً، له اثنان وستون حديثاً ومنها في "الصحيحين" خمسة، روى عنه ابن عباس وابو موسى الاشعري وابو أمامه الباهلي وجابر بن عبد الله ومحمد بن الحنفية وعلقمة بن زرار وهمام بن الحارث. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج3/ص245.

(5) المفيد، أوائل المقالات، ص35؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج4/ص448.

(6) سورة الصافات، الآية 83.

(7) الطبرسي، مجمع البيان، ج8/ص240.

(8) سورة الحجر، الآية 10.

(9) الطبري، جامع البيان، ج4/ص470؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج6/ص79.

الرسول (ﷺ) للامام علي (عليه السلام): "يا علي، أبشر فأنت وأصحابك وشيعتك في الجنة"(1)، وقوله (ﷺ) أيضاً: "قومي يا فاطمة إن علياً وشيعته هم الفائزون غداً"(2).

ومن المفيد استعراض كلمة شيعة في الشعر والنصوص الإسلامية الأخرى من تواريخ أخبار وآثار بهدف بيان تاريخها ودلالاتها في الفترات الإسلامية المختلفة، ومن ذلك شعر حسان بن ثابت الأنصاري (ت54هـ)(3)

أَكْرِمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ شِيعَتَهُمْ إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ(4)

اذ مدح قومًا كانوا يرتبطون بالرسول ويتبعونه، أي شيعتهم ومحبيه، وعندما تختلف الأفكار والرغبات وتتفرق الأمم والشعوب في آرائها، يظهر هؤلاء القوم بوضوح، ويظهر هؤلاء الناس استقامتهم وثباتهم على الحق في وقت تشتت الأفكار واختلاف الآراء، فيعتبرون أفضل الناس وأكرمهم لأنهم استمسكوا برسول الله (ﷺ).

وشعر أبو الطفيل (ت100هـ)(5)، الذي دعى فيه إلى مؤازرة محمد بن الحنفية (ت81هـ)(6) وتأيينه:

إِخْوَانَنَا شِيعَتَنَا لَا تَعْتَدُوا إِنِّي زَعِيمٌ لَكُمْ أَنْ تَرْتَدُّوا
وإن تآلوا شرفاً وتسعدوا ووَازَرُوا الْمَهْدِي كَيْمَا تَهْتَدُوا
مُحَمَّدَ الْخَيْرَاتِ يَا مُحَمَّدٌ أَنْتَ الْإِمَامُ السَّيِّدُ الْمُسَوَّدُ(7)

(1) ينظر: ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج2/ص654؛ الطبراني، المعجم الاوسط، ج6/ص354-355.

(2) ابن المغازلي، مناقب امير المؤمنين، ص179.

(3) ابن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، كان سيد الشعراء. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج2/ص513.

(4) ديوان حسان بن ثابت الانصاري، ص157؛ ابو هلال العسكري، الصناعتين، ص112.

(5) عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الليثي الكناني القرشي، كان شاعر كنانة وأحد فرسانها، ولد يوم وقعة أحد، وروى عن النبي تسعة أحاديث، وحمل راية علي بن أبي طالب في بعض وقائعه، خرج على بني أمية مع المختار الثقفي مطالباً بدم الحسين، ولما قتل المختار انزوى إلى أن خرج ابن الأشعث فخرج معه، وعاش بعد ذلك إلى أيام عمرو بن عبد العزيز فتوفي بمكة، وهو آخر من مات من الصحابة. ابن سعد، الطبقات، ج6/ص550.

(6) محمد بن الإمام علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، شيبه بن هاشم، عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، القرشي الهاشمي، المدني، كنيته أبو القاسم وأبو عبد الله أخو الحسن والحسين، وأمه من سبي اليمامة زمن أبي بكر الصديق، وهي خولة بنت جعفر الحنفية. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج4/ص111.

(7) عامر ابن الطفيل، ديوان ابن الطفيل، ص61.

كما وردت مفردة الشيعة في الأخبار والتواريخ والنصوص، ومن ذلك كلام عمر بن الخطاب في وصفه لحاشية الهرمزان⁽¹⁾، ووزير يزدجرد⁽²⁾، لما أتى به المدينة أسيراً مع اثني عشر من رجاله في هذه الواقعة، اذ نظر إلى الهرمزان وعليه الديباج وأسورة الذهب، وقال: "أعوذ بالله من النار، ثم قال: الحمد لله الذي أنزل هذا وشيعته بالإسلام"⁽³⁾، وذكر الاصبهاني (ت430هـ) حديثاً رفعه الى سلمة بن كهيل (ت121هـ)⁽⁴⁾، نصه: "شيعة علي الحلما، العلماء، الذبل الشفاه الاخيار اللذين يعرفون بالرهبانية من أثر العبادة"⁽⁵⁾.

ومما تقدم يظهر ان لفظة الشيعة قد وردت في موروثنا الاسلامي، ودلت على معنى عام هو الفرقة او القوم واخر خاص هو جماعة من اتباع الامام علي (عليه السلام).

ثانياً- التشيع في طرابلس وبلاد الشام:

يُنسب انتشار التشيع في بلاد الشام إلى الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، وهو من أوائل من أسلم، اذ يُقال إنه خامس من دخل في الدين، وهو ما أشار له عدد من المؤرخين برواية نصها: "أسلم والنبي بمكة، أول الاسلام، فكان رابع أربعة، وقيل: خامس خمسة"⁽⁶⁾.

ووردت عدة روايات أظهرت فضائله وشخصيته المتميزة حتى قبل الإسلام، ومنها رواية ابن سعد (ت230هـ): "كان أبو ذر يتأله في الجاهلية، ويقول: لا إله إلا الله، ولا يعبد الاصنام"⁽⁷⁾، بمعنى انه كان يؤمن بوحداية الله تعالى ويرفض عبادة الأصنام.

وإنَّ النبي (ﷺ) قال فيه: "ما أقَلَّتْ الغبراء ولا أَظَلَّتْ الخضرَاء من رجل أصدق من أبي ذر"⁽⁸⁾، وعكس هذا الحديث النبوي مواقفه في حياته وبعد وفاته، فقد "بايع النبي على

(1) هرمزان كان قائد الجيش الفارسي في معركة القادسية، قتل في عام (23هـ) في أثناء فتح فارس في عهد يزدجرد الثالث، وكان قد عقد صلحاً مع المسلمين في سنة (16هـ)، ما لبث أن نقضه فيما بعد بتحريض من يزدجرد. ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج12/ ص114.

(2) يزدجرد بن شهريار بن برويز بن أنوشروان، وهو آخر ملوك الدولة الساسانية، وحفيد ملك الدولة الساسانية كسرى الثاني الذي كانت نهاية دولة الفرس الساسانية في عهده على أيدي العرب المسلمين في سنة 636م.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج5/ ص65- ص66.

(4) سلمة بن كهيل بن حصين الامام الثبت الحافظ ابو يحيى الحضرمي ولد سنة (47هـ). الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج5/ ص299.

(5) حلية الاولياء، ج1/ ص86.

(6) ابن الاثير، اسد الغابة، ج1/ ص562؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج3/ ص367.

(7) الطبقات، ج4/ ص223.

أن لاتأخذه في الله لومة لائم، وعلى ان يقول الحق وإن كان مُراً⁽¹⁾، فكان مثلاً للجرأة والإخلاص في حمل رسالة الإسلام، واستمر بعد وفاة النبي في التعبير عن مواقفه الصادقة، فكان يغتنم وجوده في مكة المكرمة بالقرب من الكعبة المشرفة ليبلغ المسلمين ما سمعه عن النبي (ﷺ) بصورة عامة وعن أهل البيت والامام علي بصورة خاصة⁽²⁾، فكان هذا المكان ملتقى الملايين من المسلمين، مما جعله ساحة مثالية لنشر أفكاره.

وذكر اليعقوبي نفي الخليفة الثالث عثمان بن عفان له إلى الشام؛ لأنه كان يجلس في مسجد النبي (ﷺ) ويحدث الناس بأمور تتضمن انتقادات لسياسة عثمان⁽³⁾، ومنها جمعه للناس ذات مرة وقوله لهم: "أيها الناس من عرفني فقد عرفني فأنا أبو ذر الغفاري... ان الله اصطفى آدم ونوحا وال إبراهيم وال عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض، سميع عليم، محمد الصفوة من نوح، فالأول من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والعتره الهادية من محمد... وعلي ابن ابي طالب وصي محمد ووارث علمه ايتها الامة المتحيرة بعد نبيها! اما لو قدمتم من قدم الله واخرتم من اخر الله، واقرتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت اقدامكم، ولما عاد ولي الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"⁽⁴⁾.

وفي هذا النص تأكيد على أن الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو خليفة النبي ووارث علمه، وان الإمامة تتم بتفويض إلهي وتشكل امتداداً للنبوة من حيث القيادة الدينية والسياسية. في المقابل، لا يشارك غالبية أهل السنة هذا الفهم، حيث يعتقدون أن الخلافة تأسست على مبدأ الشورى. ويتضمن أيضاً انتقاداً للأوضاع بعد وفاة النبي (ﷺ)، حيث يحمل الأمة مسؤولية الخلافات والصراعات الناجمة عن عدم إعطاء القيادة لمن يعتقد أنه الأجدر بها، كما يشير إلى أن الالتزام بولاية أهل البيت كان سيؤدي إلى تحقيق الوحدة والعدل والازدهار.

- (8) ابن سعد، الطبقات، ج4/ ص171.
(1) ابن الاثير، أسد الغابة، ج1/ ص562.
(2) ال فقيه، ابو ذر الغفاري، ص57.
(3) تاريخ اليعقوبي، ج2/ ص67.
(4) اليعقوبي، تاريخ، ج2/ ص67- ص68.

ووقوفه على باب دمشق بعد صلاة الفجر في أحد الأيام وقوله للناس: "جاءت القطار تحمل النار، لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له، ولعن الله الناهين عن المنكر الآتين له"(1).

فأمر الخليفة عثمان بن عفان على أثر ذلك بنفيه إلى الشام في سنة (30هـ)، وكلف معاوية بمراقبته والتعامل معه بصرامة وقسوة، وهو أمر لم يثنه عن التنديد بالانحرافات انما زاده عزيمة واصرار على المضي بمشروعه الاصلاحى(2).

وقد اجتمع حوله في بلاد الشام عدد من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) الذين تم نفيهم الى الشام عام (33هـ)، منهم كعب بن ذي الحبكة (ت40هـ) وصعصعة بن صوحان (ت44هـ) وكميل بن زياد (ت83هـ)(3)، أذ شكلوا البدايات الأولى للتشيع في هذه المنطقة، على الرغم من أنها كانت عاصمة خلافة الأمويين، فتسلل التشيع اليها بصورة تدريجية، وصارت كل بلدة أو قرية في الشام الا وفيها عالم شيعي يسير على خطى أهل البيت ويدعو إلى موالاتهم، فأحب الناس ذلك واعتقدوا به، وانتشر التشيع(4).

وهو ما بينه المهلبى (ت749هـ) بقوله: "كان الشيعة يشكلون غالبية أهل الشام، وكانت العائلات الشيعية تحكم معظم أجزائه بدءاً بالحمدانيين في حلب والثغور الشمالية، ثم تلاهم بنو مرداس الكلابيين في نواحي حلب أيضاً، ثم بعدهم بنو جندل في البقاع ووادي التيم. ناهيك عن وجود معقل شيعية مدنية كبرى كمدينة حلب وطبرية وما حولهما، هذا إذا تجاوزنا الجبال والأرياف"(5).

بمعنى أن انتشار الوجود الشيعي في بلاد الشام خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين لم يقتصر على تجمعات سكانية فقط، بل امتد إلى السيطرة السياسية في بعض المناطق، بدليل حكم بني حمدان في حلب والثغور الشمالية، وحكم بني مرداس في حلب ومحيطها، وبني جندل في البقاع ووادي التيم، وعزز ذلك وجود مراكز حضارية ذات أغلبية شيعية بحلب وطبرية وغيرها من المواضع والمدن.

(1) المصدر نفسه، ج2/ص68.

(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج3/ص54.

(3) الطبري، تاريخ، ج4/ص317.

(4) الحلبي، غنية النزوع، ص5.

(5) المسالك والممالك، ص12.

وبين ذلك مسبقاً ناصر خسرو (ت481هـ) الذي زار بلاد الشام في سنة (438هـ) بقوله: "سكان طرابلس كلهم شيعة، وقد شيد الشَّيعة مَسَاجِدَ جميلة في كل البلاد"⁽¹⁾، و"تعرف مدينة صور بين مدن ساحل الشام بالثراء ومعظم سكانها شيعة"⁽²⁾.

وأكد ابن جبير (ت614هـ) الذي زار بلاد الشام في سنة (580هـ) بقوله: "للشيعة في هذه البلاد أمور عجيبة، وهم أكثر من السنيين بها، وقد عمروا البلاد بمذاهبهم"⁽³⁾، وكشف عن وجود "مشاهد كثيرة لأهل البيت، رضي الله عنهم، رجالاً ونساء، وقد احتفل الشيعة في البناء عليهم، ولها الأوقاف الواسعة، ومن أحفل هذه المشاهد مشهد منسوب لعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قد بني عليه مسجد حفيل رائق البناء، فيه من سقاية معينة، والمسجد كله ستور معلقة في جوانبه صغار وكبار، وفي المحراب حجر عظيم قد شق بنصفين والتحم بينهما... ومن مشاهد أهل البيت، رضي الله عنهم،... قبران عليهما مسجد يقال انهما من ولد الحسن والحسين، رضي الله عنهما، ومسجد آخر فيه قبر يقال انه لسكينة بنت الحسين، رضي الله عنهما، أو لعلها سكينة أخرى من أهل البيت"⁽⁴⁾.

في النص وصفاً لانتشار مشاهد ومزارات أهل البيت في بلاد الشام، وبيان لمكانتها الدينية والاجتماعية، وكيف انها كانت تحظى بعناية كبيرة من السكان والسلطات، حيث أُقيمت عليها المساجد، وخصّصت لها الأوقاف، وأصبحت مقصداً للزائرين طلباً للبركة.

وزاده تأكيداً ياقوت الحموي (ت626هـ) الذي زار بلاد الشام هو الآخر في سنة (610هـ) بقوله ان في مدينة حلب "الفقهاء يفتون على مذهب الإمامية"⁽⁵⁾، بمعنى ان مذهب الإمامية هو السائد هناك.

حتى انه أبدى استغرابه من وجود غلاة من الشيعة في حمص، بقوله: "من عجيب ما تأملته من أمر حمص فساد هوائها وتربتها اللذين يفسدان العقل حتى يضرب بحماقتهم المثل، إنّ أشدّ الناس على علي، رضي الله عنه، بصفين مع معاوية كان أهل حمص وأكثرهم تحريضاً عليه وجداً في حربه، فلما انقضت تلك الحروب ومضى ذلك الزمان

(1) سفرنامه، ص48.

(2) المصدر نفسه، ص50.

(3) رحلة ابن جبير، ص227.

(4) رحلة ابن جبير، ص227-228؛ وينظر: عثمان، مشاهد ومزارات آل البيت، ص11.

(5) معجم البلدان، ج2/ ص283.

صاروا من غلاة الشيعة"⁽¹⁾، واتفق القزويني (ت682هـ) معه في هذا القول، حتى انه اقتبس الكثير من كلامه، بقوله: "من العجب أنهم كانوا أشد الناس على علي، رضي الله عنه، فلما انقضت تلك الأيام صاروا من غلاة الشيعة، حتى ان في أهلها كثيراً ممن يرى مذهب النصيرية وأصلحهم الامامية"⁽²⁾.

وحينما زار ابن بطوطة (ت779هـ) بلاد الشام في سنة (726هـ) قال مؤكداً ما ذهب أسلافه: "بقرية قبلي البلد وعلى فرسخ منها مشهد أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة عليهم السلام، ويقال إن اسمها زينب وكناها النبي صلى الله عليه وسلم أم كلثوم لشبهها بخالتها أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه مسجد كريم وحوله مساكن، وله أوقاف ويسميه أهل دمشق قبر الست أم كلثوم، وقبر آخر يقال إنه قبر سكينه بنت الحسين ابن علي عليه السلام"⁽³⁾.

ومما تقدم يظهر ان بلاد الشام لم تكن تعرف التشيع الا بعد ان وطئتها أقدام ابو ذر الذي نفي اليها لتبنيه مشروع الاصلاح، وعزز مسيرة هذا المشروع صحابة اخرين تم نفيهم الى هذا المكان، فصار مجموعهم بذرة التشيع التي سرعان ما نمت، حتى أصبح الشيعة نسبة كبيرة في مجتمع الشام، ولهم مزارات ومشاهد تزار وتقام فيها ممارساتهم الدينية والاجتماعية.

ثالثاً- تشيع بني عمار:

عمل الفاطميون على تقليص نفوذ قبيلة كُتامة في الساحة السياسية ببلاد الشام، بهدف توسيع انتشار الفكر الإسماعيلي في المنطقة والحد من انتشار المذهب الشيعي الإمامي الذي كان بنو عمار زعماء قبيلة كُتامة من أبرز دعائه، لكنهم لم ينجحوا في هذا المسعى، ولاسيما في طرابلس ومحيطها؛ بسبب السلطة المعنوية والمكانة الرفيعة التي احتلها عدد من أفراد أسرة بني عمار⁽⁴⁾.

فقد كان سكان طرابلس أغلبية من الشيعة، وهو ما بينه ناصر خسرو بقوله: "سكان طرابلس كلهم شيعة، وقد شيدوا الشيعة مساجد جميلة في كل البلاد"⁽⁵⁾، ويعود الفضل في

(1) المصدر نفسه، ج2/ ص304

(2) اثار البلاد، ص185.

(3) رحلة ابن بطوطة، ص323

(4) حمادة، تاريخ الشيعة، ص287.

(5) سفر نامه، ص48.

ذلك الى جهود بني عمار، وهو ما أشار له القلانسي بقوله: إنّ بني عمّار "شيعة طرابلس"⁽¹⁾.

وكل وجوه وزعماء هذه الأسرة كانوا من الشيعة الذين اجتهدوا في نشر التشيع وبيان مناقب اهل البيت (عليهم السلام) والاقتراء بسيرتهم، فقد وصف النويري فخر الملك بن عمار، بأنه كان شيعياً، فقيهاً في العقيدة والشريعة⁽²⁾؛ وكان هو وأغلب سكّان إمارة طرابلس من الشيعة الإماميّة⁽³⁾، ووصف سبط ابن الجوزي ابو طالب الحسن بن عمّار بأنه كان "كثير الصدقة عظيم المراعاة للعلويين"⁽⁴⁾.

وقال فيليب حتي بهذا الخصوص: "الظاهر أن المدينة كانت قد غدت تحت حكم بني عمار، مركزاً للتعليم الشيعي، فكثرت فيها المدارس والمكاتب"⁽⁵⁾، بمعنى أن طرابلس صارت عند قدوم بنو عمار اليها مركزاً لنشر الثقافة الشيعية.

وهو ما أشار اليه المستشرق متر بقوله: "إذا كان ناصر خسرو قد وجد أهل طرابلس في عام (428هـ) شيعة، فقد جاء ذلك من أن بني عمار وهم إحدى الأسرات الصغيرة الكثيرة على الأطراف كانوا هناك على مذهب الشيعة"⁽⁶⁾.

ومما تقدم نستطيع القول: إنّ المذهب الشيعي كان هو السائد في أغلب بلاد الشام ولاسيما مدينة طرابلس بالتحديد، فساهمت أسرة بني عمار بشكل كبير في انتشار المذهب الشيعي، وتسهيل ممارسة الشعائر الدينية ونشر العقيدة عن طريق مكانتهم في الدولة الفاطمية، ونلاحظ انه مع تشييعهم وفق المذهب الامامي لم يُديرُوا إمارتهم بناءً على انتماء طائفي أو تحالفات مذهبية ضيقة، بل تعاملوا مع الإمارات الإسلامية المجاورة لهم وفق استراتيجية موحدة تخدم المصالح العامة⁽⁷⁾.

(1) ذيل تاريخ دمشق، ص113.

(2) نهاية الأرب، ج31/ ص51.

(3) مكّي، لبنان من الفتح، ص101.

(4) مرآة الزمان، ج19/ ص257.

(5) تاريخ سورية، ج2/ ص232.

(6) الحضارة الإسلامية، ج1/ ص121.

(7) ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص473؛ النويري، نهاية الأرب، ج28/ ص226.

المبحث الأول

حكومات طرابلس السابقة والتعريف بولاتها في العصر الفاطمي

أولاً- حكومات طرابلس السابقة:

حينما تولى معاوية ولاية بلاد الشام في عهد الخليفة عثمان (23-35هـ)، أرسل الصحابي سفيان بن مجيب الأزدي⁽¹⁾ إلى طرابلس التي كانت تحت سيطرة الروم، وتضم ثلاث مدن مجتمعة على لسان روماني ممتد داخل البحر، وتحميها ثلاثة حصون⁽²⁾، فلما اقترب منها على بُعد خمسة أميال⁽³⁾، عسكر بجيشه عند سفح جبل تربل⁽⁴⁾، وبنى حصناً عند السهل الخصب الممتد على ضفاف نهر قاديشا قبل أن يصب في البحر⁽⁵⁾، استمر العمل فيه لمدة سنتين، إذ باشر فيه في سنة (23هـ) وانتهى منه في سنة (25هـ)⁽⁶⁾.

ولغرض تعزيز إجراءاته العسكرية قام كذلك بقطع الميرة والمياه عن طرابلس⁽⁷⁾، وهو ما بين البلاذري تفاصيله بقوله: "قطع المادة عن أهلها من البحر وغيره وحاصرهم، فلما اشتد عليهم الحصار، اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة، وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمددهم، أو أن يبعث إليهم بمراكب يهربون فيها إلى ما قبله، فوجه إليهم بمراكب كثيرة، فركبوها ليلاً وهربوا، فلما أصبح سفيان وكان يبيت كل ليلة في حصنه ويحصن المسلمين فيه، ثم يغدو على العدو، وجد الحصن الذي كانوا فيه خالياً، فدخله"⁽⁸⁾.

(1) سفيان بن مجيب الأزدي الشامي، كان أميراً على بعلبك في خلافة عثمان، واستمر كذلك حتى بعد مقتله في سنة (35هـ)، توفي في حدود سنة (50هـ). ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15/ ص283-ص284.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7/ ص322.

(3) الميل ثلاثة آلاف ذراع بذراع الملك، والذراع ثلاثة أشبار، والشبر ست وثلاثون إصبعا، والإصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها إلى بعض. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1/ ص36.

(4) جبل تربل هو جبل كلسي شهير يشرف على مدينة طرابلس ومينائها في شمال لبنان، يرتفع حوالي 680 إلى 900 متر عن سطح البحر، ويُعرف تاريخياً باسم "طور-بعل" (جبل الإله) الفينيقي، ويُشكل موقعاً استراتيجياً وطبيعياً هاماً. مفرج، موسوعة القرى والمدن اللبنانية، ج7/ ص62.

(5) ويقصد به البحر المتوسط. سالم، طرابلس الشام، ص38.

(6) شعيرة، من تاريخ التحصينات العربية، ص429.

(7) سالم، طرابلس الشام، ص38.

(8) فتوح البلدان، ص172.

وبهذا فتح سفيان طرابلس من دون قتال في سنة (25هـ)، وكتب الى معاوية في دمشق يُبشره بهذا الفتح، فأصبحت طرابلس تابعة إدارياً الى دمشق، وكُلف معاوية عليها عاملاً لإدارة شؤونها من بلاد الشام⁽¹⁾.

وفي العصر الأموي (41-132هـ) ظلت طرابلس تابعة بإدارتها الى دمشق عاصمة الأمويين، وقد تحولت في عهد خلافة معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ) إلى قاعدة بحرية ومركزاً لصناعة السفن بفضل توفر أخشاب الأرز فيها، وكان معاوية يرسل إليها سنوياً مجموعة من الجنود للدفاع عنها ضد أي هجمات محتملة من الروم عبر البحر، لكنهم يعودون مع انتهاء موسم الملاحة بسبب صعوبة الإبحار نتيجة العواصف والأنواء، ويبقى العامل في مقره داخل قصره برفقة عدد محدود من الجنود، وخلال تلك الفترة كانت أبواب المدينة تُغلق حفاظاً على أمنها واستقرارها⁽²⁾، واستمر الوضع فيها على هذا المنوال في عهد خلافة يزيد بن معاوية (60-64هـ) وحتى خلافة مروان بن الحكم (64-65هـ)⁽³⁾.

وفي خلافة عبد الملك بن مروان (65-86هـ) ثار أهل طرابلس على الحكم الأموي في سنة (66هـ)، وتحصنوا في داخل أسوارها، وفرضوا سيطرتهم شبه الكاملة عليها، ولم يتمكن الأمويون من استرداد سيطرتهم عليهما الا في خلافة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ) في سنة (87هـ) بعد سلسلة مواجهات عسكرية قوية⁽⁴⁾.

وقد ذكر البلاذري بخصوص ذلك ثلاثة روايات، قال في الأولى: "فقدم في أيامه بطريق من بطارقة الروم ومعه بشر منهم كثير، فسأل ان يُعطى الأمان على ان يُقيم بها ويؤدي الخراج، فأجيب الى مسألته، فلم يلبث الا سنتين أو أكثر منهما بأشهر حتى تحين قفول الجند عن المدينة، ثم أغلق بابها وقتل عاملها وأسكن من معه من الجند وعدة من اليهود ولحقوا أصحابه بأرض الروم، فقدر المسلمون بعد ذلك عليه في البحر وهو متوجه الى ساحل للمسلمين في مراكب كثيرة، فقتلوه ويُقال بل أسروه وبعثوا به الى عبد الملك فقتله وصلبه"⁽⁵⁾، وذكر في الرواية الثانية: "سمعت من يذكر ان عبد الملك بعث اليه من حاصره بأطرابلس ثم اخذه سلاماً وحمله اليه فقتله وصلبه، وهرب من اصحابه جماعة

(1) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ ص94.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص174؛ وينظر: ابن فرات، تاريخ ابن فرات، ج8/ ص76.

(3) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ ص96.

(4) سالم، طرابلس الشام، ص39. للمزيد ينظر ملحق رقم (2)

(5) فتوح البلدان، ص174.

فلحقوا ببلاد الروم"⁽¹⁾، وقال في الرواية الثالثة: "فتح أطرابلس سفيان بن مجيب ثم نقض أهلها أيام عبد الملك ففتحها الوليد بن عبد الملك في زمانه"⁽²⁾.

ونستبعد الرواية الأولى؛ لكونها ذات طابع أقرب إلى السرد القصصي الذي يغلب عليه شيء من الغفلة، فكيف يُمكن قبول فكرة نزول بطريق بيزنطي في طرابلس ومعه عدد كبير من الأعوان من دون فرض حراسة عليهم أو وضعهم تحت المراقبة؟ وهل كان عدد المسلمين في طرابلس ضئيلاً إلى حد يمكّن هذا البطريق وأعوانه من قتل والي المدينة وأسر من معه من الجنود؟ ثم ما الهدف من انتفاض البطريق بعد عامين من وجوده بطرابلس وقراره بعدها العودة إلى بلاد الروم؟ وكيف تمكن المسلمون من القبض عليه بعد فراره في عرض البحر باتجاه بلاد الروم؟ وتبقى الروايتان الثانية والثالثة أكثر قبولاً ومنطقية، ونحن نُميل إلى الرواية الثالثة، ومفادها: ان الوليد بن عبد الملك هو الذي استطاع استرداد السيطرة عليها، وهو ما أشار له ابن الفرات بجانب الرواية الأولى التي استبعد صحتها، بقوله: "قيل إنما تغلب عليها، وقُتل من بها بعد وفاة أمير المؤمنين عبد الملك، ثم فتحها ولده أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك"⁽³⁾.

وبقيت طرابلس بعد هذا التاريخ تابعة لدمشق، وكان ينوب عنها والي يُمثل الخليفة، وتعتبر جزءاً من سواحل دمشق ومن أعمالها⁽⁴⁾. وقد أشار الاصطخري (ت346هـ) إلى أنها كانت تُعد ثغراً تابعاً لدمشق⁽⁵⁾.

وقد اهتم بها خلفاء بني أمية كثيراً، فقاموا بتحسينها، وإعادة ترميم بنيتها التحتية وعمرانها المتضرر، وبناء حصونها وتعزيز وجود الجنود فيها كاستعداد لأي هجوم بيزنطي مُحتمل عبر البحر⁽⁶⁾، وهذا ما حدث بالفعل في خلافة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ)، وبينه البلاذري بقوله: "كانت الروم أغارت في البحر على ساحل اللاذقية فهدموا مدينتها، وسبوا أهلها وذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز"⁽⁷⁾.

(1) المصدر نفسه، ص174.

(2) المصدر نفسه، ص174.

(3) تاريخ ابن فرات، ج8/ص77.

(4) ابن فرات، تاريخ ابن فرات، ج8/ص78.

(5) المسالك والممالك، ج8/ص77.

(6) سالم، طرابلس الشام، ص42.

(7) فتوح البلدان، ص181.

وعندما قامت الدولة العباسية في سنة (132هـ) استمر اتصالها بإدارة ولاية دمشق، لكن مع تغيير واضح، إذ لم تعد دمشق عاصمة الخلافة العباسية، وتولى إدارة شؤونها عامل مُعين من الخليفة العباسي، وكان ضمن مسؤولياته الإشراف على سواحل دمشق، بما في ذلك طرابلس، فلم تعد مركزاً لوال أو نائب للخليفة كما كانت في العصر الأموي⁽¹⁾.

لكن هذا لم يمنع الخلفاء العباسيين من العناية بها والحرص على تحصين سواحلها، بل كان هذا الأمر من أولوياتهم الأساسية خشية من هجوم البيزنطيين، فعمل أبو جعفر المنصور (136-158هـ) على تحصين سواحلها وترميمها وتقويتها وبنى ما احتاج إلى البناء منها⁽²⁾، واستمر المهدي (158-169هـ) بهذا الاهتمام، فعمل في سنة (161هـ) على تعزيز تلك الحصون بالجُند⁽³⁾، وسار المتوكل (242-247هـ) على المنهاج نفسه، ففي سنة (245هـ) ضرب سواحل الشام ومدنها زلزالاً، فتأثرت بهذا الزلزال كغيرها من مدن الساحل، وهو ما بينه اليعقوبي بقوله: "اصابت الشام كله زلازل حتى ذهبت اللاذقية وجبله، ومات عالم من الناس، حتى خرج الناس إلى الصحراء، واسلموا منازلهم وما فيها، واتصل ذلك شهوراً من سنة 245"⁽⁴⁾، فاهتم الخليفة بإعادة بناء ما تهدم من أبنيتها وحصونها، وأمر في آخر سني خلافته (247هـ) بترتيب المراكب على طول السواحل وتزويدها بالمقاتلين⁽⁵⁾.

وبقيت طرابلس تحت حكم الدولة العباسية حتى عام (264هـ)⁽⁶⁾، لكنها دخلت بعد هذا التاريخ تحت سيطرة أحمد بن طولون (ت 270هـ)⁽⁷⁾ الذي أسس الدولة الطولونية في مصر، وضم في السنة ذاتها بلاد الشام إلى نفوذه، منتزِعاً إياها من الخليفة العباسي المعتمد على الله (256-279هـ)، ولم تذكر المصادر التاريخية تفاصيل واضحة حول ما إذا كانت قد قاومت أحمد بن طولون أم أيدته، من المرجح أن أهلها قدموا ولاءهم له من دون خوض

(1) سالم، طرابلس الشام، ص 42.

(2) سالم، طرابلس الشام، ص 43.

(3) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج 1/ ص 181.

(4) تاريخ، ج 2/ ص 456.

(5) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج 1/ ص 186.

(6) سالم، طرابلس الشام، ص 43.

(7) ولد بسامراء في سنة عشرين ومائتين، وكان المعتز بالله قد ولاه مصر، ثم استولى على دمشق والشام. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1/ ص 173- ص 174.

قتال، كما حدث في مدن دمشق وحمص⁽¹⁾، وعمل ابن طولون على تحصين مدن الساحل ومنها طرابلس وتزويدها بالمال والسلاح⁽²⁾.

وتابع ابنه خمارويه (270-282هـ) العناية بموانئ الشام، وخاصة ميناء طرابلس للأهمية التي يمتلكها لكونه حوض يتسع لعدد ضخم من السفن حسب قول اليعقوبي بأنه: "ميناء عجيب يحتمل ألف مركب"⁽³⁾.

وفي عصر الدولة الاخشيدية (٣٣٠-٣٥٨هـ) انتقلت من حكم العباسيين وصارت تحت سيطرة الدولة الاخشيدية، اذ تمكن محمد بن طغج المعروف بالإخشيدي⁽⁴⁾، من بسط نفوذه على بلاد الشام مستغلاً كُرسي حكمه في مصر، وذلك بعد وفاة القائد العباسي في الشام محمد بن رائق في سنة (330هـ)، وفي سنة (333هـ) منحه الخليفة العباسي المستكفي (333-334هـ) ولاية مصر والشام بصورة رسمية، لكن هذا لم ينسجم مع طموحات سيف الدولة الحمداني⁽⁵⁾، الذي كان يحاول انتزاع السيطرة على بلاد الشام، ونجح في الاستيلاء على حلب في سنة (333هـ)⁽⁶⁾، وتبعته مدينة حمص بعد تحقيقه انتصارات عسكرية على الإخشيد، مما جعل الطرف الأخير يُحشد جيشه بقيادة كافور الاخشيدي⁽⁷⁾ للدفاع عن مصالح دولته، في وقت كانت فيه دمشق محاصرة من قبل ابن رائق⁽⁸⁾، فجرت معارك ضارية بين

(1) الكندي، ولاية مصر، ص246؛ تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ص186.

(2) البلوي، سيرة احمد بن طولون، ص183.

(3) البلدان، ص327.

(4) من اصل فرغاني، كان والياً على الرملة في سنة (316هـ) ثم الشام في سنة (321هـ)، ثم مصر في سنة (323هـ) حيث أعلن استقلاله بها عن الدولة العباسية، ومنحه الخليفة لقب اخشيدي، وهي كلمة تركية معناها (بياض الشمس). عطية الله، القاموس الاسلامي، ج1/ ص47.

(5) أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان، أخذ حلب من الكلابي نائب الإخشيد في سنة (333هـ)، وقبلها أخذ واسط، وتنقلت به الأحوال، وتملك دمشق مدة، ثم عادت إلى الإخشيد، وهزم العدو مرات كثيرة. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج16/ ص188.

(6) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ص145.

(7) كافور بن عبد الله الاخشيدي، كان عبدا لاختشيد مصر فنسب اليه، تولى حكم مصر في سنة (355هـ)، وتوفي في سنة (357هـ). الكندي، الولاية والقضاة، ص297؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4/ ص.

(8) محمد بن رائق، كان أبوه من أجل ممالك المعتضد وأدينهم، ولي للمقتدر شرطة بغداد فكان شهماً عالي الهمة مقداماً، فولي واسط والبصرة، فوفد عليه بجكم الأمير فاستخدمه، وترقت حاله، فولاه الراضي بالله إمرة الأمراء في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وتوجه إلى الشام، فدخل دمشق، وادعى أن المتقي لله ولاه عليها، وطرده عنها بدر الإخشيدي، ثم ساق لياخذ مصر، فالتقى هو وصاحبها محمد بن طغج الإخشيدي، فهزمه الإخشيدي. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج15/ ص326.

الطرفين، تراجع فيه جيش الإخشيديين، حتى التقى الطرفان عند قنسرين⁽¹⁾، فلم يظفر أحدهما بالآخر⁽²⁾.

وبعد أن استقر سيف الدولة في حلب، شنّ البيزنطيون هجوماً على منطقة الثغور، ردًا على ذلك، فخرج لمواجهةهم بالقرب من مرعش⁽³⁾، فتمكن من تحقيق النصر ضدهم، ويبدو أن لدوره الريادي في التصدي للبيزنطيين وحماية المسلمين في شمال الشام أثر في موقف الإخشيد، إذ فضّل الأخير مصلحة الأمة الإسلامية على مصالحته الخاصة⁽⁴⁾، فعقد صلحاً معه في ربيع الأول من سنة (334هـ)، نص على تبعية دمشق وأعمالها، بما في ذلك طرابلس وبيروت، على أن تكون حلب وشمال الشام لسيف الدولة⁽⁵⁾.

وفي ظل الدولة الفاطمية (258-567هـ)، وتحديدًا في سنة (358هـ) استطاع جوهر الصقلي⁽⁶⁾، قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي من تحقيق نجاح كبير بفتح مصر، إذ ألقى الخطبة باسم الخليفة الفاطمي على منابرها بدلاً من الخليفة العباسي، وبدأ بتأسيس القاهرة المعزية⁽⁷⁾ لتصبح مركزاً للخلافة الفاطمية، لكن طموحاته لم تتوقف عند ذلك الحد، إنما توجت أنظاره نحو بلاد الشام، فكان هدفه القضاء على ما تبقى من نفوذ الإخشيديين في تلك المنطقة⁽⁸⁾، وتأمين حدود مصر الشمالية، فضلاً عن الاستعداد لمواجهة البيزنطيين

(1) بكسر أوله، وفتح ثانيه وتشديده ثم سين مهملة، مدينة طولها تسع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، في الإقليم الرابع، فتحها أبو عبيدة بن الجراح في سنة (١٧هـ). ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4/ ص 403.

(2) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج 1/ ص 248.

(3) مدينة من الثغور بين بلاد الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني، بناه مروان بن محمد الشهير بمروان الحمار، ثم أحدث الرشيد بعده سائر المدينة، بها ربض يعرف بالهارونية وهو ما يلي باب الحدث. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5/ ص 107.

(4) محمود والشريف، العالم الإسلامي، ص 440.

(5) عاشور، الحركة الصليبية، ج 1/ ص 57.

(6) جوهر بن عبدالله بن ابو الحسن، مولى المعز لدين الله الفاطمي، ولد في سنة (312هـ) واستمر في خدمة الدولة الفاطمية، وكام من أعظم قوادها، توفي في القاهرة في سنة (381هـ). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1/ ص 193؛ المقرئزي، المقفى، ص 327.

(7) هي رابع موضع انتقل سرير السلطنة إليه من أرض مصر في الدولة الإسلامية، وذلك أن الإمارة كانت بمدينة الفسطاط، ثم صار محلها العسكر خارج الفسطاط، فلما عمرت القطائع صارت دار الإمارة إلى أن خربت، فسكن الأمراء بالعسكر إلى أن قدم القائد جوهر بعساكر مولاه الإمام المعز لدين الله معدّ، فبنى القاهرة حصناً، ومعقلاً بين يدي المدينة، وصارت القاهرة دار خلافة ينزلها الخليفة بحرمة، وخواصه إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية. المقرئزي، الخطط، ج 2/ ص 180.

(8) سالم، الصلات التاريخية، ص 2.

والقرامطة الذين اجتاحوا أراضي الشام، وألحقوا الهزيمة بالقوات الإخشيدية في سنة (357هـ)⁽¹⁾.

ولم يمض سوى عام تقريباً على استقرار جوهر في مصر حتى قرر إرسال حملة عسكرية إلى الشام في أواخر سنة (359هـ) بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي⁽²⁾، وتمكن من دخول دمشق في شهر محرم من سنة (360هـ) بعد تحقيق انتصار كبير على منافسيه الإخشيديين في معركتين حاسمتين، الأولى في الرملة⁽³⁾، والثانية في طبرية⁽⁴⁾، ولم يقتصر الأمر على ذلك، إنما أرسل جعفر جيشاً كبيراً من دمشق بقيادة غلامه فتوح⁽⁵⁾ إلى أنطاكية في سنة (360هـ)، وحاصر المدينة لمدة خمسة أشهر، لكنها صمدت أمام قواته، ما اضطره إلى التراجع والعودة إلى دمشق بعد استدعاء جعفر له للتصدي للخطر القرمطي⁽⁶⁾.

وقد شهدت دمشق اضطرابات داخلية، حيث ثار أهلها مرتين على جيش جعفر؛ لعبثهم بالنظام وانتهاكهم حرمة المنازل، ولأن أهل دمشق كانوا من أشد المعارضين للشيعنة بحكم مذهبهم السني المتشدد، وقد استغلوا هذا الوضع واستعانوا بالحسن بن أحمد القرمطي⁽⁷⁾، وتحالفوا مع زعماء القبائل العربية في الشام مثل بني عقيل وبني طيء، ونجح هذا التحالف في إلحاق الهزيمة بالجيش الفاطمي، وذكر ابن القلانسي ذلك قائلاً: "بلغ جعفر بن فلاح

(1) سرور، النفوذ الفاطمي، ص16.

(2) أبو علي جعفر بن فلاح الكتامي، أحد قواد المعز لدين الله الفاطمي، كان شجاعاً مظفراً سار مع القائد جوهر الصقلي لافتتاح مصر وتم على يده افتتاح بلاد الشام في سنة (358هـ) وقتل على يد القرامطة في سنة (360هـ). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/ ص185- ص186؛ المقرئزي، المقفى، ص220- ص228؛ الزركلي، الأعلام، ج2/ ص126.

(3) الرملة مدينة في وسط فلسطين بينها وبين القدس ثمانية عشر ميلاً، وهي قصبة فلسطين. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3/ ص69؛ الحميري، الروض المعطار، ص268.

(4) قصبة الأردن وبلد وادي كنعان موضوعة بين الجبل والبحيرة فهي ضيقة كربة في الصيف مؤذية طولها نحو من فرسخ بلا عرض، وسوقها من الدرب إلى الدرب والمقابر على الجبل بها ثمانى حمامات بلا وقيد ومياض عدة حارة الماء والجامع في السوق كبيرة حسن قد فرش أرضه بالحصى على أساطين. المقدسي، احسن التقاسيم، ص161.

(5) لم نجد له تعريف في المصادر المتوافرة بين أيدينا.

(6) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ص178.

(7) الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الحسن بن بهرام القرمطي الملقب بالأعصم، استولى على بلاد الشام في سنة (357هـ)، وتوفي في سنة (366هـ) في الرملة. المقرئزي، المقفى، ص255؛ الزركلي، الأعلام، ج2/ ص179.

خبرهم فاستهان بأمرهم ثم لم يشعر بهم حتى كبسوه بدمشق... فقتلوه واحتوا على سواده وأمواله⁽¹⁾.

وهذه الهزيمة الساحقة التي تعرض لها الجيش الفاطمي بمنطقة الشام أدت إلى تقهقر نفوذهم باتجاه مصر، مما أتاح للقرامطة السيطرة على مناطق واسعة من بلاد الشام، وأعلنوا الدعوة للخليفة العباسي المطيع منذ سنة (360هـ)، وظل الوضع كذلك لغاية سنة (363هـ) حيث تمكن الفاطميون بقيادة أبي محمود بن إبراهيم بن جعفر بن فلاح، من استعادة دمشق ومحيطها⁽²⁾.

وفي رمضان عام (363هـ)، نجح الفاطميون في استعادة دمشق، وعيّن الخليفة المعز القائد ريان الخادم⁽³⁾ واليًا عليها⁽⁴⁾، ومنذ ذلك الحين أصبحت ولاية مستقلة لا تتبع دمشق، بعدما ان كانت ملحقة بها⁽⁵⁾، ولم يمكث ريان طويلاً فيها، إذ أوكل إليه الخليفة مهمة التحري عن الأوضاع في دمشق بعد أن وصلت إليه الأخبار عن ثورة أهلها ضد سياسة الظلم والبطش التي انتهجها عسكر المغاربة هناك، وفشل القائد أبو محمود بن إبراهيم بن جعفر بن فلاح مقدم الجيش الفاطمي في ضبط الأوضاع وكبح الفساد، وظل ريان مقيماً في دمشق حتى مجيء أبو منصور التركي المعروف بأفتكين⁽⁶⁾، الذي دخل المدينة في سنة (364هـ) برفقة ثلاثمائة فارس بناءً على طلب أهلها⁽⁷⁾.

ومما تقدم يتبين ان حكومات عديدة قد تعاقبت على طرابلس، تاريخياً، كانت طرابلس مدينة حيوية نظراً لموقعها الجغرافي، لذلك شهدت نزاعات كبرى بسبب تعاقب هذه القوى المختلفة على السيطرة عليها

- (1) ذيل تاريخ دمشق، ص1- ص2.
- (2) سالم، طرابلس الشام، ص52.
- (3) يقال له ريان عبد العز. المقرئزي، اتعاظ الحنفاء، ص220. وسيمر الحديث عن دوره في اماره طرابلس في الصفحات اللاحقة.
- (4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص10.
- (5) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8/ ص77؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج2/ ص106.
- (6) ابو منصور الشرايبي، قائد تركي من أمراء سبكتكين في العراق، ومولى معز الدولة بختيار البويهبي، توفي في سنة (368هـ). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/ ص185؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16/ ص307؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج27/ ص216.
- (7) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص12.

ثانياً- التعريف بولاية طرابلس في العصر الفاطمي:

تولى عدد من الولاة الفاطميين حكم طرابلس، أولهم، ريان الخادم، الذي تولى ادارتها للمدة (363-378هـ)⁽¹⁾، اذ طلب منه المعز لدين الله مغادرتها والتوجه إلى دمشق بهدف استعادة الأمن والاستقرار هناك عقب الفتنة التي اندلعت في بداية جمادى الأولى بين سكان دمشق وجُند جيش ابن الصمصامة⁽²⁾، وهو ابن أخت القائد أبي محمود إبراهيم بن جعفر، قائد العسكر الفاطمي، فنشبت تلك الحرب منذ طلوع النهار واستمرت حتى حلول الليل، مما أدى إلى اضطراب كبير في المدينة وزيادة خوف سكانها، وتضررت المنازل بشكل كبير، وانهارت معنويات الناس، وتقطعت الإمدادات الغذائية، وأغلقت الطرق نتيجة للخوف وتوقفت الأنشطة التجارية وانقطع الماء عن المدينة، مما أدى إلى نقص حاد في الموارد الأساسية كالقنى والحمامات، وتفاقت الأوضاع لدرجة أن المجاعة والبرد أوديا بحياة عدد كبير من الناس في أنحاء متعددة⁽³⁾.

هذه الأحوال أغضبت الخليفة المعز لدين الله، اذ شعرَ بخطر حقيقي على حكمه في الشام، وقد عبّر عن انزعاجه بإلقاء عباة على الأرض حين بلغه الخبر⁽⁴⁾، ومن ثم أرسل أمراً للقائد ريان الخادم والي طرابلس يأمره بالمسير إلى دمشق، لمعالجة الوضع المتدهور، والعمل على تخفيف التوتر بين أهلها، كما أمر بنقل القائد أبي محمود إبراهيم بن جعفر وابن الصمصامة من المدينة وإعادة الاستقرار لسكانها، بينما جه أبو محمود للإقامة في طرابلس⁽⁵⁾ ليكون تحت رقابته، فامتثل ريان للأوامر وعندما وصل إلى دمشق درس الوضع الداخلي وتحقق من شؤون الرعية بها، ووجه القائد أبا محمود وابن الصمصامة بالانسحاب من دمشق، فغادراها وتوجها إلى الرملة مع قوة عسكرية صغيرة، بينما بقيت غالبية الجند مع ريان الخادم، وقد أبلغ الخليفة بجميع الخطوات التي اتخذها، واستقر في دمشق حتى سنة (364هـ)⁽⁶⁾.

(1) المصدر نفسه، ص10.

(2) سيرد الحديث عن جيش بن محمد بن صمصامة ومدة ولايته في طرابلس في الصفحات القادمة.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص10.

(4) سنان، تاريخ اخبار القرامطة، ص64.

(5) ابن ابيك، الدرر المضية، ص169.

(6) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ ص263.

يظهر مما تقدم الدور البارز الذي اضطلع به ريان، الذي تجاوز حدود الولاية، إذ تولى الحكم في طرابلس ودمشق معاً، معتمداً الحكمة والروية في قراراته، التي أسفرت عن استقرار الأمور وصالح الأمور.

أعقبه في الولاية القائد نزال الكتامي، وكان من وجوه قادة عيسى بن نسطورس وزير العزيز بالله⁽¹⁾، ومن أقدّر صنائعه وخواصه⁽²⁾، تولى الولاية بعد ريان الخادم في سنة (٣٧٨هـ)، واستمر فيها لمدة ثمان سنين حتى سنة (٣٨٦هـ)، وعد من أبرز ولايتها في العصر الفاطمي وأكثرهم كفاية، وقد اشترك في سنة (٣٧٨هـ) في إخماد حركة منير الخادم الصقلي⁽³⁾ بدمشق، الذي كان قد خرج على الخليفة العزيز بالله⁽⁴⁾، وأظهر حنكة وحكمة في التصرف معها وسائر الأحداث التي جرت في شمال الشام في تلك الحقبة⁽⁵⁾.

تلاه المظهر محمد بن نزال الكتامي، إذ أسند له الأمر في سنة (381هـ)، وأظهر موقفاً متخاذلاً في أثناء حملة الإمبراطور البيزنطي باسيل على طرابلس في سنة (385هـ)، إذ انسحب أمامه وانضم إليه، وكان على وشك أن يسلمه طرابلس لولا موقف قاضي المدينة علي بن عبد الواحد حيدرة⁽⁶⁾ الذي قاد المواجهة ضد البيزنطيين وقهرهم⁽⁷⁾.

أعقبه جيش بن محمد بن الصمصامة، وكان من شيوخ قبيلة كتامة البارزين في الدولة الفاطمية، تولى أمر دمشق من قبل القائد أبي محمود في سنة (٣٦٣هـ)، ثم تولى طرابلس لفترة قصيرة من سنة (٣٨5هـ) وبضعة أشهر من سنة (386هـ)، إذ صرفه عنها القائد سليمان بن جعفر بن فلاح لسوء رأيه ولوجود عداوة بينهما⁽⁸⁾.

(1) عيسى بن نسطورس أبو الفضل كاتب نصراني قلده العزيز بالله منصب الوساطة فضبط أمور الدولة. المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، ص244.

(2) أبو شجاع، ذيل تجارب الامم، ج3/ ص209. ينظر ملحق رقم (3)

(3) غلام الوزير يعقوب بن سفيان بن يوسف بن كلس، ولي دمشق من قبل المصريين في سنة (378هـ). ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج60/ ص382.

(4) الشدياق، أخبار الأعيان، ص173.

(5) ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص30- ص34.

(6) أبو الحسين علي بن عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن الحر حيدرة بن سليمان الاطرابلسي الكتامي، أسرته من الأسر المشهورة في طرابلس في ذلك العصر. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج25/ ص113.

(7) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ ص283.

(8) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص44.

وأُسند الأمر الى أخيه علي بن جعفر بن فلاح بعد أن صرف عنها جيش بن الصمصامة وذلك في خلافة الحاكم بأمر الله في سنة (٣٨٦هـ)، وقد أورد ابن القلانسي أمر تعيينه، بقوله: "رد الى علي أخيه ولاية طرابلس الشام"⁽¹⁾، ولم تستمر ولايته طويلاً، اذ عزل نفسه عن الولاية بالسنة نفسها⁽²⁾.

جاء من بعده عز الدولة تميم التنوخي، اذ كان قد وفد من حلب قاصداً القائد سليمان الكتامي في دمشق في سنة (386هـ)، فآكرمه بولاية طرابلس، وولى وأسند الى ولده الامير مطوع، بيروت واطليم الغرب، ولم يستمر بها طويلاً، اذ أمر بصرفه عنها في السنة التالية⁽³⁾.

خلفه ميسور الخادم الصقلي، الذي ولاه الحاكم بأمر الله في سنة (٣٨٧هـ)⁽⁴⁾، وكان "كريمًا جداً، عاقلاً، حاذقاً، عظيم الاصابة برمي السهام، شجاعاً، بطلاً، حاذقاً بصناعة اليد"⁽⁵⁾، ولم يستمر بها طويلاً، اذ اعتزل عنها في السنة نفسها، لكنه بقي محتفظاً في قيادة الجيش الفاطمي حتى سنة (400هـ)⁽⁶⁾.

أعقبه أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن حيدرة الكتامي، وكان من الشخصيات البارزة في تاريخ طرابلس خلال فترة حكم الدولة الفاطمية، أسند له القضاء في طرابلس في سنة (385هـ)، ثم الامارة عليها بعد سنتين التي استمر فيها للمدة من سنة (387هـ) لغاية سنة (400هـ)⁽⁷⁾.

وخلال تلك المدة شارك في الأحداث الهامة التي وقعت في انحاء الشام، فتولّى قيادة الجُند والمتطوعين وقاد أسطول طرابلس، وأبرم اتفاقيات مع حُكام المدن والحصون، وبسط سلطته على مدن الساحل، وكان لديه صلاحيات واسعة مكنته من عزل وتعيين ولاة في مدن مثل صور، مما عكس قوته ونفوذه الكبير⁽⁸⁾.

(1) ذيل تاريخ دمشق، ص48.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص49.

(3) الشدياق، اخبار الاعيان، ج2/ ص289.

(4) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ص300.

(5) الشدياق، اخبار الاعيان، ج2/ ص501.

(6) ينظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ج1/ ص199- ص200.

(7) سالم، طرابلس الشام، ص52.

(8) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص51.

وقد مدحه أبو الحسن التهامي (ت416هـ)⁽¹⁾ وهو في ثغر طرابلس قائلاً⁽²⁾:

وإلى ابن عبد الواحد القاضي ارتمت بلداً كساحة صدره فياحا
ما زال هذا الثغر ليلاً دامساً حتى طلعت لليله إصباحا
فَجَلَّتْ له الأيام بعد عُبوسها وجهاً كوجهك مشرعاً وضاحا
وحكمت في مهج العدو بحكمة قرنت برأيك غدوةً ورواحا
فسفكت ما كان الصلاح يسفكه وحققت بعض دمائه استصلاحا

في هذه الأبيات إشارة إلى انه حكم بالقتل على بعض أعوان الوالي المتخاذلين والمستسلمين للعدو، وقد أظهر شجاعة استثنائية في الدفاع عن المدينة والتصدي للبيزنطيين، حتى استشهد فيها⁽³⁾.

فخلفه أبو سعادة، وكان له دور في ولاية طرابلس قبل امرته عليها، إذ اشترك مع واليها السابق علي بن عبد الواحد بن حيدرة لنجدة مرتضى الدولة منصور بن لؤلؤ⁽⁴⁾ أمير حلب ضد منافسه أبي الهيجاء⁽⁵⁾ في سنة (400هـ)⁽⁶⁾، وعزز دوره هذا بعد امرته عليها في دعم النفوذ الفاطمي في شمال الشام أمام الحمدانيين وحلفائهم البيزنطيين، وظل على امرتها لغاية سنة (407هـ)⁽⁷⁾.

(1) أبو الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي، من تهامة وإليها أنتسب، إلا أنه لم يعيش فيها سوى مرحلة النشأة الأولى من حياته، لكن الشاعر أخذ من الرملة بفلسطين مقاماً له، وطُوف كثيراً في بلاد العرب، لاسيما أقاليم بلاد الشام والعراق. الزركلي، الأعلام، ج4/ ص327.

(2) ديوان أبو الحسن التهامي، ص12.

(3) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ ص293.

(4) أبو نصر منصور بن لؤلؤ ولقب مرتضى الدولة، وكان ظالماً عسوفاً، فأبغضه الحلبيون وهجوه هجواً كثيراً. ابن العديم، زبدة الحلب، ج1/ ص112.

(5) أبو الهيجاء هو ابن سعد الدولة بن سيف الدولة وال حلب، وكان قد أوصى سعد الدولة لؤلؤاً لما مات به، فلما أن ملك لؤلؤ خاف منه، صاهر ممهد الدولة أبا منصور أحمد بن مروان صاحب ديار بكر على ابنته، خرج من حلب هارباً، والتجأ إلى ملك الروم فلقبه الماخس طرس، فلما كثر ظلم منصور وعسفه رغب الرعية وبنو كلاب المتدبرون ببلد حلب في أبي الهيجاء بن سعد الدولة، وكاتبوا صهره ممهد الدولة بن مروان في مكاتبة باسيل ملك الروم في إنفاذه إليهم. فأنفذ إلى الملك يسأله تسيير أبي الهيجاء إليه ليتعاضدا على حلب، ويكون من قبله من حيث لا يكلفه إنجاده برجال ولا مال. فأذن باسيل لأبي الهيجاء في ذلك، فوصل إلى صهر بميفارقين، فسير معه مائتي فارس وخزانه، وكاتب بني كلاب بالانضمام إليه. ينظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ج1/ ص112- ص113.

(6) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ ص303.

(7) ينظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ج1/ ص199- ص200.

تلاه محمد بن نزال أبو عبد الله الكتامي المشهور بلقب مختار الدولة محمد بن نزال الكتامي، وكان على ولاية دمشق التي استمر فيها للمدة من (400هـ) لغاية تكليفه بإمرة ولاية طرابلس⁽¹⁾، إذ أسند إليه هذه المهمة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، وظل فيها لمدة غير معلومة⁽²⁾، وقد ذهب عبد العزيز سالم إلى أنه "ظل يتولى أمر طرابلس حتى توفي في سنة 462هـ"⁽³⁾، وهو رأي صعب تقبله، لكون الجو العام كان مضطرباً، ولم يستقر إلا بإعلان أبو طالب بن عمار استقلاله عن الخلافة الفاطمية في سنة (462هـ)؛ لذلك فمن العسير أن يبق في منصبه هذا أكثر من نصف قرن.

مما تقدم يظهر أن مدينة طرابلس لم تُترك دون حماية من بداية الفتح الإسلامي حتى القرن الخامس الهجري، فشهدت تولي العديد من القادة البارزين في التاريخ الإسلامي الذين حرصوا على الحفاظ على المدينة لأهميتها الاستراتيجية كثغر بحري وعسكري، رئيساً يربط بين مصر وبلاد الشام، مما جعلها نقطة حيوية لحماية الساحل وتأمين طرق التجارة. كخط دفاع أول ضد الغزو الصليبي، ففي العصر الأموي أصبحت قاعدة بحرية لبناء الأساطيل، فكان لها دور في الصراعات ضد البيزنطيين وميناء لتجارة الأخشاب، ثم تطورت في العصر الفاطمي لتكون قاعدة سياسية وعسكرية مهمة لعملياتهم في بلاد الشام بسبب سهولة الوصول إليها براً وبحراً من مما عزز نفوذهم في المنطقة، مما جعلها مركزاً حيوياً منذ الفتح الإسلامي وحتى القرن الخامس الهجري وما بعده بسبب أهميتها الاستراتيجية.

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 66- ص 69؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 37/ ص 207

(2) ابن العديم، زبدة الحلب، ج 1/ ص 200.

(3) عاشور، الحركة الصليبية، ج 1/ ص 64.

المبحث الثاني

نشأة الدولة العمارية في طرابلس والتعريف بحكامها (462-502هـ)

أولاً- نشأة الدولة العمارية:

بعد أن أحكم الفاطميون سيطرتهم على مصر، عملوا على ضمان استمرارية نظامهم من خلال توسيع نفوذهم السياسي نحو أهم المناطق الحيوية المجاورة لحدود مصر، وهي بلاد الشام، بهدف فرض سيطرتهم لأسباب دينية وسياسية واقتصادية⁽¹⁾.

فمن الناحية الدينية، كان هدفهم نشر الدعوة الفاطمية في المنطقة، وعلى المستوى السياسي كان هدفهم المنافسة مع العباسيين للهيمنة على المنطقة وتعزيز النفوذ في العالم الإسلامي، فضلاً عن توسيع حدود الدولة الفاطمية وحماية حكمهم في مصر، وقد شكلت بلاد الشام بالنسبة لهم خط الدفاع الأول عن مصر، مما ساعد في تأمين حدودها من تهديد البيزنطيين والقرامطة الذين سيطروا على دمشق في سنة (357هـ)، ومن الناحية الاقتصادية، سعوا للإفادة من المكانة الاقتصادية المهمة التي تمتع بها إقليم بلاد الشام⁽²⁾.

وقد تمكن الفاطميون في عهد الحاكم بأمر الله من فرض سيطرتهم الكاملة على بلاد الشام، وذلك بعد إبرام هدنة لمدة عشر سنوات مع الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني⁽³⁾. وقد عزز حكمهم بالقضاء على ثورة بني جراح الطائيين في فلسطين، وإضعاف نفوذ الحمدانيين في حلب في عهد الظاهر لإعزاز دين الله، وتمكن بنو مرداس من تأسيس إمارة في حلب، مما اضطر الخليفة الفاطمي إلى التناوب بين محاربتهم أحياناً ومهادنتهم أحياناً أخرى، وهذا الوضع سمح بانتشار الاضطرابات في المنطقة الشمالية من بلاد الشام، وأدت إلى حالة من الفوضى التي اجتاحت فلسطين وحلب، مما هيأ فرصة للسلاجقة بالطمع في السيطرة على مدينتي حلب ودمشق⁽⁴⁾.

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص52.

(2) ينظر: حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص151- ص152.

(3) باسيل الثاني، ويسمى أيضاً بازيل الثاني، وهو الإمبراطور البيزنطي من اباطرة البيت المقدوني تولى الحكم سنة (366هـ). يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص176.

(4) ينظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ص129- ص131.

وكانت مصر في تلك الفترة تواجه أزمات سياسية واقتصادية حادة، حيث اقتقدت وجود حاكم قوي قادر على السيطرة وإحكام الأمور، فتفاقم الغلاء وارتفعت الأسعار في أنحاء البلاد كافة، وازدادت الفتن والاضطرابات وتعرضت الأراضي للنهب، وتفاقم غضب الناس بسبب ارتفاع الأسعار الناتج عن نقص مياه نهر النيل منذ سنة (352هـ)، حيث بلغ أدنى مستوياته في سنة (356هـ)⁽¹⁾.

وقد توالىت الأزمات والصعوبات التي واجهتها الدولة الفاطمية، نتيجة للعوامل والظروف المختلفة، وفي طليعتها سوء إدارة السياسة الاقتصادية، واستخدام القوة ضد الأتراك والمغاربة والسودانيين، مما أدى إلى تعمق النزاعات بين طوائفهم المختلفة، فأدخل ذلك البلاد في حالة من الفوضى والضعف والاضطراب الغير مسبوق منذ تأسيس الدولة في بلاد المغرب، وزاد من حدة هذه الأزمات الكوارث الطبيعية، ما دفع الناس إلى التوقف عن سداد الضرائب، والصراع الداخلي في المؤسسة العسكرية، وغيرها من الأمور ذات الصلة من تفشي الأمراض وغيرها⁽²⁾.

وفي ظل هذه الظروف والأحوال غير المستقرة سنحت الفرصة لبني عمار بالاستقلال عن الدولة الفاطمية، في محاولة منهم لخلق كيان سياسي ينهض بتجربة سياسية واقتصادية ممكن لها ان تنتشل المسلمين في مناطق نفوذهم من الأزمات التي كادت ان تقضي عليهم، فانبرى لهذه المهمة قاضي طرابلس أبو طالب ابن عمار ليؤسس الدولة العمارية ساعده بذلك جملة عوامل داخلية وأخرى خارجية كما سيمر بنا الحديث عنها لاحقاً.

ومن خلال ما توفر من روايات تاريخية يمكن القول إن وجود بني عمار في طرابلس يعود إلى النصف الأول من القرن الخامس للهجرة، بدليل ما أورده ابن حجر العسقلاني عن توجه ابن القطان البغدادي⁽³⁾ إلى طرابلس واقامته فيها عند رئيسها أبي طالب، بقوله: "ثم توجه إلى طرابلس فأقام عند رئيسها أبي طالب.. وقرأ أولاده وصنف الشامل في الفقه أربع مجلدات، وكان موجودا سنة عشرين وأربعمائة"⁽⁴⁾، وعزز ذلك ان الكراجكي⁽⁵⁾ المتوفي في

(1) ابن زولاق، فضائل مصر، ص78؛ ابن الأثير، الكامل، ج7/ ص309؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4/ ص61.

(2) حسن، مصر في العصور الوسطى، ص166؛ مقبل، الفاطميون، ص50.

(3) الحسين بن أحمد بن محمد القطان البغدادي، كان إمام وعالم وفاضل من فقهاء الإمامية. ابن حجر، لسان الميزان، ج2/ ص267.

(4) لسان الميزان، ج2/ ص267.

سنة (449هـ) كان موجوداً في طرابلس في سنة (436هـ)⁽¹⁾، وأنه وضع مصنفات لبني عمار، منها كتابه (البستان)⁽²⁾، "صنفه للقاضي الجليل أبي طالب عبد الله ابن محمد بن عمار"⁽³⁾، فكان ذلك مؤشراً على وجودهم هناك في هذه السنة، وانهم كانوا قضاتها، واستمروا كذلك حتى تحولوا من قضاة إلى حكام مستقلين⁽⁴⁾.

وقد اختلفت الآراء حول تحديد تاريخ استقلال بني عمار بالحكم، فقد ذهب تدمري الى انهم حكموا من سنة (424هـ) وذلك بعد أن انحاز واليها مختار الدولة بن نزال الكتامي إلى البيزنطيين الذين هاجموا طرابلس، فثار الأهالي عليه وطرده وبذلك أصبح ابن عمار الحاكم الفعلي في المدينة⁽⁵⁾، بينما ذكر محمد كرد علي أن بني عمار حكموا في حدود سنة (440هـ)⁽⁶⁾.

على اننا نرجح أن استقلال بني عمار بالحكم كان في سنة (462هـ)، وهو ما ذهب اليه عدد من المؤرخين والباحثين⁽⁷⁾. وهو ما شهدته المشرق الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري تحولات سياسية كبيرة تمثلت في ضعف السلطة المركزية لصالح تنامي نفوذ القوى المحلية، هذا التحول أفسح المجال لظهور كيانات سياسية شبه مستقلة في مختلف المناطق، ومن بين أبرز النماذج التي عكست هذا الواقع اسرة بني عمار في مدينة طرابلس الشام، التي برزت كمثال مميز للجمع بين النفوذ السياسي ورعاية النشاط الثقافي، بفضل هذا التوازن، أصبحت الإمارة واحدة من أهم الكيانات على الساحل الشامي خلال تلك الحقبة.

(5) أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي، كان شيخ الشيعة، نحويًا ولغويًا، وله عدة مصنفات، توفي في مدينة صور في سنة (449هـ). ينظر: الذهبي، العبر، ج2/ ص294- ص295؛ سير أعلام النبلاء، ج18، ص121؛ الصفي، الوافي بالوفيات، ج4/ ص96؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج2/ ص443؛ الزركلي، الأعلام، ج6/ ص276.

(1) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص241.

(2) أحد مصنفات الكراجكي في الفقه، ويسمى أيضاً المشجر؛ لأنه رتب فيه أبواب الفقه بعنوان الشجرات. ينظر: البغدادي، إيضاح المكنون، ج2/ ص567؛ هدية العارفين، ج2/ ص70؛ الطهراني، الذريعة، ج3/ ص105.

(3) الطهراني، الذريعة، ج3/ ص105.

(4) ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص197؛ سالم، طرابلس الشام، ص66؛ الزين، تاريخ طرابلس، ص69؛ مكي، لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، ص100؛ محمد، المجتمع الإسلامي، ص40.

(5) تاريخ طرابلس، ج1/ ص345.

(6) خطط الشام، ص191.

(7) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص97؛ سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ص66؛ الزين، تاريخ طرابلس قديماً وحديثاً، ص69؛ محمد، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص40.

وقد ساعدت عوامل داخلية وأخرى خارجية على قيام الدولة العمارية في طرابلس، فعلى المستوى الداخلي شكلت الانقسامات السياسية والمذهبية أحد أهم العوامل الداخلية التي أدت إلى ضعف الدولة الفاطمية⁽¹⁾، وعزز ذلك ضعف سلطان الدولة على بلاد الشام، مما أتاح إلى قيام الأمراء المحليون بالعمل على توطيد استقلالهم الذاتي، كما فعل بنو الجراح في فلسطين وبنو مرداس في حلب، وحاولت الدولة الفاطمية إعادة سيطرتها فحاربتهم حيناً وسالمتهم حيناً آخر، مما أدى إلى حدوث الاضطراب في بلاد الشام، وبالنتيجة أدت هذه الفوضى إلى طمع السلاجقة في الاستيلاء على أغلب مدن الشام، نظراً للضعف الذي أصاب الدولة الفاطمية منذ النصف الأول من القرن الخامس للهجرة⁽²⁾

فكان قاضي طرابلس أبو طالب ابن عمار في ظل هذه الأحوال الداخلية يراقب الأوضاع عن كثب، ويعمل للاستفادة من هذا الوضع، ليحفظ لطرابلس استقلالها وسط هذه الفوضى، فوضع الخطوط الأساسية لتأسيس إمارته المستقلة في طرابلس مستثمراً هذه الأوضاع لصالحه⁽³⁾.

وعلى المستوى الخارجي اتسم حكم الفاطميين لبلاد الشام وسواحه بعدم الاستقرار وتحديداً في القرن الخامس للهجرة، فكان الصراع بينهم وبين الدولة البيزنطية على أشده في المنطقة⁽⁴⁾، فبينما كانت الغلبة في بعض الأحيان إلى البيزنطيين كانت الجولات الأخرى إلى الفاطميين، فقامت العديد من الحملات لصد الهجوم البيزنطي على بلاد الشام لاستعادة ما فقدته الدولة من ممتلكاتها على أيديهم، منها ما قام به أمراء حلب وطرابلس من مهاجمة حصون الروم والبيزنطيين والاستيلاء عليها مثل مرقية وعزاز وغيرها، مدعومين بقوات أرسلتها لهم الدولة الفاطمية من مصر⁽⁵⁾، من دون الوصول إلى امر في النهاية يؤدي إلى استقرار المنطقة لأحد الطرفين، وعزز هذه التحديات الخارجية ظهور السلاجقة على مسرح

-
- (1) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص348؛ محمد، المجتمع الإسلامي، ص41.
- (2) ينظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ص129-131؛ سرور، سياسة الفاطميين، ص151؛ الزين، تاريخ طرابلس، ص69؛ مكّي، لبنان من الفتح، ص100؛ محمد، المجتمع الإسلامي، ص40.
- (3) المقرئزي، اتعاظ الحنفاء، ج2/ص134.
- (4) ينظر: الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص413؛ ابن الأثير، الكامل، ج8/ص192؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج15/ص629-630؛ الراجحي، العلاقات السياسية والحضارية، ص70.
- (5) ينظر: الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص420-422؛ ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية، ص131؛ طقوش، تاريخ الفاطميين، ص324.

الاحداث السياسية، وهو عامل لعب دوراً كبيراً في عدم استقرار الوضع العام في بلاد الشام، إذ وصل هذا الفريق إلى ساحة بلاد الشام وهو على أشده لتحقيق أهدافه أولاً، ثم أهداف العباسيين ثانياً، فكثر غاراتهم وحملاتهم على بلاد الشام⁽¹⁾ بغية تقليص نفوذ الفاطميين الشيعة الإسماعيلية وسيادة العباسيين السنة على المنطقة، مما أجبر الفاطميون على سحب قواتهم وتراجع نفوذهم بشكل كبير من بلاد الشام⁽²⁾.

ومما تقدم يتبين أن هناك مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية ساهمت في نشوء قوة بني عمار وتعزيز سيطرتهم على طرابلس، مما أدى إلى تأسيس إمارة قوية استمرت لسنوات، من الناحية الداخلية، استغل بنو عمار حالة الضعف والتفكك التي عانت منها الدولة الفاطمية في الداخل، بالإضافة إلى التحديات الخارجية التي واجهتها، وهذا الضعف في السلطة المركزية أفسح المجال أمام ظهور قادة محليين في مختلف مناطق بلاد الشام، الذين استفادوا من الفراغ السياسي لتوسيع نفوذهم، وكان آل عمار في طرابلس من أبرز هذه القوى، إذ أسسوا حكماً شبه مستقل، وأما على الصعيد الخارجي، فعلى الرغم من أن الحملات الصليبية كانت من العوامل التي عجلت بسقوط الدولة الفاطمية، فإن ظهور القوة السلجوقية في المناطق الشرقية والوسطى من العالم الإسلامي كان له تأثير كبير على إضعاف النفوذ الفاطمي، وهذا الأمر أتاح فرصة للقوى المحلية، مثل بني عمار، للإفادة من الوضع والتحرك لإقامة حكم مستقل في مناطقهم، نتج عن التنافس بين القوى الكبرى، المتمثلة بالفاطميين والسلاجقة، حالة من الانقسام السياسي والتدهور الإداري، حيث ركزت هذه القوى جهودها على الصراعات الداخلية فيما بينها، أدى ذلك إلى ضعف السلطة المركزية، خاصة في السيطرة على المدن والمناطق البعيدة عن المركز، وفي ظل هذا الوضع، برزت المدن الساحلية، مثل طرابلس الشام، بالظهور كمراكز حضارية محورية ذات تأثير اقتصادي وثقافي، مما أتاح لها استغلال هذا الفراغ لتحقيق درجة من الاستقلال الذاتي.

(1) ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 98-100؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8/ ص 387-388؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ص 194-195.
(2) طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ص 56.

ثانياً- حكام الدولة العمارية في طرابلس (462-502هـ)

1- أمين الدولة أبو طالب (462-464هـ):

أبو طالب بن عمار هو أول حاكم للدولة العمارية في طرابلس، وكان من الشخصيات البارزة في بلاد الشام كلها، حتى أنه توسط بين المستنصر بالله الفاطمي ومحمود بن نصر المرادسي (ت 467هـ)⁽¹⁾ لإحلال السلام بينهما في سنة (459هـ)⁽²⁾، وفي ذلك قال ابن تغري بردي: "دخل القاضي ابن عمار المقيم بطرابلس بينهم وأصلح الحال"⁽³⁾.

وكان قد أعلن عن تأسيس دولته في سنة (462هـ)، وأطلق على نفسه لقب (أمين الدولة)⁽⁴⁾، مستغلاً اضطراب أوضاع بلاد الشام، وانحسار النفوذ الفاطمي عنها، تزامناً مع انشغال السلاجقة⁽⁵⁾، والبيزنطيين للسيطرة عليها، مما حدا به إلى تبني سياسة مناورة لحفظ استقلال طرابلس في خضم تلك الأوضاع غير المستقرة، مستندة على الحياد ازاء الصراع الفاطمي- السلجوقي⁽⁶⁾.

وعلى الرغم من استقلاله عملياً عن الدولة الفاطمية إلا أنه لم يعلن استقلاله عنها بصورة رسمية؛ لكونه يُدين بالإسلام وفق المذهب الشيعي، وحتى لا يُثير عليه سُكان طرابلس الذين يميلون إلى الفاطميين، وفي هذا الصدد ذكر المقرئزي: أنه حكم نيابة عن الفاطميين على سبيل الولاية جامعاً بين منصبي القاضي والوالي، وأن الدولة الفاطمية "قد حولت الى ثغر في أيديهم على سبيل الولاية، فلما جاءت الشدائد تغلبوا عليه"⁽⁷⁾، لكنه تقرب في الوقت

(1) محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي، كان أحد الأمراء المرداسيين أصحاب حلب، وليها في سنة (452هـ). الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 10/ ص 193؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج 3/ ص 329؛ الزركلي، الأعلام، ج 7/ ص 189.

(2) طالب المستنصر بالله الفاطمي إلى محمود المرداسي بحمل المال إليه وغزو الروم، وصرف ابن خاقان ومن معه من الغجر، فأجاب بأنه ملتزم بأداء أموال اقترضها في أثناء القتال مع عمه، وهو مطالب بها وأنه ليس في يده ما يقضي به، وأما عن الروم فقد أجاب بأنه هادئهم إلى مدة معينة وأعطاهم ولده رهينة على مال اقترضه منهم ولا سبيل في محاربتهم، فلما وصل هذا الجواب إلى الخليفة المستنصر بالله كتب إلى بدر الجمالي المقيم بدمشق بأن محمود خلع الطاعة ومال إلى جهة السلاجقة. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5/ ص 79.

(3) النجوم الزاهرة، ج 5/ ص 79.

(4) ابن شداد، الأعلام، ج 2/ ص 149. ينظر ملحق رقم (4)

(5) ينظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ص 129- ص 131؛ سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص 151؛ سالم، طرابلس الشام، ص 63- ص 65؛ طقوش، تاريخ الخلافة الفاطمية، ص 362- ص 363.

(6) ينظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ص 129- ص 131.

(7) اتعاظ الحنفاء، ج 2/ ص 192.

ذاته من السلاجقة وأرسل الهدايا لهم⁽¹⁾، وطلب دعمهم لحكمه في طرابلس، فأمدّه السلطان السلجوقي ألب أرسلان (ت465هـ)⁽²⁾ ببعض عساكره إلى طرابلس في سنة (463هـ)⁽³⁾، وفي ذلك قال ابن العديم: "سار بعض عساكره... إلى طرابلس لتقرير أمرها"⁽⁴⁾.

وفي أثناء حكمه لجأ إلى طرابلس سديد الملك بن منقذ (ت479هـ)⁽⁵⁾ فراراً من محمود المرداسي صاحب حلب، وهو ما كشف عنه ابن العديم بقوله: "سار إلى طرابلس فكتب محمود إلى ابن عمار بالقبض عليه، ويبذل له ثلاثة آلاف درهم... فلم يظفر به"⁽⁶⁾، وهو دليل على اتباعه سياسة الحياد، فعلى الرغم من صداقته مع المرداسي أبي ان يسلم إليه سديد الملك.

واستطاع كذلك حماية طرابلس من خطر النواكية⁽⁷⁾، الذين تخلفوا عن السلطان السلجوقي ألب أرسلان بعد رحيله عن حلب، ونزلوا الشام، وأغاروا على الكثير من مدنه⁽⁸⁾، فتمكن من احتواء خطرهم، ثم أسكن قسماً منهم في طرابلس ودخلوا في خدمته⁽⁹⁾، ووسع

- (1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص112؛ الزين، تاريخ طرابلس، ص70.
- (2) أبو شجاع محمد بن جغري بيك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق التركماني الملقب عضد الدولة ألب أرسلان، كان أحد أمراء السلاجقة، تولى الحكم بعد موت عمه السلطان طغرل بيك في سنة (455هـ). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/ص35؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج10/ص160؛ سير أعلام النبلاء/ ج18/ص414؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج16/ص39.
- (3) حلب مدينة عظيمة في بلاد الشام، وهي قسبة قنسرين. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2/ص282؛ القزويني، آثار البلاد، ص183؛ الحميري، الروض المعطار، ص196.
- (4) بغية الطلب، ج4/ص1975.
- (5) علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني، لقب بسديد الملك، كان أميراً شجاعاً، وهو أول من ملك قلعة شيزر من بني منقذ في سنة (474هـ)، وبقي فيها حتى وفاته. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2/ص195؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج10/ص341؛ الصفي، الوافي بالوفيات، ج22/ص140.
- (6) زبدة الطلب، ص183.
- (7) النواكية مجموعة من الأتراك الذين تسربوا إلى بلاد الشام وأدوا دوراً بارزاً في الأحداث السياسية، وهم جماعات من المرتزقة الذين دخلوا في طاعة السلاجقة ولم يكونوا ينتمون إلى العشائر التركية بل أن الأتراك شكلوا الأكثرية العددية بينهم فغلب النسب التركي عليهم. ينظر: زكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ج1/ص146-149؛ طقوش، تاريخ السلاجقة، ص111.
- (8) ينظر: زكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ج1/ص146-149.
- (9) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص350؛ زكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ج1/ص146.

رقعة دولته فضم مدينة جبيل إليها⁽¹⁾، وهو ما أكده ابن شداد (ت684هـ) بقوله: "تغلب امين الدولة أبو طالب بن عمار قاضي طرابلس عليها فيما تغلب عليه من بلاد الشام"⁽²⁾.

واسترسل ابن شداد في الكلام عن امين الدولة، مبيناً أنه: "من اعقل الناس واسدهم رأياً"⁽³⁾، فقد تمكن في وسط ما كان يجري من حوادث في بلاد الشام، أن يضع الخطوط العريضة لقيام إمارته المستقلة في طرابلس، واتبع سياسة الحياد بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية والسلاجقة، واستطاع الحفاظ على حكم طرابلس، وعلى الرغم من انفصاله عن الفاطميين فإنه لم يمنع من اصدار نقود في طرابلس حملت اسم المستنصر بالله الفاطمي، استمر في استعمالها⁽⁴⁾، لذا أشاد به وبسياسته المؤرخون⁽⁵⁾، وحين توفي في سنة (464هـ)⁽⁶⁾، رثاه ابن حيوس (ت473هـ)⁽⁷⁾ في قصيدة مطلعها⁽⁸⁾:

ند بالعزاء الهم عن طلباته لا تسخطن الله في مرضاته

ومما تقدم يظهر ان ابا طالب قد وضع اساساً متيناً لدولته الفتية، اذ حصنها سياسياً وإدارياً، وكسب لصالحه أغلب الاطراف السياسية.

2- جلال الملك (464-492هـ):

اسمه علي بن محمد بن عمار، وكنيته أبو الحسن، وأطلق على نفسه لقب (جلال الملك) بعد تسنمه حكم الدولة العمارية في طرابلس بعد وفاة عمه أمين الدولة أبو طالب بن عمار في سنة (464هـ)⁽⁹⁾.

(1) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص351.

(2) الأعلام الخطيرة، ج2/ ص145.

(3) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج2/ ص145؛ النويري، نهاية الأرب، ج31/ ص35-36؛ حاج عمر، المسلمون الشيعة، ص45.

(4) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص352؛ حاج عمر، المسلمون الشيعة، ص29.

(5) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج2/ ص149؛ النويري، نهاية الأرب، ج31/ ص35-36؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5/ ص89؛ سالم، طرابلس الشام، ص67.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص392؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10/ ص159؛ المقرئ، اتعاض الحنفاء، ج2/ ص134.

(7) الدمشقي. ديوان ابن حيوس، ج1/ ص132.

(8) المصدر نفسه، ج1/ ص132.

(9) ابن الخياط، ديوان ابن الخياط، ص22؛ الأصفهاني، خريدة القصر، ص160؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج22/ ص68.

وكان لأمين الدولة أبي طالب ابن صغير اسمه شمس الملك⁽¹⁾، تسبب في نشوب صراع عنيف بين جلال الملك⁽²⁾ وعمه أبو الكتائب⁽³⁾، مما أدى إلى اضعاف نفوذ بني عمار في تلك المرحلة، وكادت الأمور أن تنحى منحى خطير لولا مجيء ابن منقذ إلى طرابلس⁽⁴⁾، لدعم جلال الملك ضد مناوئيه، مما أدى إلى تسنم حكم طرابلس رغماً عنهم، وهو ما بينه ابن العديم (ت660هـ) بقوله: "فاتفق موت امين الدولة ابن عمار، فشد ابن منقذ من جلال الملك علي بن عمار، وعاضده بمماليكه ومن طلع معه من أهل كفر طاب⁽⁵⁾"⁽⁶⁾، ثم أبعد الحاكم جلال الملك عمه أبو الكتائب من طرابلس⁽⁷⁾.

وقد حفظ جلال الملك ذلك الفضل لابن منقذ، فارتفعت مكانته عنده، حتى أصبح من خواص جلسائه، وأشركه معه في حكم طرابلس، وهو ما بينه ابن العديم بقوله: "عظم محل ابن منقذ عنده حتى كان حكمه في طرابلس مثله"⁽⁸⁾.

وأدار جلال الملك دفعة حكم طرابلس بمهارة على طوال الثمانية وعشرون سنة التي قضاها في حكمها، وكان على قدر كبير من الحنكة السياسية، وذو براعة تامة في تصريف الأمور، فضلاً عن قدرته الكبيرة في متابعة السياسة التقليدية لعمه أمين الدولة أبو طالب في تبني الحياء بين المعسكرين الفاطمي والسلجوقي، وقدرته الكبيرة على ابعاد طرابلس عن الصراعات القائمة ابان تلك المرحلة⁽⁹⁾.

وأصبحت طرابلس في ظل حكمه محط أنظار القوى السياسية على اختلافها، وبفضل ما تميز به من حنكة ودهاء استطاع مهادنة الفاطميين والعباسيين والسلاجقة وحافظ على

(1) شمس الملك هو أبو الفرج محمد بن أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن عمار الملقب أبو المناقب. ابن الخياط، ديوان ابن الخياط، ص83.

(2) زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة، ص160؛ تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص359.

(3) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص359؛ حاج عمر، المسلمون الشيعة، ص46.

(4) ينظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ص182-183؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج2/ ص414-415.

(5) كفر طاب مدينة تقع بين المعرة وحلب قليلة المياه وكان أهلها يعتمدون على ما يجمعونه من مياه الأمطار. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4/ ص470؛ القزويني، آثار البلاد، ص248.

(6) زبدة الحلب، ص183؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2/ ص149؛ النويري، نهاية الأرب، ج31/ ص36.

(7) ابن العديم، زبدة الحلب، ص183؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2/ ص149؛ النويري، نهاية الأرب، ج31/ ص36.

(8) زبدة الحلب، ص183.

(9) ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص392؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10/ ص159؛ أبو الفداء، المختصر، ج1/ ص547؛ القلقشندي، مآثر الأنافة، ج1/ ص345؛ حاج عمر، المسلمون الشيعة، ص46.

إمارته؛ فلم يقطع علاقته تماماً بالدولة الفاطمية، وأظهر في بعض الأحيان ميلاً لها، واتضح ذلك حين لجأ إليه صهره الأمير حصن الدولة (ت481هـ)⁽¹⁾، هارباً من الفاطميين⁽²⁾ فأعاده اليهم، فقتلوه⁽³⁾، قال ابن القلانسي (ت555هـ): "ثم صار من صور⁽⁴⁾ إلى طرابلس، وأقام بها عند زوج اخته جلال الملك بن عمار مدة، واطلع إلى مصر فهلك"⁽⁵⁾.

ولاشك أن ذلك الأسلوب يعكس بوضوح رغبة جلال الملك الشديدة في عدم إقحام طرابلس في صراع مع الفاطميين، الذين قد يفسرون لجوء حصن الدولة إليه بمؤامرة مشتركة ضد دولتهم، مما قد يؤدي إلى تبعات وخيمة على استقرار طرابلس واستقلالها خلال تلك الحقبة⁽⁶⁾، ومن ثم فإنه كان مضطراً للقيام بذلك العمل على الرغم من بشاعته، فحصن الدولة وإن كان صهره، لكن الاحتفاظ باستقلال طرابلس أهم بكثير، بالشكل الذي أجبره على القيام بعمل مقتته التقاليد العربية.

واللافت أن سياسته في الانفراد بطرابلس وابعادها عن المشاكل والصراعات القائمة آنذاك، لم تحل من دون تعرضه إلى الدسائس والمؤامرات التي حاكتها بعض الشخصيات داخل المدينة للإطاحة به تحت غطاء الوزير الفاطمي بدر الجمالي (ت487هـ)⁽⁷⁾ ذا الرغبة الجامحة للتخلص من هذه الأسرة، وإعادة طرابلس إلى الدولة الفاطمية، ففي سنة (468هـ) كشف جلال الملك عن مؤامرة دبرها بدر الجمالي بمساندة بعض وجوه المدينة، حين وقعت

(1) حصن الدولة هو معلى بن حيدرة بن منزو بن النعمان الكتامي، كان والياً على دمشق في سنة (461هـ) أيام المستنصر بالله الفاطمي، وأساء السيرة فهرب منها وسجن في مصر مدة وقتل. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج59/ص375؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18/ص519.

(2) أساء حصن الدولة السيرة مع الجند والرعية وظلمهم عندما كان والياً على دمشق في سنة (461هـ) محاولاً في ذلك الاستقلال بدمشق والانفراد بالسلطة والخروج عن طاعة الدولة الفاطمية، فثار العسكر عليه وساعدهم أهالي دمشق على ذلك، فخاف على نفسه وهرب إلى بانياس ثم إلى صور حتى وصل طرابلس. ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص95-96؛ ابن الأثير، الكامل، ج8/ص410؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج3/ص473.

(3) استخدم الفاطميون أسلوباً فريداً وقاسياً في التعامل مع منائهم، وهو ما نستشفه من قول ابن القلانسي "فهلك في الاعتقال قتلاً بالنعال في سنة 481". ذيل تاريخ دمشق، ص96.

(4) مدينة مشهورة في بلاد الشام مطلة على البحر المتوسط مثل الكف على الساعد ويحيط بها البحر من ثلاث جوانب. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1/ص365؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3/ص433.

(5) ذيل تاريخ دمشق، ص96.

(6) ينظر: سالم، طرابلس الشام، ص69-70؛ تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص366.

(7) بدر بن عبد الله الجمالي، الأرمني، أبو النجم، كان أمير الجيوش المصرية، ولي دمشق من قبل المستنصر بالله الفاطمي في سنة (455هـ) ثم استدعاه إلى مصر واستعان به وأصبح الحاكم في دولته. ينظر: ابن الصيرفي، الإشارة، ص55-56؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19/ص81؛ ابن حجر، رفع الأصر، ص91-92؛ الزركلي، الأعلام، ج2/ص45.

في يده رسالة من بدر الجمالي إلى زعماء المؤامرة⁽¹⁾، قال سبط ابن الجوزي (ت654هـ): "تنبئ عن موافقة تجري بينهم للقبض على جلال الملك وتسليم البلد، فاسرع بالقبض على زعماء المؤامرة وصادرهم وقتل منهم جماعة"⁽²⁾، وعلى أثر ذلك شنت الدولة الفاطمية بزعامه الجمالي حملة لإعادة طرابلس إلى الحكم الفاطمي تلتها حملات أخرى لإعادة هيمنتها على طرابلس، أهمها، الحملة العسكرية التي قادها نصر الدولة⁽³⁾ في سنة (471هـ) فحاصرت الحملة دمشق⁽⁴⁾ ثم اتجهت نحو طرابلس وصور⁽⁵⁾.

قال ابن القلانسي: "خرج من مصر عسكر كبير مع نصر الدولة... ونزل على دمشق محاصراً لها... وقصد ناحية الساحل وكان ثغراً صور وطرابلس في أيدي قضاتها قد تغلبا عليها ولا طاعة عندهما لأمير الجيوش"⁽⁶⁾. وهذا التحرك العسكري أظهر واقعاً سياسياً مختلفاً؛ فقد كانت مدينتا صور وطرابلس، وهما من أبرز الثغور الساحلية، قد انفصلتا فعلياً عن السيطرة المباشرة للسلطة الفاطمية، وأصبحتا تخضعان لحكم قضاتهما الذين تولوا إدارتهما بطريقة مستقلة، ما أدى إلى غياب الطاعة الفعلية لأمير الجيوش الفاطمي.

فانتعشت طرابلس بعد تلك الحملات، واستتبت الأمور لجلال الملك، الذي تقرب إلى السلاجقة عن طريق الهدايا والمجاملات، وهو ما صرح به ابن القلانسي بقوله: "يصانغان الاتراك بالهدايا والملاطفات"⁽⁷⁾، وكان لتلك السياسة أثر في إبعادهم عن أمارته من جهة فضلاً عن كسبهم كحليف استراتيجي لتدعيم سلطة بني عمار في طرابلس ضد سياسة بدر الجمالي العدائية من جهة ثانية، وبذلك استطاع جلال الملك تقوية وتدعيم سلطان أمارته عن النفوذ الفاطمي⁽⁸⁾.

(1) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص364؛ محمد، المجتمع الإسلامي، ص41.

(2) مرآة الزمان، ج1/ص161.

(3) نصر الدولة هو افتكين ناصر الدولة مولى أمير الجيوش بدر الجمالي، والي الاسكندرية في زمن المستنصر بالله الفاطمي، قتل على يد الأفضل الجمالي في سنة (488هـ). ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص142؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج10/ص517.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص112؛ ابن الأثير، الكامل، ج8/ص418.

(5) ذيل تاريخ دمشق، ص112.

(6) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص112؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5/ص126.

(7) ذيل تاريخ دمشق، ص112.

(8) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5/ص110.

بعد نجاح سياسة إبعاد طرابلس عن الاضطرابات السياسية، عمل جلال الملك على توسيع رقعة إمارته ومد نفوذها إلى مناطق أخرى، فتمكن من ضم جبلة⁽¹⁾، إلى أملاكه في سنة 473هـ⁽²⁾ بعد أن كانت تحت الحكم البيزنطي، فأعان جلال الملك قاضيه ابن صليحة⁽³⁾ على الانفصال عن البيزنطيين ثم ضمها إلى إمارته، وبقي الأخير قاضياً وحاكماً في جبلة نيابةً عنه⁽⁴⁾.

ثم سيطر جلال الملك على انطرطوس⁽⁵⁾ لقاء مبلغ دفعه إلى الملك السلجوقي تاج الدولة تتش⁽⁶⁾ الذي سبق أن احتلها سنة (477هـ)⁽⁷⁾، وسيطر أيضاً على حصن عرقة⁽⁸⁾، شمال طرابلس، وبذلك أمن طرابلس من جهة الشمال، وأصبحت إمارته تحتوي على شريط ساحلي يمتد من جبلة شمالاً إلى جونية⁽⁹⁾ جنوباً⁽¹⁰⁾، حيث كانت جزءاً مهماً من مدينة طرابلس.

بهذا فقد تمكن من تدعيم مركزه في طرابلس عن طريق اتباع سياسة متنوعة في احتواء الازمات والمواقف السياسية وغيرها، فمن جهة استخدم الأسلوب العسكري في إيقاف بدر الجمالي، ومن جهة أخرى استخدم أسلوب الاغراء المادي والمجاملات في الحصول على مكاسب إقليمية في شراء المدن والحصون، وبذلك يمكن أن نقول: إنه من أهم الشخصيات التي تفتنت في الدهاء السياسي والعسكري.

- (1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2/ ص105.
- (2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5/ ص110.
- (3) ابن صليحة هو أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة ويقال صليعة، كان قاضي في جبلة وحاكمها. ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص446؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19/ ص298؛ تاريخ الإسلام، ج10/ ص519.
- (4) ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص446.
- (5) الأصبخري، المسالك والممالك، ص47؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1/ ص270؛ القزويني، آثار البلاد، ص151.
- (6) تاج الدولة أبو سعيد تتش بن ألب أرسلان السلجوقي، استولى على دمشق في سنة (471هـ) وملك حلب في سنة (478هـ) وقُتل على يد أخيه بركياروق في سنة (488هـ). ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج11/ ص35؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/ ص154؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10/ ص233.
- (7) محمد، المجتمع الإسلامي، ص41.
- (8) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4/ ص109.
- (9) جونية حصن كبير يقع على ساحل البحر المتوسط من أعمال طرابلس. المصدر نفسه، ج2/ ص189.
- (10) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص365؛ محمد، المجتمع الإسلامي، ص41. وينظر ملحق رقم (5)

وأكدت الأحداث التي حصلت في عصره على مرونته في التعامل مع المواقف حسبما اقتضاه الحال، فكانت سياسته تجاه السلاجقة الذين احتلوا مدن بلاد الشام دمشق وحلب والرها⁽¹⁾ شاهداً عليها⁽²⁾، ففي سنة (485هـ) أمر السلطان السلجوقي ملكشاه⁽³⁾ كلاً من آق سنقر⁽⁴⁾ والي حلب وبوزان⁽⁵⁾ صاحب الرها، أن يرافقا أخاه تاج الدولة تتش في غزو سواحل بلاد الشام⁽⁶⁾، فزحفوا بجيوشهم إلى بلاد الشام ووصلوا إلى طرابلس فحاصروها، وهو ما بينه سبط ابن الجوزي بقوله: "فيها حاصر تتش طرابلس ومعه آق سنقر وبزان، وبها جلال الملك بن عمار"⁽⁷⁾.

ف رأى أن تلك الجيوش لا تدفع إلا بحيلة⁽⁸⁾ فأرسل إلى الأمراء الذين مع تاج الدولة تتش وأراد أن يطعمهم بالأموال فلم ينجح في ذلك، وهو ما صرح به ابن الأثير بقوله: "فأرسل إلى الأمراء الذين مع تاج الدولة تتش واطمعمهم ليصلحوا حاله فلم ير فيهم مطمعا"⁽⁹⁾، وحين فشل في اغراء الأمراء السلاجقة لجأ إلى عناصر مؤثرة على موقف بعضهم، فاستغل ضعف ولين وزير آق سنقر فاغراه بالأموال للتأثير على أميره آق سنقر واقناعه بالتخلي عن محاصرة طرابلس، فنجح في نيل موافقة الوزير على رفع الحصار عن طرابلس مقابل الأموال "فراسله ابن عمار فرأى عنده لينا فأتحفه واعطاه، فسعى مع صاحبه قسيم الدولة في اصلاح حاله ليدفع عنه وحمل له ثلاثين الف دينار

(1) الرها مدينة بالجزيرة بين الموصل وبلاد الشام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3/ص106.

(2) ينظر: زيود، دول بلاد الشام ومصر، ص107-ص108.

(3) ملكشاه أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود السلجوقي الملقب بجلال الدولة، ولي أمر السلاجقة بعد وفاة والده ودبر دولته وزيوره نظام الملك بوضعية من والده ألب أرسلان. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/ص143؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19/ص54-ص55.

(4) هو أبو سعيد آق سنقر بن عبد الله الملقب بقسيم الدولة المعروف بالحاجب، مملوك السلطان السلجوقي ملكشاه، استنابه تتش في حلب سنة (478هـ) وعصاه فحاربه تتش وقتل في سنة (487هـ). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/ص128-ص129.

(5) بوزان هو الأمير بوزان صاحب الرها وحران قُتل على يد السلطان السلجوقي تتش في سنة (487هـ). ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج8/ص352؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10/ص366-ص367؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج16/ص136؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5/ص20.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص353؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5/ص130.

(7) مرآة الزمان، ج1/ص153؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5/ص130.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص353.

(9) المصدر نفسه، ج8/ص353.

وتحفا بمثلها"⁽¹⁾.

وتمثلت حيلة جلال الملك والوزير السلجوقي آق سنقر، بادعاء جلال الملك وجود مناشير ورسائل من الخلفاء العباسيين بشرعية حكمه على طرابلس⁽²⁾، وحين أبرز تلك المناشير المزورة أمام الأمراء السلاجقة، ادعى الوزير اق سنقل المتواطئ معه أنها كفيلة برفع الحصار عن طرابلس، فأبى قتاله، وقال لتاج الدولة تتش: "لا أقاتل من هذه المناشير بيده"⁽³⁾، وهكذا امتلك الوزير حجة للانسحاب من طرابلس.

ويمكننا أن نستنتج أيضاً من هذا الأمر عدم رغبة بعض الأمراء السلاجقة بصعود نجم تتش وتسيدته عليهم وبالنهاية سينقلب الأمر عليهم بعد التخلص من أمير طرابلس على اساس رغبة وطموح تتش في توحيد منطقة بلاد الشام تحت سلطانه، يضاف إلى ذلك عدم ايمان الأمراء السلاجقة بمسعاهم لاسيما بعد حصولهم على رسائل ومكاتبات قانونية، فيها اقرار بشرعية حكم جلال الملك، وكان المال هو اساس التحرك وليس ايمانهم بعدالة القضية.

وتخلى آق سنقر عن الجيش وانسحب في الليل إلى حلب مما اضطر تاج الدولة تتش وبوزان إلى الانسحاب من طرابلس⁽⁴⁾، وبذلك خلص جلال الملك إمارته من الجيش السلجوقي بحسن تصرف ودهاء عظيمين، لتظل طرابلس واحدة من أكثر المدن قوة ومنعة واستقراراً في ظل حكم ذلك الامير، وهو آخر أمرائها الذين اوصلوا حدودها الجغرافية إلى أقصى ما وصلت اليه من اتساع، ولا بد من التأكيد على أن السياسة التي انتهجها مع الدولتين العباسية والسلاجقة من جهة والدولة الفاطمية من جهة ثانية قد عززت من مكانة طرابلس السياسية المستقلة عنهما، حتى صارت ابان تلك الحقبة مدينة مزدهرة ومستقرة.

3- فخر الملك (492-502هـ):

بعد وفاة جلال الملك في سنة (492هـ) اعتلى الحكم أخيه فخر الملك⁽⁵⁾، وكان من "الأعيان الملوك... غزير المروعة عالي الهمة"⁽⁶⁾، و"دهاة الرجال وأفراد الزمان شجاعة

(1) ابن الاثير، الكامل، ج8/ص353 .

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج1/ص153؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5/ص130.

(3) ابن الاثير، الكامل، ج8/ص353 .

(4) المصدر نفسه، ج8/ص353؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج1/ص153؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5/ص130 .

(5) العظيمي، تاريخ حلب، ص360؛ ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج2/ص150؛ تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص268 .

وإقداماً ورأياً وحزماً⁽¹⁾، وتلقب بـ(ملك الساحل)؛ لقوته وشجاعته وهمته العالية⁽²⁾.

عاشت دولة بني عمار خلال عهده أصعب الفترات من عمرها، فعلى الرغم من محاولته المحافظة على سياسة أسلافه في إبعاد طرابلس عن الصراعات السياسية بين القوى المتصارعة إبان تلك المرحلة، إلا أن ظهور الصليبيين⁽³⁾ وما أحدثته هذه القوة من فارق في ميزان القوى في الساحة السياسية أدخل بنو عمار في دائرة اهتمام هذه القوى، مما دفعه إلى إتباع أساليب مختلفة للمحافظة على استقلال طرابلس وإبعادها عن الأخطار الخارجية، فأخر ذلك سقوطها مدة عشر سنوات⁽⁴⁾.

اذ واجه العديد من المشاكل خلال مدة حكمه لطرابلس، منها عصيان قاضي جبلة أبو محمد بن صليحة في سنة (494هـ) حين تسلم حكمها بعد وفاة والده منصور الذي كان أحد ولاة بني عمار على المنطقة، اذ أقام الخطبة للخلافة العباسية، وهو ما بينه ابن الأثير بقوله: حينما "توفي منصور فقام ابنه أبو محمد عبد الله مقامه، وأحب الجندية، واختار الجند، فظهرت شهامته، فأراد ابن عمار أن يقبض عليه، فاستشعر منه، وعصى عليه، وأقام الخطبة العباسية"⁽⁵⁾، فثار عليه، لكن لم يود أن يعط مبرراً للسلاجقة ضده في حال اعتقاله أو محاسبته، فحرض السلاجقة عليه وأغراهم بالأموال، فأرسل إلى السلطان السلجوقي دقاق بن تتش⁽⁶⁾ صاحب دمشق، وعرض عليه مالا ليساعده في محاربة ابن صليحة، وهو ما بينه ابن الأثير بقوله: "فبذل ابن عمار لدقاق بن تتش مالا ليقصده ويحصره ففعل وحصره فلم يظفر

(6) الأصفهاني، خريدة القصر، قسم شعراء الشام، ص111؛ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج4/ق3/ص265.

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19/ص311.

(2) ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج4/ق3/ص264؛ عثمان، تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام الشمالي، ص54؛ حاج عمر، المسلمون الشيعة، ص46.

(3) جاء الصليبيون إلى العالم الإسلامي على شكل سلسلة حملات شنّها مسيحيو غرب أوربا على الشرق المسلم بين عامي (488-690هـ). الحميدة، الحروب الصليبية، ج1/ص22؛ طقوش، تاريخ الفاطميين، ص425.

(4) سالم، طرابلس الشام، ص73.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص446؛ وينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19/ص298؛ تاريخ الإسلام، ج10/ص519؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5/ص212.

(6) دقاق شمس الملوك أبو نصر بن تتش بن ألب أرسلان السلجوقي، وليّ دمشق بعد مقتل أبيه في سنة (487هـ) وعمل معه الأتابك طغتكين، ثم مرض دقاق ومات في شهر رمضان من سنة (497هـ). ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج17/ص304؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/ص154؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19/ص210-211؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج14/ص15.

منه بشيء... وبقي أبو محمد بها مطاعاً إلى أن جاء الفرنج⁽¹⁾، وعلى الرغم من قدرات فخر الملك في ضرب ابن صليحة إلا أنه تركه لحاله، واستمر الأخير في معاداته لبني عمار حتى جاء الصليبيون فحاصروه في سنة (494هـ)⁽²⁾، ونتيجة لعدم قدرته على مواجهة الصليبيين حاول استخدام أسلوب الخداع والمراوغة في إفشال حصارهم له، إذ أشاع أخباراً كاذبة بأن السلاجقة قد جاءوا لنصرته بقيادة بركياروق⁽³⁾، ليلقي الشك في قلوب الصليبيين فينصرفوا عنه، فنجح في ذلك ورحلوا عن جبلة⁽⁴⁾، قال الذهبي: "فاظهر ان السلطان بركياروق قد توجه إلى الشام وشاع هذا فرحل الفرنج"⁽⁵⁾.

إلا أن هذا الأسلوب لم يحقق الهدف المرجو، فحين تيقن الصليبيون من عدم صدق المعلومات، عادوا مرة أخرى لمحاصرة المدينة بشكل أقوى، فما كان من ابن صليحة إلا أن يستخدم خدعة جديدة تمثلت بإشاعة وصول الجيش الفاطمي، وقد حقق بعض النجاح في ذلك، لكن هذا العمل لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما عاد الصليبيون مرة ثالثة لمحاصرة المدينة بعد تأكدهم من بطلان الأخبار وعدم صحتها⁽⁶⁾.

وعندما فشلت خطط ابن صليحة السابقة لجأ إلى خطة جديدة كانت أكثر نجاحاً، ساعده على تنفيذها رعايا جبلة من النصارى الروم⁽⁷⁾ حينما قاموا بمراسلة الصليبيين "ويواعدوهم إلى برج من أبراج البلدة ليسلموه إليهم ويملكوا البلد"⁽⁸⁾، فانطلت الحيلة على القوات الصليبية الذين جهزوا ثلاثمائة رجل من أعيانهم وشجعانهم، وقدموا على البرج المتفق عليه وقام نصارى جبلة بإدلاء الحبال إليهم، وقد كمن ابن صليحة عند السور ورفعهم بالحبال وقتلهم، قال ابن خلدون: "فرفعهم بالحبال واحداً بعد واحد وهو قاعد على السور حتى قتلهم

(1) الكامل، ج8/ص 446-447.

(2) ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج8/ص 447؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19/ص 298؛ تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص 382-383؛ سالم، طرابلس الشام، ص 74.

(3) بركياروق أبو المظفر ركن الدين ابن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، كان أحد ملوك السلاجقة، تولى الحكم بعد موت أبيه في سنة (485هـ)، وتوفي في سنة (498هـ). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/ص 141؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19/ص 195.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص 448.

(5) سير أعلام النبلاء، ج19/ص 298.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص 447؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19/ص 298؛ تاريخ الإسلام، ج10/ص 519؛ تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص 271.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص 447؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5/ص 212.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص 447.

أجمعين"⁽¹⁾. وفوجيء الصليبيون في صباح اليوم التالي برؤوس رفاقهم وهي مصفوفة على السور، ثم قام جند ابن صليحة بإلقائها عليهم فعادوا إلى تشديد الحصار **"ونصبوا على البلد برج خشب"**⁽²⁾.

وتمكنوا من هدم أحد أبراج المدينة، إلا أن ابن صليحة أعاد بناءه في الليل⁽³⁾، وأمر جنده بفتح بعض الثقوب في السور، ثم تقدم الصليبيون لقتاله فبرز إليهم بفرسانه وتمكن من إلحاق الهزيمة بهم، قال ابن الأثير: **"ثم نقب في السور نقوباً وخرج من الباب وقاتلهم فأنهزم منهم وتبعوه، فخرج أصحابه من تلك النقوب، فأتوا الفرنج من ظهورهم، فولوا منهزمين"**⁽⁴⁾، وتمكن ابن صليحة من أسر قائدهم⁽⁵⁾، وإن كان قد نجح لحد هذه المرحلة في صد الصليبيين عن مدينته، إلا أنه كان على علم أنه لا مفر من عودتهم لقتاله، وانتزاع جبلة من يده، ولما كان قد خرج عن طاعة بني عمار وسلخ جبلة من إمارتهم، فإنه توجه إلى السلاجقة ليدخل في حمايتهم ويسلمهم المدينة، فأرسل إلى طغتكين أتابك دمشق في سنة (494هـ) يطلب منه إرسال من يراه من ثقاته ليسلم إليه جبلة⁽⁶⁾.

انتدب طغتكين ولده تاج الملك بوري (ت526هـ)⁽⁷⁾، وكان صاحب دمشق دقاق بن تتش خارج المدينة وقتذاك⁽⁸⁾، وعاد في أول شوال من سنة (494هـ) قبل أن يخرج تاج الملك بوري من دمشق، فوافق على ما قام به طغتكين وأذن لتاج الملك بوري بالذهاب إلى جبلة، فذهب وتسلم المدينة⁽⁹⁾، ورحل ابن صليحة إلى دمشق **"ووصل إلى دمشق بأصحابه"**

- (1) تاريخ ابن خلدون، ج5/ص212.
- (2) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص447.
- (3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19/ص299؛ تاريخ الإسلام، ج10/ص519؛ تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص383.
- (4) الكامل، ج8/ص447.
- (5) ذكره ابن الأثير باسم **"كند اصطيل"**. الكامل، ج8/ص447؛ أما ابن خلدون فيذكره باسم **"كبرانيطيل"**، تاريخ ابن خلدون، ج5/ص212.
- (6) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2/ص12.
- (7) أبو سعيد تاج الملوك بوري ابن ظهير الدين طغتكين ملك دمشق. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج10/ص409؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/ص154؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10/ص202.
- (8) توجه دقاق بن تتش إلى ديار بكر في سنة (493هـ) بعد أن وصلته أخبار بأن نائبه فيها أراد الاستقلال بها عنه، فوصل إليه ورتب الأمر وسيطر على الأوضاع فيها ثم عاد إلى دمشق في شوال من سنة (494هـ). ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص139؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج1/ص369.
- (9) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص447؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19/ص299؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2/ص12.

وأسيابه وكراعه ودوابه وكل ما تحويه يده من مال وأثاث وحال"⁽¹⁾، وحال وصوله إلى دمشق أرسل ابن عمار إلى السلطان السلجوقي دقاق طالبا منه تسليم ابن صليحة إليه مقابل مبلغ من المال إلا أنه رفض⁽²⁾، قال ابن الأثير: لما "أرسل ابن عمار صاحب طرابلس إلى الملك دقاق، وقال سلم إليّ ابن صليحة... وأنا أعطيك ثلاثمائة ألف دينار فلم يفعل"⁽³⁾ ثم وصل ابن صليحة إلى بغداد⁽⁴⁾.

وسنحت الفرصة هذه المرة أمام فخر الملك في استعادة جبلة، وذلك عندما تسلم تاج الملك بوري المدينة في سنة (494هـ)⁽⁵⁾، فإنه أساء السيرة هو وأصحابه وظلموا أهلها، "وأذى أهلها وصادرهم، وما ألفوا إلا الإحسان والعدل"⁽⁶⁾ فشكوا حالهم إلى فخر الملك، وطلبوا منه أن يرسل بعض أصحابه ليسلموا إليه المدينة، فأرسل إليهم عدة وافرة من عسكره، قال ابن القلانسي: "فوعدهم المعونة على مرادهم واسعادهم بالانقاذ لهم، وانهض إليهم عدة وافرة من عسكره، فدخلت الثغر"⁽⁷⁾، ووصلت قوات فخر الملك إلى جبلة وانضم إليها الأهالي وقتلوا تاج الملك بوري ومن معه وهزموهم وملك عسكر فخر الملك جبلة وأسروا تاج الملك بوري وحملوه إلى طرابلس⁽⁸⁾، وفي هذه الأثناء ونتيجة للأحداث السابقة رأى فخر الملك ضرورة عدم إثارة العداء مع السلاجقة في هذه المرحلة، فحرص على إرضائهم ليأمن على الأقل جانبهم، فأكرم تاج الملك بوري وأعادته معزراً إلى أبيه بدمشق، وكتب إليه يبرر له تصرفه في خوفه من سقوط جبلة بيد الصليبيين، قال ابن الأثير: "فأكرمه ابن عمار وأحسن

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص139؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج1/ ص369.

(2) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5/ ص212.

(3) الكامل، ج8/ ص447.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص139؛ ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص447؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19/ ص299.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص139؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص360؛ ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص447؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2/ ص12.

(6) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج1/ ص370.

(7) ذيل تاريخ دمشق، ص139؛ ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص448؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج1/ ص370؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7/ ص212.

(8) ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص139؛ ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص448؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2/ ص12؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5/ ص212-213؛ تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص272؛ سالم، طرابلس الشام، ص75؛ علي، خطط الشام، ج1/ ص257.

إليه وسيره إلى أبيه بدمشق واعتذر إليه وعرفه صورة الحال وأنه خاف أن يملك الفرنج جبلة⁽¹⁾.

ودل هذا التصرف على دهاء فخر الملك وسداد رأيه، فقد كان لذلك أثر كبير في إبقاء العلاقات ودية مع السلاجقة وبالأخص مع طغتكين اتابك دمشق، وبصورة لا يجرؤ معها على القيام بعمل عدائي ضده، فضلاً عن أنه كانت له خطط بعيدة المدى من وراء ذلك التصرف، إذ رغب في الابتعاد عن المشاحنات والصراعات في هذه الفترة والتفرغ لملاقاة العدو الجديد المتمثل بالصلبيين والافادة من عنصر السلاجقة في الحالات الحرجة التي قد تعصف بالمدينة وأهلها على يد الصليبيين.

فنجح في هذه المرحلة من احتواء الأزمات والمواقف التي عصفت بالمنطقة، بدليل تمكنه من استرجاع مدينة جبلة في سنة (494هـ)، وقام بترميمها بشكل جعلها قادرة على الوقوف أمام الصليبيين، وشحنها بالمقاتلين بعد تهيئة كل سبل المقاومة⁽²⁾، وظلت خاضعة لحكم بني عمار حتى سقوطها بأيدي الصليبيين بعد مقاومة كبيرة في سنة (499هـ)⁽³⁾.

ومما تقدم يظهر أن فخر الملك كان من عينة ملوك دولة بني عمار في طرابلس، وأنه استطاع بحكمته ودهائه أن يحافظ على دولته ويحتفظ بحكمها على الرغم من التحديات الكبيرة الداخلية والخارجية التي واجهته.

4- أبو المناقب:

بعد فخر الملك تولى حكم الدولة العمارية في طرابلس ابن عمه أبو الفرج محمد، المعروف بلقب (شمس الملك ذو المناقب)، وكان شخصية بارزة في طرابلس، إذ كلفه فخر الملك بإدارة الدولة في فترة غيابه عن طرابلس لتوجهه إلى بغداد بهدف طلب الدعم والمعونة من السلاجقة والخليفة المستظهر بالله العباسي (487-512هـ)، فسعى بكل قوته إلى توفير الاستعدادات اللازمة لمقاومة الصليبيين أطول فترة ممكنة؛ فدفع رواتب الجيش لمدة ستة

(1) الكامل، ج8/ ص448.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج1/ ص371.

(3) يني، تاريخ سوريا، ص308.

أشهر مقدماً، وقام بتوزيع القوات العسكرية على المناطق الحساسة التي قد تكون عرضة للهجوم⁽¹⁾.

لكن يظهر ان وراء هذه المساعي نوايا في الاستئثار بالسلطة عن طريق استغلال هذا الفراغ في السلطة، اذ أعلن استيلاءه على الحكم، وفي خطوة لتأمين موقفه والتقليل من المخاطر الخارجية المتوقعة، أعلن ولاءه للدولة الفاطمية التي كانت تنتظر هذا الاجراء بفارغ من الصبر، ولاسيما بعد تقوية ابن عمه فخر الملك علاقاته مع الخلافة العباسية والسلاجقة⁽²⁾.

الا ان فخر الملك لم يكن غافلاً عن إمكانية خيانة ابن عمه أو احتمال تهوره، فكان مستعداً لأي طارئ، فعندما وصله خبر تمرده، أصدر تعليماته إلى أنصاره في طرابلس بالقبض عليه وإرساله إلى حصن الخوابي⁽³⁾، فنُفذت الأوامر بسرعة وتم القضاء على حركة التمرد في مهدها⁽⁴⁾.

وذكر الذهبي أن صراعاً كبيراً نشأ بين سعد الدولة فتيان بن الأعسر⁽⁵⁾ وذو المناقب بن عمار حول إدارة البلاد. فكانت المدينة في حالة انقسام بين تيارين، أحدهما مؤيد للفاطميين والآخر يرى أن مصلحة الدولة تكمن في استمرار ولائها للخلافة العباسية⁽⁶⁾، وهذا الانقسام عكس تعقيدات الساحة السياسية في تلك الفترة وسعي الأطراف المتنافسة لتحقيق مصالحها الخاصة.

وختم مسلسل هذا الصراع بما حدث في شهر رمضان من سنة (501هـ) حينما كان أبو المناقب جالساً في مجلسه بصحبة عدد من أعيان المدينة، فنفوه بكلمات غير لائقة تصدى لها سعد الدولة بقوله: "لا يا سيدي، لا يا سيدي"، فاستشاط غضباً واستل سيفه وضرب سعد الدولة فقتله، مما تسبب في حالة من الفوضى داخل المجلس، وزاد ذلك بعد التنكيل بجثة سعد

(1) درة، امارة بني عمار في طرابلس، ص 61.

(2) ابن الاثير، الكامل، ج 8/ ص 558.

(3) حصن الخوابي هو قلعة إسماعيلية كانت تقع إلى الشمال من مدينة طرابلس. الصالحي، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، ص 119.

(4) ابن الاثير، الكامل، ج 8/ ص 558.

(5) ويسمى أيضاً سعد الدولة فتيان بن الاعز، وكان أحد غلمان فخر الملك بن عمار، قتله ابو المناقب بن عمار. ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج 2/ ص 149؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 14/ ص 527.

(6) تاريخ الاسلام، ج 51/ ص 32.

الدولة، فزاد غضب أهالي طرابلس وانتفضوا ضد أبي المناقب، ونجحت انتفاضتهم بالقبض عليه، وأعلنوا ولاءهم للخلافة الفاطمية وطالبوا بالأفضل بن أمير الجيوش الفاطمي⁽¹⁾ ليكون حاكماً عليهم⁽²⁾.

وبعد تلك الواقعة، أرسل الأفضل ابن أمير الجيوش الى طرابلس في سنة (501هـ)، وكلف شرف الدولة بن أبي الطيب⁽³⁾ والياً عليها، وأرسل معه المؤن والإمدادات العسكرية⁽⁴⁾ وأمره بالاستعانة بالأسطول البحري الفاطمي المتواجد في دمياط وعسقلان وصور لدعم طرابلس ونصرة المسلمين، وعند وصول القوات الفاطمية إلى المدينة، انتهزوا انقطاع المعارك ليقوموا بإخراج من تبقى من أسرة بني عمار، ونقلهم إلى مصر برفقة أموالهم ومجوهراتهم، وهناك تم استقبالهم بشكل يليق بمكانتهم مع الترحيب والإكرام⁽⁵⁾، وقال محمد علي مكي: أن السبب الرئيس في تدمير أهل طرابلس من ابن عمار هو طلبه المساندة من الخليفة السني، لكون الأغلبية شيعية. واستند في وجهة نظره إلى رفع سكان طرابلس شعارات الفاطميين⁽⁶⁾.

ومما تقدم يتبين أن حكام دولة بني عمار الذين حكموا طرابلس، انتهجوا سياسة متنوعة لإدارة الأزمات والتعامل مع المواقف السياسية المختلفة، فقد اعتمدوا الأسلوب العسكري لردع الأعداء، إلى جانب استخدام الإغراء المادي والمجاملات لتحقيق المكاسب الإقليمية، مثل شراء المدن والحصون، وضمان إبعاد المخاطر عن إمارتهم، وتلك الاستراتيجيات ساهمت في إبرازهم كشخصيات مؤثرة ومتميزة على الصعيدين السياسي والعسكري.

(1) الأفضل ابن أمير الجيوش هو أحمد بن بدر الجمالي، أبو القاسم شاهنشاه الملقب بالأفضل، من وزراء الدولة الفاطمية، توفي في سنة (515هـ). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/ ص403- ص404.

(2) النويري، نهاية الارب، ج31/ ص53.

(3) لم اجد له ترجمة في المصادر المتوافرة بين أيدينا.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5/ ص46؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج35/ ص7.

(5) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج3/ ص42؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج20/ ص24.

(6) لبنان من الفتح العربي، ص117.

المبحث الثالث

النظام السياسي والإداري للدولة العمارية في طرابلس (462-502هـ)

أولاً- النظام السياسي:

استطاع حكام الدولة العمارية في طرابلس (462-502هـ) في غضون فترة وجيزة أن يؤسسوا لدولة ذات سيادة، تعتمد على نفسها، لديها اكتفاء ذاتي زراعياً واقتصادياً وتجارياً، وتستقوي بشعبها الذي يحبها وجيشها الذي يدافع عنها، فقطعت في سنوات قليلة ما يحتاجه غيرها إلى عقود من الزمن.

ففي عهد أمين الدولة أبي طالب (462-464هـ) كانت الدولة في دور التأسيس، وحرص -كما مر بنا- على تثبت حكمة المستقل وحيادهم السياسي حتى يجنب نفسه عدااء الدولة الفاطمية، وعدم إثارة أهل طرابلس الذين كانوا يظهرون ميلهم للفاطميين⁽¹⁾، وهو ما سار عليه خلفاءه من حكام بني عمار، إذ وضعوا نصب أعينهم في برامجهم السياسية التفرد بطرابلس وابعادها عن المشاكل والصراعات القائمة آنذاك، إلا أن ذلك لم يبعدهم بصورة كاملة عن المؤامرات الداخلية والخارجية⁽²⁾.

كما عملوا وضمن سياستهم الداخلية على تحريك عجلة الاقتصاد في طرابلس لتصريف إنتاجهم، وتأمين أموالهم، فسارعوا إلى بناء الأساطيل البحرية، وسيروها إلى أوروبا لتتنقل إليها البضائع التي تحتاجها من ورق وسكر وحرير، فراجت بضائعهم في أسواقها وأصبحت لا يستغنى عنها. وهو ما أشار إليه الأمين بقوله: "نمت إمارتهم نمواً عظيماً حتى أصبحت طرابلس في القرن الحادي عشر أعظم مدينة على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وكانت أساطيلها تنتقل في أنحاء هذا البحر، فهي المنفذ البحري الرئيسي لبلاد الشام، عن طريقه يتم التصدير والاستيراد، وتنقل منتجات الشام والمشرق إلى أوروبا، وإليه تفد من الخارج لتحمل إلى سائر بلاد الشام... يسيرون أسطولهم التجاري إلى ثغور البحر المتوسط، وكان فخر الملك عمار بن عمار يلقب بملك الساحل"⁽³⁾.

(1) سالم، طرابلس الشام، ص 70.

(2) حمادة، تاريخ الشيعة، ص 294.

(3) الوطن الإسلامي بين السلاجقة والصليبيين، ص 300.

وعملوا كذلك ضمن سياستهم الداخلية على الاهتمام بالحركة العلمية، وجعل طرابلس مدينة مشرعة أبوابها لاستقبال التجار والرحالة وطلبة العلم ورجالاته، فاكثرت بالعلماء والأدباء والشعراء والمحدثين والفقهاء والأساتذة في كل فن وعلم، حتى صارت "مدينة طرابلس مملوءة بالعلماء"⁽¹⁾

وحرصوا على التعامل بالمساواة مع جميع المواطنين من المذاهب والأديان المختلفة، فكانوا يعيشون بجو من التسامح الديني والاجتماعي، مما سهل على مواطنيهم التنقل بحرية بين مدن العالم الاسلامي وأقطاره⁽²⁾.

وسعوا الى توفير الحياة الكريمة للمواطنين عن طريق الاهتمام بشؤون الرعاية في النواحي الاقتصادية، حتى بلغت طرابلس الذروة في الازدهار الاقتصادي والعمراني والعلمي، وقد انعكست هذه النهضة بشكل إيجابي على حكام المدينة وسكانها، اذ عاشوا في رخاء وازدهار، وتمتعوا بثروات وفيرة⁽³⁾، وقد أشار ابن الأثير الى عظم ثروة طرابلس وأهلها بقوله: "كانت طرابلس من أعظم بلاد الاسلام، وأكثرهم تجملاً وثروة"⁽⁴⁾، ووافقه ابن تغري بردي بقوله: "كانوا من أكثر اهل البلاد اموالاً وتجارة"⁽⁵⁾، وان طرابلس فيها من الأموال، والذخائر ما لا يحصى⁽⁶⁾.

وعلى صعيد سياستهم الخارجية، فلم يكن بمقدور حكام الدولة العمارية الشيعية خوض حرب شاملة ضد الصليبيين والعباسيين والسلاجقة، نظراً لحدود دولتهم الصغيرة من حيث المساحة وقلة تعداد سكانها، فركّزوا جهودهم بشكل رئيس على الحفاظ على أمن دولتهم وسلامة مواطنيهم بدلاً من التورط في مواجهات واسعة النطاق.

فتعاملوا بقدر من الحيادية مع السلاجقة⁽⁷⁾، وأظهروا في أحيان كبيرة جدية في التعاون معهم لمواجهة الخطر الصليبي⁽⁸⁾، الذي كان يمثل تهديداً مشتركاً للطرفين، اذ ارتكزت

-
- (1) السلامي، مختصر التواريخ، ص 277 .
 (2) سالم، طرابلس الشام، ص 14. وسيأتي الحديث عن ذلك مفصلاً في المبحث الاول من الفصل الخامس
 (3) سيأتي الحديث عن ذلك مفصلاً في المبحث الثاني من الفصل الخامس
 (4) الكامل في التاريخ، ج 8/ ص 527.
 (5) النجوم الزاهرة، ج 5/ ص 176.
 (6) المصدر نفسه، ج 5/ ص 180.
 (7) حمادة، تاريخ الشيعة في لبنان، ص 292 .
 (8) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 112 .

سياستهم تجاه السلاجقة على المصالح المشتركة التي كانت بالنسبة لهم ضرورية لتحقيق أهدافهم⁽¹⁾.

أن علاقتهم مع السلاجقة كانت قد اتخذت ثلاثة مسارات رئيسة، المسار الأول كان قبل أن يشكل الوجود الصليبي تهديدًا ملفتًا للانتباه، فخلال هذه المرحلة، واجهوا تحالفًا ضم تُنُش، وأق سنقر، وبوزان، في عام (485هـ)، ووجدوا مخرجًا من هذا المأزق عبر الحصول على تولية رسمية من السلطان ملك شاه، مما أدى إلى فض ذلك التحالف⁽²⁾، أما المسار الثاني فقد تجلّى في سنة (494هـ)، نتيجة النزاعات مع ابن صليحة التي أسفرت عن تسليم مدينة جبلة لدقاق، الذي قام بتكليف تاج الملوك بوري بإدارتها، إلا أن فخر الملك تحرك بالقوة لاستعادة السيطرة على المدينة⁽³⁾، وعلى الرغم من ذلك، حرص على عدم القطيعة الكاملة مع دمشق، مما عكس إدراكه لأهمية الحفاظ على الروابط السياسية القائمة حينها، وتصرف بذكاء لإعادة بوري إلى دمشق⁽⁴⁾، أما المسار الثالث فتجسد بالتهديد الصليبي الخطير، اذ تبنى حكام بنو عمار سياسة شاملة اعتمدت على امكانيات المنطقة وقوامها العسكري المتمثل بالسلاجقة، الذين شكّلوا القوة الأبرز القادرة على دعم أمراء طرابلس، وبناءً على هذه الرؤية، بُذلت جهود لبناء تحالفات وثيقة مع الأمراء والقادة المحليين، فبدأ فخر الملك منذ سنة (495هـ) بالتواصل مع القوى المجاورة للحصول على الدعم، مواجهة الخطر الصليبي⁽⁵⁾.

وبخصوص علاقتهم مع الخلافة العباسية، فقد حاولوا الحفاظ على السلمية معها، ولم يظهروا الخضوع لهم أو للدولة الفاطمية، أو حتى يطلبوا منهم المساعدات ولو بأشد الظروف، بهدف تحقيق الاستقلالية والزعامة السياسية، لكن مع اشتداد الحصار الصليبي على طرابلس، ونقص الإمدادات الغذائية، وزيادة مخاوف الناس على حياتهم وأموالهم، وتوقف وصول المساعدات من الإمارات الإسلامية في بلاد الشام والجزيرة نتيجة انشغال المسلمين في تلك المناطق بمواجهات مع الصليبيين، اضطر فخر الملك التوجه نحو بغداد طلبًا للعون، وجّه ندائه إلى الخليفة العباسي المستظهر بالله (487-512 هـ) والسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه (511 هـ) أملًا في الحصول على الدعم والمساندة⁽⁶⁾.

(1) ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص559- ص560 .

(2) ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص353 .

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص139؛ ابو الفداء، المختصر، ج2/ ص213 .

(4) ابو الفداء، المختصر، ج2/ ص214 .

(5) ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص512- ص513؛ أبو الفداء، المختصر، ج2/ ص223 .

(6) ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص558.

وعند وصوله الى بغداد لقي اكراماً واحتراماً كبيرين من السلطان السلجوقي، الذي أمر أمرائه كافة بوجوب المسير معه لاستقباله وأرسل اليه شبارته (1).

وفيهما دسته الذي يجلس عليه ليركب فيها، فلما نزل فيها قعد بين يدي موضع السلطان، فقال له: "من بها قد أمرنا ان يكون جلوسك في دست السلطان" (2)، فرحب بمقدمه وأجلسه بقربه، كما رحب به الخليفة العباسي المستظهر بالله بحفاوة بالغة، وعلق ابن الأثير على الترحيب والاكرام الذي لقيه فخر الملك بقوله: "هذا جميعه ثمرة الجهاد في الدنيا، ولاجر الآخرة أكبر" (3).

وانتهت المحادثات بموافقة السلطان السلجوقي على توجيه جماعة من أكابر الأمراء بالمسير مع فخر الملك لمعونته وانجاده، على ان يتوجهوا أولاً الى الموصل لانتزاعها من يد "جاولي سكاو" (4) ثم يسيرون معه الى طرابلس فيما بعد (5)، كما وعده الخليفة المستظهر خيراً، لكنه لم يفي بهذه الوعود بسبب ضعفه وقوة سيطرة السلاجقة، فسارت الجموع الى الموصل بقيادة الأمير السلجوقي مودود (6)، ولبث هو في بغداد ينتظر عودتهم من الموصل، لكن طال الانتظار من دون جدوى، فذهبت آماله ادراج الرياح، وعاد الى دمشق في طريقه الى طرابلس في منتصف شهر محرم من عام (502هـ) (7).

وعن علاقتهم مع الدولة البيزنطية، فقد أظهروا قدراً من الحكمة والتفهم والدبلوماسية، فمع ظهور صنجيل (8) أمام عرقة، دخل حاكم طرابلس فخر الملك، مفاوضات معه، وقدم له الأحصنة والبغال والمؤن مقابل دفع الخطر الصليبي عن طرابلس (9)، فنجحت خطته إلى حد

(1) الشبارة المركبة التي تحمل على الاكتاف ويجلس فيها السلطان وخواصه. ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص559. هامش رقم 2

(1) ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص559؛ ابن كثير، البداية، ج12/ ص169.

(2) الكامل، ج8/ ص559.

(3) جاولي سكاو قائد تركي سلجوقي كان قد استولى على ما بين خوزستان وفارس، فعمر قلاعها وحصنها وأساء السيرة في أهلها، وجاء إلى الموصل فملكها في منتصف ختام المائة الخامسة وخلع على ابن جكرمش وخطب لنفسه بعد الخليفة وقطع خطبة السلطان محمد. ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5/ ص44- ص45.

(4) اليونيني، ذيل، ج3/ ص94؛ ابن شداد، الاعلاق، ج2/ ص110.

(5) ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص559؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5/ ص183.

(7) سبط ابن الجوزي، مرآة، ج12/ ص204؛ اليونيني، ذيل، ج3/ ص94.

(8) صنجيلي هو ريموند كونت تولوز أحد قادة الحملة الصليبية الأولى سنة (490هـ)، ويعرف باسم صنجيل في المصادر العربية. ينظر ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص559؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5/ ص213؛ عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص31.

(9) دويهي، تاريخ الازمنة، ص9.

ما، لكن بعد مدة وجيزة أسقط الصليبيون طرطوس، وتوحدوا بفرض حصاراً على طرابلس، استمر مدة، لكن في سنة (495هـ)، بادر صنجيل الى رفع الحصار مقابل مبلغ من المال والخيل⁽¹⁾، وبدأ ببناء قلعة على جبل الحجاج بالقرب من مضيق قاديشا، وهو الأمر الذي دفع ابن عمار إلى مهاجمة القلعة من جهة أخرى، ويبدو أنها كانت هجمات ناجحة⁽²⁾، بدليل سعي صنجيل الى جمع قواه لتعويض خسائره بالسيطرة على جبيل في السنة نفسها⁽³⁾، وفي سنة (498هـ)، تم التوصل إلى اتفاق بين صنجيل وابن عمار قضى بتسليم مناطق حول طرابلس للصليبيين، شريطة السماح بحرية التنقل عبر المدينة⁽⁴⁾، في سنة (499هـ)، عاد ريمون لمحاصرة المدينة مرة أخرى، مما دفع ابن عمار للخروج من عاصمته وتدمير القلعة بإحراقها ومحاولة هدمها تماماً، ولاقى صنجيل حتفه على إثر هذا الهجوم⁽⁵⁾.

مما تقدم يتبين ان حكام الدولة العمارية سعوا الى إبعاد الصليبيين عبر استغلال ثروات طرابلس، ويبدو ان هذه الثروة كانت أحد الأسباب الأساسية التي دفعت الصليبيين والفاطميين للتناوب على احتلال طرابلس، وخلال تلك الفترة صارت المدينة أكثر تحصيناً، وعلى الرغم من المفاوضات التي حاول ابن عمار القيام بها، إضافة إلى خضوعه الظاهري ومحاولاته لمهاجمة المحاصرين، لم يتمكن من إنقاذ طرابلس، وفي نهاية المطاف، اضطر لمغادرة مدينته آملاً أن يعود إليها بدعم سلجوقي قادر على وضع حدٍ لمشاكلها.

ثانياً- النظام الإداري:

ورثت الدولة العمارية في طرابلس من الدولة الفاطمية نظاماً إدارياً كفوءاً، وأجرت عليه بعض المتغيرات والتطورات التي تلبي تحقيق خططها السياسية والاقتصادية وغيرها الساعية الى تقديم أفضل ما يمكن لمواطنيها، مستفيدين من الارث الاسلامي وتجارب الدول الأخرى في هذا المجال.

وفي طليعة نظمهم الادارية، نظام القضاء، الذي عرفوا به وتميزوا بكونهم قضاة منذ ان كانوا في مصر، وأولوه عناية خاصة، فالحسن بن عمار (ت390هـ) تولى منصب القضاء

- (1) ابن الاثير، الكامل، ج8/ص458؛ أبو الفداء، المختصر، ج2/ص220-ص221.
- (2) أبو الفداء، المختصر، ج2/ص217؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص146.
- (3) ابو الفداء، المختصر، ج2/ص217.
- (4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص147.
- (5) ابن الاثير، الكامل، ج8/ص458؛ أبو الفداء، المختصر، ج2/ص220-ص221.

في الخلافة الفاطمية وفي طرابلس أيضاً⁽¹⁾، وكذلك أبو الكتائب أحمد بن محمد بن عمار (ت قبل 462هـ) الذي تولى القضاء قبل استقلال الإمارة⁽²⁾.

وذكر ابن تغري بردي في حوادث سنة (٤٧٥هـ) ان ابن قتلش بعد ان فتح حصن أنطربوس من الروم "بعث الى ابن عمار قاضي طرابلس وصاحبها يطلب منه قاضياً وخطيباً"⁽³⁾، مما دل على تأصل هذه المهنة لديهم ودرائتهم بقوانين القضاء ومتطلباته.

ومن الآخرين الذين اعتلوا هذا المنصب في ظل دولة بني عمار أبو الفضل أسعد بن أبي روح (ت 480هـ)، وكان متعبداً ورعاً وله العديد من المؤلفات في المذهب الشيعي⁽⁴⁾.

ومن النظم الادارية الأخرى في الدولة العمارية، النظر بالمظالم، التي عرفها الماوردي: "انها قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين في التجاحد بالهيبه"⁽⁵⁾، اذ كان حكام الدولة العمارية يمارسون بأنفسهم هذه المهمة؛ لكونها الى "ذو الأقدار الجليلة والأخطار الحفيلة"⁽⁶⁾.

والحسبة، التي عرفها ابن خلدون بأنها "وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين"⁽⁷⁾، اذ حرص حكام الدولة العمارية على تفعيل عمل هذه المؤسسة ودعمها؛ لأنها تحافظ على حقوق المواطن المختلفة وتكافح مظاهر الفساد بأنواعه⁽⁸⁾.

والسكة، التي تتولى مسؤولية متابعة النقود المستخدمة بين الناس، من حيث جودتها وحمايتها من أي غش أو نقص⁽⁹⁾، اذ لم تمنع الدولة العمارية بعد استقلالها عن الفاطميين من استخدام أموالهم، فأمين الدولة بن عمار سمح بإصدار النقود التي كانت تضرب في مدينة طرابلس، وتحمل اسم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وقد عُثر على دينار ذهبي ضُرب في عهده بطرابلس في سنة (461هـ) وآخر سنة (463هـ)⁽¹⁰⁾، وكذا الحال في عهد جلال الملك

- (1) درة، إمارة بني عمار في طرابلس، ص 89.
- (2) سليمان، تاريخ الشيعة السياسي، ج 1/ ص 389.
- (3) النجوم الزاهرة، ج 5/ ص 115.
- (4) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج 1/ ص 210؛ الصفدي، الوافي، ج 9/ ص 26.
- (5) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 77.
- (6) القلقشندي، صبح الأعشى، ج 3/ ص 273.
- (7) المقدمة، ج 2/ ص 611.
- (8) المصدر نفسه، ج 2/ ص 611.
- (9) المصدر نفسه، ج 2/ ص 612.
- (10) تدمري، تاريخ طرابلس، ج 1/ ص 367. ينظر ملحق رقم (6)

بن عمار، حيث لم يمانع هو الآخر من تداول النقود الفاطمية التي كانت تضرب في مدينة طرابلس، ومنها دينار ضُرب في سنة (470هـ) وآخر سنة (475هـ)، وهي آخر سنة ضُربت فيها النقود باسم الخلفاء الفاطميين في طرابلس⁽¹⁾.

والشرطة، التي هي مؤسسة قضائية إدارية شبه عسكرية، يقتصر عملها على مجازاة الجناة والقصاص منهم⁽²⁾، إذ اهتموا بها حكام بنو عمار لأنها تسهم في خلق بيئة آمنة للمواطن في طرابلس⁽³⁾.

ومما تقدم ومع قلة المعلومات الواردة عن نظام دولة بنو عمار في طرابلس، إلا أننا يمكن القول أنه امتداد للنظام الإداري للدولة الفاطمية، وأن حكام الدولة العمارية كانوا قد حرصوا على تطوير المؤسسات الإدارية بهدف القيام بمهامها على أتم وجه، وبصورة تنسجم مع تطلعاتهم في الارتقاء بواقع المواطن وتقديم له أفضل ما يمكن من الخدمات.

(1) حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 291؛ تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج / ص 367. ينظر ملحق رقم (7)
(2) قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص 65.
(3) كرد، خطط الشام، ص 165.

المبحث الاول

الأحوال العلمية للدولة العمارية في طرابلس (462-502هـ)

أولاً- المؤسسات التعليمية:

شكّلت المؤسسات التعليمية في الدولة العمارية بطرابلس، من مساجد ودور علم وأسواق وغيرها، الركيزة الأساسية للحركة العلمية فيها، اذ اهتم بنو عمار فيها كثيراً، مما ترك أثراً طيباً في حركة التعليم، وكما يأتي:

1- المساجد:

المسجد لغة يعني اسم لمكان السجود، فهو "جبهة الرجل حيث يضعه للسجود"⁽¹⁾، واصطلاحاً هو كل موضع في الأرض يتعبد به⁽²⁾، لحديث النبي (ﷺ): "جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً"⁽³⁾، واذا اجتمع فيه المصلين في أيام الجمع والأعياد والمناسبات الرسمية يقال له المسجد الجامع⁽⁴⁾، ان ما يميز المسجد عن الجامع بوصفه "ما يقام فيه من صلاة الجمعة والعيدون غيره، لذلك يطلق عليه أحيانا المسجد الكبير او المسجد الجامع الكبير"⁽⁵⁾، وهو أول المنشآت التي خُطّطت عند تمصير المدن الاسلامية، وأهم المؤسسات الدينية التعليمية عند المسلمين⁽⁶⁾، لكونه مكاناً لعبادة المسلمين ومراكز لاجتماعاتهم ومشاوراتهم، وتعليم أبنائهم تعاليم الاسلام وشرائعه⁽⁷⁾.

وشهدت مساجد مدينة طرابلس، أسوة بمساجد مدن الاسلام الأخرى، نشاطاً دينياً وعلمياً متميزاً، فقصدها أهل العلم من الأمصار المختلفة، ومنهم جمع من شيوخ مدينة عسقلان الذين وفدوا في سنة 478 إلى مسجد طرابلس الكبير ليحضرُوا حلقة العالم

-
- (1) الزركشي، أعلام الساجد، ص26.
 - (2) ابو حبيب، القاموس الفقهي، ص167.
 - (3) الطوسي، المبسوط في فقه الامامية، ج1/ ص4.
 - (4) ابن منظور، لسان العرب، ج3/ ص204؛ قلعي، معجم لغة الفقهاء، ص428.
 - (5) الحداد، مقدمة في الآثار، ص18.
 - (6) ينظر: شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، ص84- ص88.
 - (7) ينظر: اليوزبكي، دراسات في النظم الاسلامية، ص40؛ محسن والصفار، دور المسجد، ص162- ص163.

عبدالعزیز بن البراج (ت481هـ)⁽¹⁾ وینتفعوا من علمه بتفسیر القرآن الکریم والحديث النبوي والفقه وغيرها من العلوم ذات الصلة كاللغة والنحو⁽²⁾.

وكان علم الحديث من أكثر العلوم التي دُرست في مساجد طرابلس، ويتضح ذلك من مراجعة تراجم أعلام طرابلس في تلك الفترة، اذ برزت طبقة المحدثين في مقدمة الفئات الأخرى، بوصفه المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، كما درس فيها النقد والتوثيق، والفقه والتفسير وعلم الكلام وغيرها، فكان الأستاذ يجلس مستنداً إلى أحد أركان المسجد أو أحد أعمدته، ويحيط به طلاب العلم، وكانت الحلقة تضيق أو تتسع وفقاً لشهرة الأستاذ ومكانته العلمية، وبعض الطلبة كانوا يحضرون وبحوزتهم الأقلام والورق لتدوين ما يمليه الأستاذ عليهم⁽³⁾.

ومما تقدم يظهر بوضوح أنَّ مساجد مدينة طرابلس كانت أحد أهم المؤسسات التعليمية، ولاسيما في مجال علوم الحديث النبوي الشريف، فكان طلبة العلم يقصدونها للانتفاع مما يطرح في الحلقات العلمية التي تُعقد فيها.

2- دار العلم:

كان أمين الدولة مؤسس الامارة العمارية محباً للعلم مبعجلاً لأهله⁽⁴⁾، "ففيها على مذهب الشيعة"⁽⁵⁾. وكاتباً مجيداً ألف العديد من الكتب النفيسة⁽⁶⁾، منها: كتاب (ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح) المنعوت بـ(جرب الدولة)؛ لأنه بحث في اقتصاد الدول الإسلامية وكيفية رفع إيراداتها⁽⁷⁾.

لذلك أمر بتشيد مدرسة جامعة في مدينة طرابلس سنة (462هـ) سُميت (دار العلم)، وكذلك (دار الحكمة)⁽⁸⁾، وعزز توجهه هذا رغبته بتحقيق أهداف سياسية ودينية وثقافية وحضارية، في طليعتها تعزيز مركز دولته السياسي ونشر المذهب الشيعي⁽⁹⁾، ونشر العلوم

(1) سيرد الحديث عنه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(2) السمعاني، الأنساب، ج1/ ص456.

(3) تدمري، الحياة الثقافية، ص34.

(4) ابن شداد، الاغلاق الخطيرة، ج2/ ص107.

(5) المصدر نفسه، ج2/ ص150.

(6) المصدر نفسه، ج2/ ص150-152؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5/ ص61؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج8/ ص317.

(7) تدمري، دار العلم من تاريخ طرابلس، ص26.

(8) الاغلاق الخطيرة، ج2/ ص150؛ سالم، طرابلس الشام، ص10.

(9) ينظر: تدمري، الحياة الثقافية، ص44-45.

والآداب والثقافة، وكان طلبة العلم يفدون إليها للإفادة من الحلقات العلمية التي تُعقد فيه لكبار العلماء⁽¹⁾، فأصبحت طرابلس ميدان علم ودرس، وكعبة يحج إليها طلبة العلم للأخذ عن علمائها العلوم والفنون المتنوعة من فقه وحديث ولغة وأدب وفلسفة وهندسة وفلك وطب وغيرها⁽²⁾.

وعُدت مكتبتها "أروع مكتبة في العالم"⁽³⁾، وكانت تضم مجموعة كبيرة من المصنفات والمخطوطات الأدبية والدينية والفلسفية⁽⁴⁾، يفدها طلبة العلم بصورة مستمرة لمراجعتها والافادة منها⁽⁵⁾، حتى صارت رافداً مهماً لنشر المعارف في طرابلس الى جانب خزائن الكتب المنتشرة فيها⁽⁶⁾، ويظهر ان سبب تزايد عدد المكتبات في طرابلس هو تطور مصانع الورق فيها، اذ أسهمت هذه الصناعة بتوفير مادة الورق، مما سهل من عملية نسخ الكتب وطباعتها بكميات كبيرة ومتنوعة من الورق⁽⁷⁾، وقد جمع أمين الدولة فيها في أول التأسيس أكثر من مائة ألف مجلد⁽⁸⁾، وأرسل مبعوثيه ومعهم أموالاً طائلة إلى البلدان المختلفة لشراء الكتب ولاسيما النادرة منها⁽⁹⁾.

وأكمل جلال الملك ابن عمار (464-492هـ) مسيرة أمين الدولة في هذه الدار، فجدد عمارتها في سنة (472هـ)، وهو ما صرح به ابن العديم (ت660هـ) بقوله: "جدد دار العلم بها القاضي جلال الملك أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمار في سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة"⁽¹⁰⁾، وعين ناظراً لمتابعة شؤونها⁽¹¹⁾، وخصص لطلبة العلم الذين يفدون إليها جرايات من ذهب، كان المتولي عليها يوزعها⁽¹²⁾، وأضاف إلى مكتبته الكثير من

(1) المرجع نفسه، ص34.

(2) كرد علي، خطط الشام، ج4/ ص38.

(3) رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2/ ص113.

(4) بدوي، الحياة العقلية، ص29.

(5) ينظر: الأمين، دولة بني عمار، ص165- ص166.

(6) علي، بحث انتقادي في مختصر في تاريخ سوريا، مجلد2/ ص277.

(7) خسرو، سفرنامه، ص58.

(8) ابن شداد، الاطلاق الخطيرة، ج2/ ص150؛ سالم، طرابلس الشام، ص68.

(9) تدمري، دار العلم، ص26؛ الحياة الثقافية، ص43.

(10) الإنصاف والتحري، ص81.

(11) ابن الأثير، الكامل، ج10/ ص410؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا، ص266.

(12) ابن الخياط، ديوان ابن الخياط، ص121.

الكُتب، مستثمرًا حالة الاستقرار السياسي التي شهدتها عصره، حيث حققت طرابلس استقلالها الكامل، وتوسعت رقعة نفوذ دولة بني عمار، وانتعشت أحوالهم الاقتصادية⁽¹⁾.

فقصدها الناس على اختلاف أجناسهم ودياناتهم ومذاهبهم، ووفد اليها التجار والرحالة والشعراء والفقهاء من شتى أنحاء المعمورة⁽²⁾، وذهب بعض الباحثين الى أن من جملة العلماء المشهورين الذين قصدوها واستقروا بها مدة، أبو العلاء المعري⁽³⁾، وهو ما أنكره البعض مستنديين الى تاريخ وفاة أبو العلاء في سنة (449هـ)، ومغادرته لطرابلس بعد تلقيه خبر وفاة والده في سنة (395هـ)⁽⁴⁾، وهو ما أشار اليها ابن العديم بقوله: "ذكر بعض المصنفين ان ابا العلاء المعري رحل الى دار العلم بطرابلس للنظر في كتبها، واشتبه عليه ذلك بدار العلم ببغداد، ولم يكن بطرابلس دار علم في أيام ابي العلاء، وانما جدد دار العلم بها القاضي جلال الملك بن عمار في اثنتين وسبعين واربعمئة، وكان ابو العلاء قد مات قبل جلال الملك سنة تسع واربعين واربعمئة"⁽⁵⁾، ونحن نميل الى ان أبا علاء قد زار هذه المكتبة، لأن ابن العديم قال: ان جلال الملك جدها بمعنى طورها، وهذا يعني انها كانت موجودة قبله، اذ ان الذي أسسها هو أمين الدولة، في وقت كان فيه ابو العلاء موجوداً في طرابلس.

وحرص حكام بني عمار على شراء الكُتب القيمة والنادرة وضمها الى مكتبة دار العلم، مما زاد من شغف أهل طرابلس بالعناية بالكُتب والعلوم والثقافة، وجعلهم يتسابقون في رفد هذه المكتبة بصورة تطوعية، حتى صارت بها "خزائن كتب قد وقفها ذوو اليسار من أهلها"⁽⁶⁾، وقد اختلفت تقديرات المؤرخين والباحثين بشأن عدد المصنفات التي احتوتها، فبعضهم لم يحدد عددها لكثرتها وتنوعها، وتمثل ذلك بقولهم: "ما لا يحدد عدده ولا يحصى فيذكر"⁽⁷⁾، وذكر بعضهم أنها بلغت أكثر من مائة ألف كتاب موقوف⁽⁸⁾، وقدرها اخرون

- (1) تدمري، الحياة الثقافية، ص45 .
- (2) القفطي، انباه الرواة، ج1/ ص50؛ تدمري، الحياة الثقافية، ص22.
- (3) رستم، اراء وابحاث، ص39؛ سالم، طرابلس الشام، ص387 .
- (4) تدمري، الحياة الثقافية، ص46 .
- (5) الانصاف والتحري، ص50.
- (6) القفطي، أنباه الرواة، ج1/ ص48.
- (7) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص163؛ ابن الاثير، الكامل، ج10/ ص476 .
- (8) ابن شداد، الاطلاق الخطيرة، ص107؛ ابن فرات، تاريخ ابن فرات، ج8/ ص77؛ النويري، نهاية الارب، ج29/ ص14.

بثلاثمائة ألف مجلد⁽¹⁾، وقال بعضهم أنها نحو مليون كتاب⁽²⁾، وذهب آخرون إلى أنها بحدود ثلاثة ملايين كتاب⁽³⁾.

وفي مراجعة سريعة لإحصائيات المكتبات الإسلامية في القرنين الرابع والخامس الهجريين نلاحظ أن عدد كُتب مكتبة دار العلم العمارية يفوق جميع المكتبات، فقد كان عدد كُتب مكتبة سابور⁽⁴⁾ ببغداد (10400)⁽⁵⁾، ومكتبة الحكم بقرطبة (600000)، وخزائن القصور في القاهرة (1600000)، ومكتبة دار الحكمة في القاهرة (100000)⁽⁶⁾، ومكتبة مراغه (400000)⁽⁷⁾.

وحرص حُكام بني عمار على تعيين عاملين ومشرفين ومجلدين ووراقين فيها وبرواتب مجزية، وأكثروا من تعيين المترجمين والخطاطين والنساخين، ومنهم: أحمد بن حمزة بن الحسين بن الشام الحلبي (ت ق 5هـ)، الذي قال عنه ابن العديم: "أصله من طرابلس، وسكن حلب فنُسب إليها. وكان أديباً فاضلاً متقناً، له خط حسن على غاية ما يكون من الضبط والإتقان، وهو من بيت مشهور بالفضل والأدب... رأيت بخطه نسخة من شعر المتنبي نسخها بمصر في سنة ثمان وخمسمائة، وله عليه نُكت حسنة من كلامه تدل على علمه وفضله"⁽⁸⁾، ويانس الناسخ، و"كان أحد النساخين والخطاطين الذين يعملون في نسخ المصنفات بدار العلم، وإن مهنته قد غلبت على كنيته فأصبح يُلقب بها"⁽⁹⁾.

وقد نسخ وترجم هؤلاء الآلاف من كتب اليونان والرومان والفرس، مما جعل المكتبة تعج بالكتب العربية وغير العربية وباختلاف المعارف والعلوم⁽¹⁰⁾، وصارت طرابلس من أبرز الحواضر الإسلامية في مجال الترجمة والنسخ والخط والكتابة والتأليف⁽¹¹⁾.

- (1) الخانجي، منجم العمران، ج2/ ص293؛ أبو فاضل، دليل لبنان، ص317.
- (2) الأمين، اعيان الشيعة، ج1/ ص258؛ بربر، اغناطيوس الحوري، ص17.
- (3) النويري، نهاية الأرب، ج29 / ص17؛ زيدان، تاريخ التمدن، ج3/ ص234؛ بربر، اغناطيوس الحوري، ص17؛ كرد علي، خطط الشام، ج6/ ص197.
- (4) هو وزير بهاء الدولة البويهية، واسمه سابور بن اردشير، أنشأها في الكرخ سنة (382هـ) وسُميت باسمه، ووقفها على العلماء ونقل إليها كتباً كثيرة. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4/ ص164.
- (5) متز، الحضارة الإسلامية، ج1/ ص249.
- (6) تدمري، الحياة الثقافية، ص58.
- (7) الطويل، العرب والعلم، ص81.
- (8) بغية الطلب، ج2/ ص146.
- (9) تدمري، الحياة الثقافية، ص49.
- (10) ابن خلدون، العبر، ج5/ ص865؛ تدمري، دار العلم، ص19- ص25.
- (11) رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية، ج1/ ص183؛ تدمري، الحياة الثقافية، ص22.

ومن أوجه النشاط التعليمي في هذه الدار، عقد المشرف عليها أبو عبد الله الطليطلي (ت 512هـ) حلقات علمية بصورة مستمرة ركز فيها على نشر علوم اللغة العربية حضرها مشاهير الأدباء والشعراء، وتخرج على يديه عن طريقها الشاعر والمؤرخ أسامة بن منقذ (ت 584هـ)، صاحب كتاب (الاعتبار)، اذ درس النحو تحت إشرافه لمدة قاربت العشر سنوات، والأديب ابن الخياط (ت 517هـ)⁽¹⁾، وغيرهما الكثير⁽²⁾.

ويظهر ان حلقات العلم التي كانت تعقد في هذه الدار لم تخل من منافسة العلماء وتباريهم في العلوم المختلفة واختلافهم حولها، وهو ما نستشفه من رواية الذهبي (ت 748هـ) التي تضمنت قول أبو عبد الله الطليطلي: "كان ابن الخياط أول ما دخل طرابلس وهو شاب يغشاني في حلقتي ويُشدني ما استكثره له فاتهمه، لأنني كنت إذا سألته عن شيء من الأدب لا يقوم به، فوبخته يوماً على قطعة عملها، وقلت: أنت لا تقوم بنحو ولا لغة، فمن أين لك هذا الشعر"⁽³⁾.

ولاشك أن انفتاح الدولة العمارية واستحداثها لدار العلم وتهيئة الأرض الخصبة للتعليم والتعلم وقربها من مدينة دمشق قد أسهم في ازدهار الثقافة في طرابلس، فقد كان ينتقل إليها من دمشق وغيرها من المدن آلاف العلماء وطلبة العلم، لغرض الانتفاع من علمائها ومؤسساتها الفكرية ومكتباتها والمشاركة في حياتها العلمية⁽⁴⁾، وحتى التجار كان لهم دور في هذا الازدهار، فحينما كانوا يجوبون المعمورة يجمعون الكتب النادرة، بغض النظر عن قيمتها المادية، سعياً منهم لاقتنائها أو لبيعها إلى طلبة العلم وأصحاب المكتبات⁽⁵⁾، وعزز ذلك الظروف السياسية والعسكرية، ومن ذلك حينما حاصر ابن الخوارزمي (ت 471هـ) مدينة دمشق في سنة (468هـ)⁽⁶⁾ واعتقل عدد من أصحاب القرار فيها، عان أهل دمشق كثيراً

(1) كنيته أبو عبد الله، واسمه أحمد بن محمد بن علي بن يحيى الدمشقي، كان من كبار الأدباء، وديوانه شائع، اشتهر بالشعر ومدح الملوك والأمراء ومنهم بنو عمار، وكان في عصره من أشعر الشاميين ويسمى بشاعر الشام. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1/ ص 145؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 19/ ص 476-477؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 1/ ص 1043؛ الزركلي، الأعلام، ج 1/ ص 111.

(2) تدمري، الحياة الثقافية، ص 51.

(3) سير أعلام النبلاء، ج 12/ ص 110.

(4) تدمري، الحياة الثقافية، ص 69.

(5) المرجع نفسه، ص 59.

(6) ابن الاثير، الكامل، ج 8/ ص 256؛ الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص 65.

بسبب ارتفاع تكاليف المعيشة، فتزايدت هجرة الدمشقيين الى طرابلس ولاسيما العلماء منهم الذين وجدوا في دار العلم خير مسكن لهم، حيث العلم والأمان⁽¹⁾.

وكانت المكتبة مقسمة على غرف أو أجنحة متعددة، كل غرفة منها تختص بنوع معين من الكتب، فكانت احدى غرفها مختصة بنسخ المصاحف الشريفة، وأخرى للكتب النادرة، وفيها مجموعة عُرف معدة لجلوس النساخ والخطاطين، مزودة بكل ما يحتاجونه من أوراق وأقلام ومحابر وغيرها، وفيها كذلك قاعات ومناضد مخصصة للمطالعة⁽²⁾.

وبصورة عامة كانت إدارة دار العلم، تتكون من متولي النظر، وهو المسؤول الأعلى، ويُشترط فيه ان يكون من أهل العلم ومن ذوي السيرة الحسنة، وتكمن مهامه في تعزيز محتوى المكتبة، والإشراف على الموظفين، وتلبية احتياجات القراء، وإسكان الطلبة، وتحديد موضوعات الدروس لعرضها على الوالي للحصول على الموافقة والإقرار، فضلاً عن تنظيم أيام وساعات العمل، والإشراف على مخصصات الطلبة وسجلات الدار⁽³⁾.

ولعل أبرز من أسندت اليه مهمة متولي النظر في دار العلم، الحسين بن بشر بن علي بن بشر الطرابلسي (ت 5هـ)، فقد كان اديبا وخطيبا وأبو الفضل أسعد بن احمد بن أبي روح (ت 504هـ)، وكان تلميذاً لقاضي طرابلس ابن البراج، وأبو عبد الله الطليطلي أحمد بن محمد (ت 512هـ)، وكان من مشاهير علماء اللغة العربية⁽⁴⁾.

وخازن المكتبة وأمينها، وتكمن مهامه بالإشراف على الجوانب العلمية والإدارية لمكتبة الدار، إذ يعمل على تزويدها بالكتب الجديدة، ويحرص على دقة الفهارس وتنظيمها بشكل جيد وشامل، ويسعى لتيسير عمل القراء قدر الإمكان⁽⁵⁾.

وكاتب الدار، وهو المسؤول عن تحرير الرسائل وتنظيم السجلات الإدارية للدار، ويتم اختياره وفق شروط، منها: تمتعه بالأمانة والإيمان والبصيرة والمعرفة، وأن يكون أهلاً للاطلاع على أسرار الحكمة التي أمر الله بحفظها وكتمانها عن غير المستحقين، حكيماً وفطناً في استقبال طلبة العلم، وحريصاً على وضعهم في مجالسهم وفقاً لمكانتهم العلمية والدينية⁽⁶⁾.

(1) ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج 1/ ص 21- ص 22.

(2) تدمري، الحياة الثقافية، ص 59.

(3) المقرئزي، الخطط، ج 1/ ص 459.

(4) تدمري، الحياة الثقافية، ص 47.

(5) شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، ص 158.

(6) القلقشندي، صبح الاعشى، ج 1/ ص 439.

وإمام مصلى الدار، ومهمته تتمثل في إمامة الدارسين والمُقيمين بالدار، فضلاً عن استقبال الزائرين والراغبين في تأدية الصلاة في المصلى⁽¹⁾.

ومما تقدم يظهر ان دار العلم كان مؤسسة علمية متكاملة، لها ادارة وميزانية، وتعمل وفق خطط وسياسة، هدفها نشر العلم والمعرفة، وقد استطاعت بفضل رعاية الدولة لها وهمة من كلف بإدارتها من تحقيق اغلب اهدافها، حتى صارت مكتبتها من اكبر مكاتب العور الوسطى، وصارت هي قبلة لطلبة العلم من شتى بقاع المعمورة.

3- الأسواق:

الأسواق وهي جمع سوق والسوق في اللغة العربية لها عدة دلالات أساسية مشتقة من اصلها اللغوي ومنها تنطلق كلمة سوق ويراد به المكان التجاري وهو الموضع الذي يجلب اليه البضائع والسلع وتباع وتشترى فيه، تسوق القوم بمعنى باعوا واشتروا⁽²⁾، وكانت عند العرب ومنذ عصر ما قبل البعثة مكاناً للتجارة وعقد الملتقيات العلمية للأدباء والعلماء⁽³⁾، وكانت أسواق طرابلس في عصر لدولة العمارية أنموذجاً لذلك، حيث شهدت عقد لقاءات وحلقات أدبية، مثل حلقة أبو الفضل العطار (ت 5هـ)⁽⁴⁾، وحلقة الشاعر ابن الخياط⁽⁵⁾، وذكر ابن عساكر ان ابن الخياط وأبو الحسين هبة الله الحافظ (ت 5هـ)⁽⁶⁾ كان يترددا على متجر عطار نصراني لتجاذب الأشعار بحضور عدد من شيوخ العلم وطلبته⁽⁷⁾.

وعزز ذلك أنّ أهل طرابلس كانوا من المولعين بالشعر، فضلاً عن شهرتهم بإعطاء القصائد الى الخطاطين والشعراء لتببيضها لهم، وكان الواحد منهم يدفع مبالغ مجزية تصل الى حد سبعة دنانير لتببيض القصيدة الواحدة، وهو ما نستشفه من رواية ابن العديم، التي بين

(1) شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، ص 158 .

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج 10/ ص 166.

(3) ذكر اليعقوبي أن للعرب قبل الإسلام عشرة أسواق هي "دومة الجندل والمشقر وصحار وشمر وعدن وصنعاء والرابية وعكاظ وذو الحجاز" وكانت تعقد لغرض التجارة والمفاخرة. تاريخ اليعقوبي، ج 1/ ص 270- ص 271.

(4) لم اجد له ترجمه في كتب التراجم

(5) تدمري، دار العلم، ص 28؛ بك، ابن الخياط، مجلد 33، ج 3/ ص 358 .

(6) هبة الله بن الحسن الحافظ بن عبد الله بن عساكر الدمشقي، وكان عارفاً بالفقه والحديث والأدب. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 2/ ص 495 .

(7) تاريخ دمشق، ج 5/ ص 420؛ وينظر: تدمري، دار العلم، ص 28 .

فيها تبيض الشاعر ابن الخيشي الحلبي (ت 5 هـ) (1) سبعة وعشرين قصيدة في شهر رمضان لجماعة من الطرابلسيين بمبلغ قدره مائتي دينار (2).

ومما تقدم يظهر ان أسواق طرابلس قد حفظت على موروثها بصفاتها مكاناً للتبضع والبيع والشراء فضلاً عن كونها مكاناً لعقد الملتقيات العلمية، مما أسهم في نشر المعارف والعلوم وبالنسبة لتنشيط الحركة العلمية والثقافية في طرابلس كلها في زمن الدولة العمارية.

4- القصور:

القصر هو بناء للسكن عالي الفخامة وواسع المساحة، يتميز بتعدد غرفه، وتصميمه المعماري الفخم، ويحيط به أرض واسعة، يُخصص لإقامة رجال الدولة وحاشيتهم، أو الطبقات الراقية، أو الشخصيات رفيعة المستوى، أو الملاك الأثرياء، أو لأغراض حكومية، ونحوها (3)، وقد فتح فخر الملك أبواب قصره ليكون مكاناً لعقد المجالس العلمية والمناظرات الأدبية والفقهية والخطابية والسجلات الشعرية، وكان يحضرها بنفسه، ويُجزل العطايا على المتناظرين، حتى اقترح في أحد هذه المجالس على الشعراء ان ينظموا قصيدة على وزن قصيدة الشاعر ابن هاني المغربي (ت 362 هـ) (4)، وخصص للفائز جائزة، ففاز بها الشاعر أبو الحسن علي بن إبراهيم المعري (ت 449 هـ) (5)، وهي أمور بإجمالها عززت من النشاط العلمي للدولة العمارية (6).

كما شجع فخر الملك على عقد المناظرات الدينية، كالتي جرت بين القاضي ابن أبي روح (ت 504 هـ) (7) وبعض فقهاء المالكية (8)، والمناظرة الخطابية التي جرت بين المتولي

(1) اسمه احمد بن حمزة بن عبيد الله، ابو نصر الاسدي، الملقب بالمهندس ويعرف بابن الخيشي، شاعرا مجيد جزل الالفاظ. تدمري، الحياة الثقافية، ص 83

(2) المرجع نفسه، ص 25.

(3) ثويني، معجم عمارة الشعوب، ص 566 0

(4) اسمه محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأزدي، كان من أشهر شعراء المغرب. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2/ ص 427-428؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 2/ ص 186؛ الزركلي، الأعلام، ج 7/ ص 130 .

(5) علي بن إبراهيم بن علي المعروف بابن العلاني المعري، كان أحد شعراء الشام البارعين. الاصفهاني خريدة القصر، ص 77.

(6) خريدة القصر، ص 77 .

(7) متولي دار العلم تولى القضاء في طرابلس أيضاً، واشتهر فيها بعلمه وزهده، وصار رئيساً للشيعة الامامية في بلاد الشام، سيرد الحديث عنه في المبحث الثاني من هذا الفصل

(8) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 8/ ص 108؛ تدمري، دار العلم، ص 28 .

على دار العلم الحسين بن بشر الطرابلسي (ت 5هـ) والخطيب البغدادي (ت 463هـ)⁽¹⁾، التي قال عنها ابن حجر: "له - يقصد الحسين بن بشر الطرابلسي - مناظرة مع الخطيب البغدادي ذكرها الكراجكي في رحلته، وقال: حكم له على الخطيب البغدادي بالتقدم بالعلم"⁽²⁾.

يتبين مما سبق أن دار العلم في طرابلس كانت من أبرز مؤسسات علمية في بلاد الشام خلال القرن الخامس الهجري بسبب رعاية الحكام لها، وموقعها الجغرافي المميز، والازدهار الاقتصادي، فضلاً عن انتشار المساجد والأسواق وحلقات العلم، والسمعة العلمية المرموقة، وقد لعبت هذه الظروف دوراً محورياً في تعزيز النشاط الثقافي والعلمي داخل المدينة، مما يظهر بوضوح اهتمام حكام بني عمار بالعلم والمعرفة، وسعيهم لتحويل طرابلس إلى مركز علمي مرموق في العالم الإسلامي.

ثانياً- التعريف بمشاهير علماء الدولة العمارية في طرابلس:

صارت مدينة طرابلس خلال القرن الخامس الهجري بسبب جملة عوامل في مقدمتها موقعها الجغرافي المميز على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وما شهدته من استقرار سياسي وازدهار اقتصادي وتجاري بيئة ثقافية نابضة بالحياة جذبت إليها العلماء والطلاب من شتى الأقاليم، فبرز منها عدداً من أهل العلم، منهم:

1- ابن البراج (ت 481هـ):

كُنيتُه أبو القاسم، واسمه عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز⁽³⁾ الطرابلسي نسبةً إلى طرابلس الشام⁽⁴⁾، وشهرته ابن البراج⁽⁵⁾، والبراج أمر برج الحراسة في القصر الخلافي⁽⁶⁾،

(1) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب، كان من مشاهير الحفاظ. الزركلي، الأعلام، ج 1/ ص 172.

(2) لسان الميزان، ج 2/ ص 275.

(3) المرتضى، تنزيه الأنبياء، ص 10؛ السبحاني، موسوعة طبقات الفقهاء، ج 2/ ص 284.

(4) الأمين، أعيان الشيعة، ج 2/ ص 261؛ حاج عمر، المسلمون الشيعة، ص 37.

(5) المرتضى، تنزيه الأنبياء، ص 10.

(6) ابن الطقطقي، الفخري في الأداب السلطانية، ج 1/ ص 43.

وهو أيضاً الموكل ببرج الحمام الزاجل⁽¹⁾، وربما دلّ على صاحب البريد⁽²⁾، لاستخدام الحمام الزاجل في نقل البريد فأطلق على المُشرف على أبراجه برّاج⁽³⁾.

لم تذكر المصادر سنة ولادته، وقدمت بخصوص موطن ولادته أكثر من رأيين، الأول انه ولد مصر وبها كانت نشأته⁽⁴⁾، والثاني انه ولد في الشام وبها نشأ⁽⁵⁾، وهو ما تُميل اليه ونرجحه، لأن مصر وقتذاك كانت إسماعيلية على المستوى الرسمي وذات أغلبية سُنية شافعية على المستوى الشعبي، مما يجعل المناخ الفكري العام وتجلياته العملية غير ملائم لبروز عالم شيعي امامي⁽⁶⁾.

ولو كان من الديار المصرية - كما اعتقد أصحاب الرأي الأول - لانتحل المذهب الاسماعيلي الذي كان مذهب الدولة الفاطمية الرسمي، وبما أنه من علماء الامامية لزم أن يشتهر انتقاله من مذهب إلى آخر، ولذا عاب وبان في الوقت نفسه، غير أنه لم يُذكر في حقه شيء من هذا القبيل⁽⁷⁾.

وبتأملنا لنص عبد الله أفندي الذي قال فيه: "أكمل قراءته على الشيخ الطوسي وعاد إلى طرابلس"⁽⁸⁾، ولاسيما مفردة (وعاد) نلاحظ ان فيها تلميح قوي إلى أنه كان في طرابلس قبل رحلته إلى بغداد، مما يجعلنا نتمسك بأنه طرابلسي النشأة، وأنه على الأقل انطلق إلى بغداد بعد أن كان مُقيماً بها.

وهناك أمور أخرى اشتهر بها تؤكد صواب ترجيحنا، أبرزها: لقب (الطرابلسي) الذي اشتهر به، وفيه تأكيد على أن موطن ولادته ونشأته هي طرابلس⁽⁹⁾، ولقب والده (البراج)، فهذا اللقب الوصفي من أسماء المهن التي شاعت في المنطقة الشامية، والبراج اسم فاعل من أمثلة المبالغة مشتقة من (البرج)⁽¹⁰⁾، وهو ما أرتفع وبرز، ويُطلق على القلاع

- (1) ابن خلدون، العبر، ج5/ص329.
- (2) ابن الدقاق، الحكم والغايات في تعبير المنامات، ج1/ص289.
- (3) الصلابي، دولة السلاجقة، ج1/ص270.
- (4) الأفندي، رياض العلماء، ج3/ص143.
- (5) المهاجر، ابن البراج، ص46؛ الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ج1/ص87.
- (6) المهاجر، ابن البراج، ص42.
- (7) الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ج1/ص87.
- (8) الافندي، رياض العلماء، ج3/ص142.
- (9) الأفندي، تعليقة أمل الأمل، ص173؛ البغدادي، هدية العارفين، ج1/ص587.
- (10) المهاجر، ابن البراج، ص44.

والحصون⁽¹⁾، وهو بناء حصين عالي أو قريب من ساحل البحر، وظيفته خفارة الساحل وحماية المقاتلين من الأعداء المغيرين في السفن، وإن أصل طرابلس الرومية ثلاثة حصون⁽²⁾، ومثلها كان على طول الساحل اللبناني، وتلك الأبراج تكاد تكون خصوصية شامية، لأن سواحل غرب الشام هي أطول ثغر بحري في المشرق الإسلامي، فضلاً عن أنه كان عرضة لغزوات السفن الرومية له بسبب قربها من بلادهم آنذاك⁽³⁾؛ لذلك كانت محل رباط ومقصدا للمرابطين، فكثر فيها الأبراج ومن ثم نشوء بعض المهن المتعلقة بها⁽⁴⁾.

توفي في سنة (481هـ)⁽⁵⁾، وكان قد لُقّب بعدة ألقاب، أبرزها: **(الطرابلسي)**، نسبة إلى موطن ولادته ونشأته، و**(القاضي)**، لتوليّه منصب القضاء في طرابلس مدة طويلة تجاوزت العشرين سنة⁽⁶⁾، كما لُقّب بـ**(عز المؤمنين)** ⁽⁷⁾ و**(سعد الدين)** ⁽⁸⁾، وعُرف أيضاً بـ**(الشامي)** ⁽⁹⁾ لاستقراره في الشام⁽¹⁰⁾، وقال الخوانساري (ت1313هـ): "إن من جملة ألقاب الرجل أيضاً الحافي"، وأورد في ذلك بيتين من الشعر⁽¹¹⁾:

وسنَّ رَفَعُ اليَدِ بالتكبير والخلعُ للحدِّا دُونَ الاحتفا

والمَكْتُ حَتَّى الرَفْعِ للسَّريِر وسكن في قضاائه الحافي الحفا

ولم يذكر سبب تلقيبه بذلك، لكن من المحتمل أن يكون هذا اللقب من معاني كلمة **(القاضي)**⁽¹²⁾.

سافر إلى طرابلس في سنة (438هـ)⁽¹³⁾، استجابة لطلبات أهلها في حاجتهم لفقيه

(1) دروزة، التفسير الحديث، ج2/ ص143 .

(2) سالم، طرابلس الشام، ص48 .

(3) القرشي، غرر الفوائد، ص35 .

(4) المهاجر، ابن البراج، ص46 .

(5) الأفندي، تعليقة أمل الأمل، ص173؛ الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ج1/ ص87 .

(6) الأفندي، تعليقة أمل الأمل، ص173؛ البغدادي، هدية العارفين، ج1/ ص587 .

(7) الأمين، أعيان الشيعة، ج8/ ص18 .

(8) الطوسي، الاستبصار، ج1/ ص38؛ الرازي، هداية المسترشدين، ج2/ ص324 .

(9) التستري، مقابس الأنوار، ص8 .

(10) التتكايني، قصص العلماء، ص765؛ المروج، هدى الطالب، ج5/ ص349 .

(11) روضات الجنات، ج4/ ص201 .

(12) ابن البراج، المهذب، ج1/ ص13 .

(13) الأفندي، رياض العلماء، ج3/ ص142 .

يرجعون إليه⁽¹⁾ بسبب قربه من الشيخ الطوسي، إذ كان "خصيصاً بشيخ الطائفة وصار خليفته في البلاد الشامية"⁽²⁾، وتمتع بصفة وكيل في تلك المنطقة⁽³⁾، وصار أهل طرابلس يرجعون إليه في أمورهم العبادية وغيرها⁽⁴⁾.

وقد ساعدت أخلاقه وحكمته وتدينه على أن يكون محل ثقة أهل طرابلس، فأُسند إليه منصب القضاء في طرابلس من والي الدولة العمرية جلال الملك في سنة 464هـ⁽⁵⁾، وبقي فيه لأكثر من عشرين سنة⁽⁶⁾، فضلاً عن ذلك كانت له حلقة تدريس في طرابلس يحضرها الكثير من طلبة العلم⁽⁷⁾، ودل هذا على نشاط تثقيفي خاص تجسد في إعداد الفقهاء والتبليغ العام⁽⁸⁾.

عاش في القرن الخامس للهجرة، وخلال تلك الحقبة الزمنية أحاط بعلم عصره وقام بتدريسها، وتتلذذ عليه عدد كبير من طلبة العلم في الشام والعراق⁽⁹⁾، مما ساعده على تصنيف العديد من المؤلفات القيمة، التي للأسف لم تصلنا كلها، إذ فقد البعض منها مع مرور الزمن وبتأثير عوامل عديدة، لعل أبرزها احتلال الفرنج لطرابلس في سنة (502هـ)⁽¹⁰⁾، حيث أحرقوا مكتباتها وعاثوا فيها تخريباً⁽¹¹⁾، لكنها ظلت شاهداً على ابداعه لعلمي وتميزه الفكري⁽¹²⁾، وهو ما يتضح من وصف العلماء له، ومنها: أنه "وجه الأصحاب وفقههم"⁽¹³⁾، و"من فقهاء الامامية"⁽¹⁴⁾، و"الفقيه الجليل الكامل"⁽¹⁵⁾.

(1) ينظر: الكاظمي، الحوزات الشيعية، ص 46 وص 68.
(2) الأصفهاني، إضافة القدير، ص 68. استعيض عن الخليفة للمرجع بمصطلح (الوكيل) وهي صفة تؤخذ في تراجم بعض العلماء الامامية، فيقال أنه كان وكيلاً عن المرجع الفلاني، وكلما كثرت وكالاته عن المراجع كان ذلك مؤشراً على منزلته العلمية ودرجة وثاقته. الكاظمي، الحوزات الشيعية، ص 73.

(3) الكريواني، دراسة في منهج كتاب المذهب، ص 154.
(4) الكاظمي، الحوزات الشيعية، ص 68.
(5) الصدر، تأسيس الشيعة، ص 304.
(6) الهمداني، الكشكول، ج 1/ ص 205.
(7) تدمري، موسوعة العلماء والأعلام، ج 1/ ص 396.
(8) ينظر: الكاظمي، الحوزات الشيعية، ص 46- ص 71.
(9) السبحاني، دور الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية، ص 55.
(10) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17/ ص 117؛ ابن الأثير، الكامل، ج 10/ ص 475.
(11) حتي، لبنان في التاريخ، ص 353.
(12) تدمري، الحياة الثقافية، ص 61.
(13) منتجب الدين، الفهرست، ص 74.
(14) الطريحي، مجمع البحرين، ج 1/ ص 278.

وكانت أغلب هذه المصنفات في علم الفقه، وهو أوسع العلوم الإسلامية وأشهرها، لكونه يختص بالأحكام الشرعية الفرعية المتعلقة بأفعال العباد في عباداتهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم الأسرية وجناياتهم، والعلاقات بين المسلمين بعضهم ببعض، وبينهم وبين غيرهم في السلم والحرب وغير ذلك⁽¹⁾.

ومنها: كتاب (جواهر الفقه)⁽²⁾، واختص بالفتيا، ولعله كان رسالة عملية لمن كان يرجع إليه في بلاد الشام⁽³⁾، ذكر فيه المسائل المستحسنة والمستغربة والأجوبة الموجزة المنتخبة⁽⁴⁾، رتبته على ثمانية وثلاثين باباً، تناول في كل باب المسائل الفقهية المعروفة كالوكالات والضمان والرهن والبيوع والمضاربة والشفعة وغيرها، وجعل عناوين المطالب في بداية كل باب⁽⁵⁾، وهو مطبوع في مجلد واحد⁽⁶⁾.

و(شرح جمل العلم والعمل)⁽⁷⁾، وهو شرح لكتاب (جمل العلم والعمل) للسيد المرتضى (ت436هـ)⁽⁸⁾، شرح فيه القسم الفقهي منه⁽⁹⁾، مستكماً جهود شيخه الطوسي الذي سبقه في شرح الأصول والقواعد والقسم الكلامي منه، بكتاب وسمه بعنوان (تمهيد الأصول)⁽¹⁰⁾، وكتاب (المهذب)⁽¹¹⁾، وبه اشتهر، لشموليته وقيمة ما تضمنه من معارف وعلوم من فقه وأمر اقتصادية ومالية وغيرها، وقد نشر في جزأين ضخمين⁽¹²⁾.

أما مصنفاته التي تصل إلينا، ولم نعرف عن مضمونها شيء فكانت الأكثر، ومن جملتها: كتاب (الاحتجاج في مناسك الحاج)⁽¹³⁾، ويظهر من عنوانه أنه في فريضة الحج،

- (15) النوري، خاتمة المستدرک، ج3/ص36.
- (1) الجرجاني، التعريفات، ص168؛ عبد المنعم، معجم المصطلحات، ج2/ص535.
- (2) ابن شهر آشوب، معالم العلماء، ص115.
- (3) السبحاني، تذكرة الأعيان، ص115؛ ابن البراج، جواهر الفقه، مقدمة التحقيق، ص15.
- (4) ابن البراج، جواهر الفقه، مقدمة التحقيق، ص4؛ الأفندي، رياض العلماء، ج3/ص143.
- (5) الطهراني، الذريعة، ج5/ص256.
- (6) الكيدري، أصباح الشيعة بمصباح الشريعة، ص18.
- (7) ابن شهر آشوب، معالم العلماء، ص115؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج5/ص262.
- (8) علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن الإمام علي (عليه السلام)، ولد في سنة (355هـ). ابن الجوزي، المنتظم، ج15/ص294؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/ص313.
- (9) ابن البراج، جواهر الفقه، مقدمة التحقيق، ص15؛ الأمين، مستدرکات أعيان الشيعة، ج1/ص88.
- (10) السبحاني، التذكرة، ص115.
- (11) منتجب الدين، الفهرست، ص74؛ ابن شهر آشوب، معالم العلماء، ص115.
- (12) ابن البراج، جواهر الفقه، مقدمة التحقيق، ص15.
- (13) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1/ص578؛ البغدادي، هدية العارفين، ج5/ص262.

و(الإشراق)⁽¹⁾، وقيل انه يعود لتلميذه عبد العزيز بن أبي الكامل الطرابلسي⁽²⁾، وهو تصنيف كتاب الإشراف⁽³⁾، و(حسن التعريف)⁽⁴⁾، و(روضة النفس في أحكام العبادات الخمس)⁽⁵⁾، و(عماد المحتاج في مناسك الحاج)⁽⁶⁾، ويظهر من عنوانه أنه في فريضة الحج، و(الكامل في الفقه)⁽⁷⁾، و(كتاب في الكلام)⁽⁸⁾، و(المعالم)، وهو في الفروع⁽⁹⁾، و(المعتمد في الفقه)⁽¹⁰⁾، و(المقرب في الفقه)⁽¹¹⁾، و(المنهاج)⁽¹²⁾، و(الموجز في الفقه)⁽¹³⁾.

2- اسعد بن أحمد بن أبي روح الطرابلسي (ت504هـ):

لم تسعنا المعلومات الواردة عنه لمعرفة محل ولادته وكيفية نشأته، لكنها بينت انه لقب بالطرابلسي نسبة الى طرابلس التي استقر بها واشتهر، وكان زاهداً وراهباً، جليل القدر، عظيم الصلاة والتهدد، ولا ينام إلا بعض الليل، وكان صمته أكثر من كلامه⁽¹⁴⁾، ولعل ذلك هو سبب تلقيه بـ(أبو الفضل)⁽¹⁵⁾.

تولى دار العلم في طرابلس، بعد وفاة أستاذه ابن البراج⁽¹⁶⁾، كما أسند اليه القضاء في طرابلس أيضاً، واشتهر فيها بعلمه وزهده، وصار رئيساً للشيعة الامامية في بلاد الشام، وعقدت له حلقة الإقراء⁽¹⁷⁾.

استشهد في معركة ص_____يداً⁽¹⁸⁾ سنة (504هـ) بعد استبساله مع أهلها في

- (1) الأفندي، رياض العلماء، ج3/ص145؛ البغدادي، إيضاح المكنون، ج2/ص268.
- (2) حسين، كشف الحجب، ص46؛ الطهراني، الذريعة، ج2/ص103.
- (3) الطهراني، الذريعة، ج2/ص103.
- (4) ابن شهر آشوب، معالم العلماء، ص115.
- (5) ابن شهر آشوب، معالم العلماء، ص115؛ الحر العاملي، أمل الآمل، ج2/ص152.
- (6) منتجب الدين، الفهرست، ص75.
- (7) الأفندي، رياض العلماء، ج3/ص145؛ البغدادي، إيضاح المكنون، ج2/ص120.
- (8) منتجب الدين، الفهرست، ص75؛ الحر العاملي، أمل الآمل، ج2/ص152.
- (9) البغدادي، إيضاح المكنون، ج2/ص333؛ الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ج1/ص86.
- (10) الطهراني، الذريعة، ج21/ص214.
- (11) منتجب الدين، الفهرست، ص74؛ الحر العاملي، أمل الآمل، ج2/ص152.
- (12) المازندراني، منتهى المقال، ج4/ص139؛ البغدادي، هدية العارفين، ج1/ص578.
- (13) الحر العاملي، أمل الآمل، ج2/ص152.
- (14) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35/ص448؛ الصفي، الوافي بالوفيات، ج9/ص26.
- (15) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14/ص357؛ ميزان الاعتدال، ج1/ص210؛ الصفي، الوافي بالوفيات، ج9/ص25.
- (16) المهاجر، أعلام الشيعة، ج1/ص245.
- (17) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35/ص448؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج3/ص294.

الدفاع عنها ضد الإفرنج⁽¹⁾، تاركاً وراءه سيرة محمودة، ومصنفات علمية قيمة، إذ كانت له مكتبة تضم أربعة آلاف مجلد قعت بيد الإفرنج فأثلفوها، بضمنها مصنفاته التي لم تصل إلينا⁽²⁾، مثل: كتاب (البراهين)، وكتاب (التبيان)، وكتاب (تحريم الفقاع)، وكتاب (عيون الأدلة في معرفة الله)، وكتاب (المقتبس)، وكتاب (المناسك)⁽³⁾.

3- أبو عبد الله أحمد بن محمد الطليطلي (ت512هـ):

أصله من طليطلة، وهاجر إلى طرابلس في سنة (478هـ) بعد سقوط طليطلة في الأندلس على أيدي القشتاليين، فاحتضنه الأمير جلال الدولة وجعله متولياً لدار العلم في طرابلس، وبقي في منصبه هذا حتى سقطت طرابلس بأيدي الصليبيين في سنة (502هـ)، وأخذه أسيراً، فافتداه أمير شيزر أبو العساكر سلطان بن علي بن مقلد بن نصر الكناني الشيزري (توفي تقريباً 543هـ) واستضافه عنده، وأسند إليه مهمة تعليم وتربية ابنه الأمير أسامة بن منقذ (ت584هـ)⁽⁴⁾، فقبل بذلك واجتهد⁽⁵⁾، مستثمراً قدرته على الحفظ وامتلاكه لذاكرة قوية في حفظ نصوص الكتب والمتون، وهو ما أشاد به أسامة بن منقذ في كتابه⁽⁶⁾، وبقي مقيماً في شيزر مدة من الزمن وانتقل إلى مصر ومات بها⁽⁷⁾، تاركاً وراءه ارثاً أخلاقياً وعلمياً قيماً، إذ عرف أنه صنف عدداً من الكتب لكنها لم تصل إلينا بسبب عوامل الزمن⁽⁸⁾.

4- الحسين بن بشر بن علي بن بشر الطرابلسي (ت5هـ):

المعلومات التي وصلت إلينا عن سيرته الشخصية والعلمية شحيحة جداً، لكن يفهم منها أنه وبعد أن باننت نبوغته وتميزه العلمي أسندت إليه مهمة رئاسة دار العلم بطرابلس⁽⁹⁾،

(18) معركة صيدا من أبرز محطات الصراع بين المسلمين والصليبيين بقيادة بغدوين ملك القدس، فقرر القدوم إلى بلاد الشام، ونزلوا صيدا في 3 ربيع الآخر من سنة (504هـ) وضائقوها برا وبحرا. الذهبي، الكامل، ج8/ ص582.

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14/ ص357؛ المهاجر، أعلام الشيعة، ج1/ ص298.

(2) الأمين، أعيان الشيعة، ج3/ ص294.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35/ ص448؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9/ ص26.

(4) لأمر الكبير العلامة، فارس الشام، مجد الدين، مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة ابن الأمير مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني، الشيزري ولد بشيزر سنة (488هـ). الذهبي سير أعلام النبلاء، ج21/ ص166..

(5) تدمري، الحياة الثقافية، ص99.

(6) تدمري، موسوعة العلماء والأعلام، ج1/ ص396.

(7) الاعتبار، ص208.

(8) تدمري، الحياة الثقافية، ص50.

(9) ابن حجر، لسان الميزان، ج2/ ص275.

وبقي فيها مدة أثبت من خلالها قدراته العالية في مجال العلم والادارة، حيث اشتهر بكونه خطيباً شيعياً مفوهاً، وصاحب خطب مؤثرة في الناس، وله مناظرة علمية مع الخطيب البغدادي (ت463هـ) أظهر فيها علماً قيماً وأدباً رفيعاً في الحوار والمناظرة⁽¹⁾، ويقودنا هذا الى القول: بان وفاته في القرن الخامس الهجري على اعتبار معاصرته للخطيب البغدادي ومناظرته له.

ومما سبق يتبين أن ظهور علماء كبار في طرابلس الشام خلال القرن الخامس للهجرة كان بأثر جملة من العوامل، أبرزها دعم بنو عمار للعلم، وانشاءهم لمؤسسات علمية مهمة، إلى جانب موقع طرابلس الجغرافي الفريد، الذي جعل منها مركزاً حيوياً للتجار والعلماء الذين توافدوا من مناطق المشرق الإسلامي والدول المحيطة بالبحر المتوسط إليها.

ثالثاً- علوم الدولة العمارية في طرابلس:

سعت الدولة العمارية في طرابلس الى رعاية العلوم المختلفة وتكريم العلماء، وتهيئة كل عوامل النجاح والتطور في هذا المجال، مما كان له نتائج طيبة أفرزت عن تطور كبير في مختلف جوانب المعرفة، من العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية والتاريخ وغيرها، وكما يأتي:

1- العلوم الدينية:

لعل من أبرز علوم القرآن الكريم، علم القراءات، الذي هو من اوائل العلوم التي حظيت باهتمام المسلمين⁽²⁾، وهو ما بينه ابن خلدون بقوله: "القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الأمة إلا أن الصحابة روه عن رسول الله (ﷺ) على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها، وتنوّل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضاً بأدائها واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع أصولاً

(1) ابن حجر، لسان الميزان، ج2/ ص275؛ اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق (ع)، موسوعة طبقات الفقهاء، ج5/ ص101.

(2) ينظر: عاشور، الحياة الفكرية في الإسلام، ص32-33؛ العمري، التعليم في عصر السيرة والراشدين، ج1/ ص86-87.

للقرأة وربما زيد بعد ذلك قراءات أخر لحقت بالسبع"⁽¹⁾، فهو "علم يبحث به عن كيفية النطق بألفاظ القرآن وموضوعه القرآن من حيث انه يقرأ"⁽²⁾.

وقد برز في عهد الدولة العمارية بطرابلس في علم القراءات، جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن السراج (ت500هـ)⁽³⁾، الذي ولد في سنة (417هـ)، واتفق قراءة القرآن الكريم بمختلف القراءات بوقت مبكر من عمره، مما جعل له مكانة مميزة بين العلماء⁽⁴⁾، وهو ما يتبين من وصف الذهبي له، بقوله: "الشيخ، الإمام، البارع، المحدث، المسند، بقية المشايخ، أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسن بن أحمد البغدادي، السراج، القارئ، الأديب"⁽⁵⁾.

وفي علم التفسير⁽⁶⁾، الذي عرفه الراغب الاصفهاني بانه: "إظهار المعنى المعقول... والتفسير في المبالغة كالفسر والتفسير قد يقال يختص بمفردات الالفاظ وغريبها وفيها يختص التأويل"⁽⁷⁾، والسيوطي بقوله: "علم يكشف معاني القرآن وبيان المراد... وبحسب المعنى الظاهر وغيره"⁽⁸⁾، برز أبو يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بNDAR القزويني (ت488هـ)، اذ نبغ في هذا المجال، وألف كتباً ضخماً بالتفسير، ساعده في ذلك موسوعية معارفه، ودعم الدولة العمارية له، حتى صار يشار له بالبنان، وهو ما بينه السيوطي بقوله: "كان أحد المعمرين والفضلاء المقدمين، جمع التفسير الكبير الذي لم ير في التفاسير أكبر منه ولا أجمع للفوائد، وهو في ثلاثمائة مجلد، منها سبع مجلدات في الفاتحة"⁽⁹⁾.

ومما تقدم يتبين أنّ علمي القراءات والتفسير قد برزا في عهد الدولة العمارية في طرابلس، وبزغ نجوم علماء مشهورين في هذا المجال.

ومن العلوم الدينية، علم الحديث النبوي الشريف، والحديث لغة: اسم من التحديث وهو الأخبار⁽¹⁰⁾، وورد ذكر الحديث في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾

- (1) المقدمة، ص437.
- (2) التهانوي، كشف اصطلاح الفنون، ص37.
- (3) ابن الجوزي، المنتظم، ج17/ ص104.
- (4) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج19/ ص228.
- (5) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج19/ ص228.
- (6) وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾. الفرقان: آية 33.
- (7) المفردات في غريب القرآن، ص380.
- (8) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج2/ ص436- ص347.
- (9) طبقات المفسرين، ص67.
- (10) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2/ ص36؛ ابن منظور، لسان العرب، ج2/ ص131؛ الرازي، مختار الصحاح، ص53.

إِنْ كَانُوا صِدِّيقِينَ⁽¹⁾، والمقصود به أقوال الرسول (ﷺ) وأفعاله وتقريره وصفاته⁽²⁾، وقد عرفه السيوطي بأنه "العلم الذي يشتمل على أقوال النبي (ﷺ) وأفعاله وروايتها وضبطها وتحرير الفاظها"⁽³⁾.

وهذا العلم من العلوم المهمة التي اهتمت بها الدولة العمارية، وبرز في مجاله علماء مشهورين، منهم: أبو اسحاق الشامي ابراهيم بن عقيل بن حبيشي بن محمد بن سعيد المكبري الكرماني (ت474هـ)⁽⁴⁾، الذي تتلمذ على يديه مشاهير العلماء، منهم ابن عساكر (ت571هـ)، الذي قال عنه: "كان صدوقاً وفي قوله نظر... وروينا من طريقه الى ابن عباس انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من الجفاء ان يمسح الرجل جبينه قبل أن يفرغ من صلاته، وأن يصلي لا يبالي من أمامه، وأن يأكل مع رجل ليس من أهل دينه ولا من أهل الكتاب في إناء واحد"⁽⁵⁾.

وأبو طاهر العابد الحيفي ابراهيم بن محمد بن عبد الرزاق (ت ق5هـ)، من أهل قصر حيفا⁽⁶⁾، قرأ الحديث في طرابلس على أبو يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف القزويني (ت488هـ)⁽⁷⁾، وأبو الوفاء سعد بن علي بن محمد بن أحمد النسوي (ت498هـ)⁽⁸⁾، ثم انتقل الى مدينة صور في سنة (476هـ) وحدث بها، وتتلّمذ عليه فيها غيث بن علي الأرمنازي (ت509هـ)⁽⁹⁾، وأبو الفضل أحمد بن الحسين ابن بنت الكامل السوري (ت518هـ)⁽¹⁰⁾ وغيرهم من مشاهير طلبة العلم⁽¹¹⁾، وصار لعلمه الوفير وخلقه الجم محلاً لاطراء طلبة العلم ومضرباً لأمثالهم الطيبة وشعرهم العذب⁽¹²⁾.

- (1) سورة الطور: اية 34.
- (2) الأنصاري، الحدود الأنيفة، ص85.
- (3) تدريب الراوي، ج1/ ص40.
- (4) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج7/ ص56.
- (5) تاريخ دمشق، ج7/ ص54.
- (6) مدينة على ساحل بحر الشام قرب يافا، ولم يزل في أيدي المسلمين إلى أن تغلب عليه كندفري الذي ملك بيت المقدس في سنة (494هـ). ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج / ص332.
- (7) الشيخ العلامة البارع شيخ المعتزلة وفاضلهم أبو يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بNDAR القزويني المفسر نزيل بغداد. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج18/ ص616.
- (8) سعد بن علي بن محمد بن أحمد أبو الوفاء النسوي القاض، حدث بطرابلس سنة سبعين وأربعمائة. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج20/ ص275.
- (9) غيث بن علي بن عبد السلام بن محمد بن جعفر بن أبي الحسين السوري المعروف بابن الأرمنازي الكاتب، خطيب صور قدم دمشق قديماً في طلب الحديث. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج48/ ص124.
- (10) أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم بن أحمد ابن إبراهيم بن عمر، قدم دمشق عند افتتاح الفرنج صور في سنة (518هـ). ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج71/ ص75.
- (11) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج7/ ص197.
- (12) ابن منظور، تهذيب ابن عساكر، ج2/ ص286.

وأبو بكر المقرئ أحمد بن صالح بن عمر (ت 5هـ)⁽¹⁾، الذي كان من علماء مدينة بغداد ثم ارتحل الى طرابلس واستقر فيها، وأخذ عنه طلبة علم الحديث، ومنهم: أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن مالك الجرجاني (ت 5هـ)⁽²⁾، وصار في طرابلس مرجعاً مهماً في علم الحديث ومعارف دينية أخرى⁽³⁾، وأورد الخطيب البغدادي (ت 463هـ) عنه حديثاً مروياً بسنده عن رسول الله انه قال: "إن عذاب هذه الأمة في دنياها"⁽⁴⁾.

ومنهم كذلك أبو محمد الكنائي عبد العزيز أحمد بن محمد بن علي الدمشقي (ت 466هـ)⁽⁵⁾، الذي اشتهر بكثرة روايته للحديث وثقته وحفظه، تلقى علم الحديث على يد الحسين بن عبد الله بن محمد بن إسحاق ابن إبراهيم بن زهير الطرابلسي (ت 414هـ)، وألف جملة من المصنفات، أشهرها كتاب (الأمالي) و(مجموعات من الأحاديث) ذكر فيها مشاهير محدثي وعلماء طرابلس⁽⁶⁾، وتخرج على يديه جملة من مشاهير المحدثين، منهم الخطيب البغدادي (ت 463هـ)⁽⁷⁾ وأحمد بن منير بن عبد الرزاق الطرابلسي (ت 5هـ)⁽⁸⁾.

وابو الحسن السلمي أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن أبي الحديد الدمشقي (ت 469هـ)، وكان أحد رؤساء دمشق وعدولها، روى عن جده الحسين بن عبد الله بن محمد بن إسحاق بن أبي كامل الاطرابلسي (ت 414هـ)⁽⁹⁾، وعثمان بن شنبك الدينوري نزيل

(1) أحمد بن صالح بن عمر بن إسحاق أبو بكر البغدادي المقرئ البزاز، صاحب أبو بكر بن مجاهد، حدث بطرابلس وحمص وقرأ القرآن، وكان ثقة ضابطاً مشهوراً. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 71/ ص 189

(2) اسمه أحمد بن صالح بن محمد بن صالح بن المثنى ابن ثعلبة بن عمر بن منصور بن حرب، وكنيته (أبو العلاء)، المؤدّب التميمي الفارسي الجرجاني. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 71/ ص 191.

(3) تدمري، الحياة الثقافية، ص 87

(4) تاريخ بغداد، ج 71/ ص 190.

(5) عبد العزيز أحمد بن محمد بن علي الدمشقي ولد في سنة (389هـ). الذهبي، العبر، ج 3/ ص 261.

(6) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 4/ ص 305.

(7) الذهبي، الكامل، ج 10/ ص 93.

(8) أحمد بن منير بن عبد الرزاق أبو صالح من مشاهير طرابلس في القرن الخامس الهجري سمع بدمشق أبو نصر بن الجندي. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 6/ ص 35.

(9) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 21/ ص 254.

طرابلس (ت365هـ)⁽¹⁾، وتتلذذ عليه خطيب صور غيث بن علي بن عبد السلام الارمنازي (ت509هـ)⁽²⁾ وأبو المضاء محمد بن علي بن ابي المضاء البعلبكي (ت509هـ)⁽³⁾، توفي عن عمر بلغ التسعين تاركاً وراءه سيرة طيبة وموروثاً علمياً قيماً، من جملته كتاب (الفوائد)، وتوجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق⁽⁴⁾.

وأبو محمد الحسن بن علي بن الحسن الشيزري (ت5هـ)، وكان من رجال الحديث البارزين، نُسب إلى بلدة شيزر الواقعة شمال شرق طرابلس، وكانت تحت حكم بني منقذ، وأقام في طرابلس فترة من الزمن، وتلقى علم الحديث عن الحسين بن عبد الله بن محمد بن إسحاق بن أبي كامل الأطرابلسي (ت414هـ)⁽⁵⁾.

ثم انتقل إلى مدينة حلب، وروى الحديث فيها، وسمع عليه فيها ابن القيسراني (ت507هـ)⁽⁶⁾ وغيره من طلبة العلم⁽⁷⁾.

وسعد بن علي بن محمد بن احمد ابو الوفاء النسوي القاضي (ت498هـ)، وكان من مشاهير علماء الحديث، حدث بطرابلس في سنة (470هـ)، ومن جملة ما رواه حديث أسنده الى الامام علي بن ابي طالب، نصه: "خمس من خمسة محال، الأمن من العدو محال، والنصيحة من الحسود محال، والحرية من الفاسق محال، والهيبة من القبر محال، والوفاء من النساء محال"، وروى كذلك حديث للإمام علي نصه: "اربع لا تدرك بأربع: لا يدرك الشباب بالخضاب، ولا الغنى بالمنى، ولا البقاء بالدواء، ولا الصحة بالاحتماء"⁽⁸⁾.

ومن العلوم الدينية الأخرى، الفقه، والفقه لغة هو العلم بالشيء والفهم له⁽⁹⁾، ويقال أوتي فلان فقها في الدين اي فهماً فيه⁽¹⁰⁾، كما يعني إدراك غرض المتكلم من كلامه⁽¹¹⁾،

(1) المصدر نفسه، ج20/ص339. وكان عثمان بن شنبك وراقاً لخليفة الاطرابلسي، اصله من دينور، وهي مدينة تقع بإقليم الجبال في العراق ما بين همدان ودجلة. عطية الله، القاموس الاسلامي، ج2/ص426.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1/ص158.

(3) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج14/ص267.

(4) تدمري، الحياة الثقافية، ص92.

(5) المرجع نفسه، ص215.

(6) ابو الفضل محمد بن طاهر المعروف بابن القيسراني، مؤرخ صاحب كتاب الانساب المتفقة. المرجع نفسه، ص216.

(7) ينظر: المرجع نفسه، ص215-ص216.

(8) تاريخ دمشق، ج20/ص276.

(9) الفراهيدي، العين، ج3/ص370؛ الجوهري، الصحاح، ج6/ص2243.

(10) ابن منظور، لسان العرب، ج13/ص552؛ الهندي، فتح العين، ج1/ص21.

(11) الجرجاني، التعريفات، ص155.

واصطلاحاً هو "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية"⁽¹⁾، عن طريق "التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد"⁽²⁾، وعرفه ابن خلدون بأنه: "معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والجهر والندب والكراهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع، لمعرفة من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه"⁽³⁾.

ولأهمية هذا العلم، اهتم المسلمون به، ووضعوا جملة شروط في صاحبه، منها: أن يكون عالماً بأدلة الأحكام الشرعية بشكل متقن، وكيفية استنباطها من أدلتها، وأن يكون قادراً على المقارنة بين الآراء، فضلاً عن عدله وتجنبه للمعاصي وبعده عن أمور دنياه⁽⁴⁾، وشهدت مدينة طرابلس في عهد الدولة العمارية بروز عدد من الفقهاء، منهم:

أبو عبد الله محمد بن هبة الله بن جعفر الوراق الطرابلسي (ت484هـ)⁽⁵⁾، المشهور بالوراق نسبة إلى مهنة الوراق، وكان من أعلام طرابلس، فقيه ثقة مصنف، له تصانيف كثيرة، منها: (كتاب الزهد) و(كتاب الفرج) و(كتاب النيات)⁽⁶⁾. وأبو عبد الله الحسين بن هبة الله الفقيه الطرابلسي (ت5ق هـ)، وكان أحد فقهاء مدينة طرابلس، أخذ الفقه عن أبو الفتح الكراجكي (ت449هـ)⁽⁷⁾، وروى عنه كتابي (معدن الجوهر) و(روضة العابدين)⁽⁸⁾.

ومنهم كذلك أبو القاسم حمزة بن عبد الله بن الحسين بن أبي بكر بن عبد الله، الاطرابلسي (ت5ق هـ)، كان من فقهاء طرابلس، وله مجلس علم أخذ منه الكثير⁽⁹⁾، روى عن محمد بن محمد بن عمرو أبي نصر النيسابوري (ت370هـ)⁽¹⁰⁾ وأبو عبد السلمي المطرز (ت456هـ)⁽¹¹⁾، وروى عنه علي بن أبي زوران (ت446هـ)⁽¹²⁾ ومحمد بن أحمد

(1) المصدر نفسه، ص216.

(2) المناوي، مهمات التعاريف، ص563.

(3) المقدمة، ص445.

(4) متروك، الحياة العلمية في بلاد الشام، ص75.

(5) الألفندي، تعليقة أمل الآمل، ص311.

(6) منتجب الدين، الفهرست، ص100؛ الارديلي، جامع الرواة، ج2/ ص212؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج102/ ص265.

(7) محمد بن علي الطرابلسي المعروف بالكراجكي، نسبة إلى كراجك قرية على باب واسط، يكنى بأبي الفتح، ولقب بالخيمي ويحتمل أن يكون السبب في ذلك نسبة إلى مهنة صناعة الخيم، ولعلها لحقته نتيجة عمله بها أو عمل أحد آبائه فعرفوا بها. العاملي، أمل الآمل، ج2/ ص287.

(8) طبقات اعلام الشيعة، ج2/ ص69.

(9) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1/ ص217؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص152.

(10) لم اجد ترجمه له في كتب التراجم.

(11) عبد الله بن علي بن زوران، أبو عمر الكازروني، سكن بغداد وحدث بها. علقت عنه شيئاً يسيراً، وكان صدوقاً يذهب إلى الاعتزال. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج43/ ص231.

(12) لم اجد له ترجمه في المصادر المتوافرة بين أيدينا.

بن طالب أبي الحسن البغدادي الاخباري (ت370هـ)⁽¹⁾ وغيرهما⁽²⁾، وروى حديث النبي (ﷺ): "أَيُّمَا عَبْدٍ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي دِينِهِ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِيَزْدَادَ بِهَا إِثْمًا وَيَزْدَادَ بِهَا سَخَطًا"⁽³⁾.

وما تقدم يُظهر ان مدينة طرابلس أصبحت في عهد الدولة العمارية مركزاً لرواية الحديث والفقه، ولاسيما الفقه الشيعي، اذ برز فيها مشاهير المحدثين والفقهاء، وقصدها طلبة العلم من أرجاء المعمورة.

2- علوم اللغة العربية:

من جملة علوم اللغة العربية، علم اللغة، وهي: "أصوات يُعبر بها قوم عن أغراضهم"⁽⁴⁾، مأخوذة من لغوت، أي تكلمت، يقال هذه لغتهم التي يلغون بها، أي ينطقون بها⁽⁵⁾، وفي الاصطلاح هي علم يبحث عن مدلولات جواهر الكلمات المفردة وهيئاتها الجزئية، ويدرس دلالة الألفاظ على المعاني الموضوعات لها بالوضع الشخصي، بهدف الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني⁽⁶⁾، والنحو، الذي هو: إعراب الكلام العربي⁽⁷⁾، واصطلاحاً هو: "علم باحث عن أحوال المركبات الموضوعات وضعاً نوعياً لنوع من المعاني التركيبية النسبية من حيث دلالتها عليها.... غايته: الاحتراز عن الخطأ في تطبيق التراكيب العربية على المعاني الوضعية الأصلية"⁽⁸⁾.

وشهدت طرابلس في عهد الدولة العمارية بروز عدد من علماء اللغة والنحو، لعل أبرزهم: أبو عبد الله أحمد بن محمد الطليطي (ت512هـ)، أصله من الأندلس، وارتحل الى طرابلس واستقر فيها، وصار من مشاهير النحويين، لذلك أسند اليه دار العلم بطرابلس في عهد دولة بنو عمار، واشتهر بحلقته العلمية التي كانت تعج بطلبة اللغة والادب، ومنهم: ابن

(1) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج20/ ص471

(2) تاريخ دمشق، ج4/ ص444.

(3) المصدر نفسه، ج4/ ص444.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج15/ ص251- ص252؛ ابن جني، الخصائص، ج1/ ص34

(5) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج15/ ص251- ص252؛ المناوي، مهمات التعاريف، ص621- ص622.

(6) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2/ ص1556؛ القنوجي، أبجد العلوم، ج2/ ص469.

(7) ابن منظور، لسان العرب، ج15/ ص309- ص310؛ الرازي، مختار الصحاح، ص271.

(8) القنوجي، أبجد العلوم، ج2/ ص559- ص560؛ الجرجاني، التعريفات، ص308.

الخياط (ت517هـ)⁽¹⁾، تم أسره من قبل الصليبيين في سنة (502هـ) وتدخل أمراء شيزر من بني منقذ وأنقذوه من الأسر، تقديرًا لعلمه وفضله، فاستقر في شيزر، وانقطع لتدريس وتأديب الأمير أسامة بن منقذ لمدة قاربت عشر سنوات⁽²⁾.

ومحمد بن زيد بن علي الفارسي (ت467هـ)، وكان من مشاهير علماء النحو في مدينة طرابلس، تتلمذ عليه عدداً من مشاهير النحويين، منهم: المفيد عبد الرحمن بن احمد النيسابوري (ت485هـ)⁽³⁾ وغيره⁽⁴⁾، ذكره بن بابويه بقوله: "الشيخ الجليل محمد بن زيد بن علي الفارسي: فقيه، له كتاب الوصايا، وكتاب الغيبة"⁽⁵⁾، توفي في طرابلس في شهر ذي القعدة من سنة (467هـ) تاركاً وراءه سيرة اجتماعية وعلمية محمودة⁽⁶⁾.

ومن علوم اللغة العربية الأخرى، الأدب، وهو التهذيب والخلق الكريم، لحديث النبي (ﷺ): "أدبني ربي فأحسن تأديبي"⁽⁷⁾، ويعني كذلك المعارف غير الدينية التي ترقى بالإنسان اجتماعياً وثقافياً⁽⁸⁾، والمقصود به في موضع بحثنا هو الإجابة بفني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحي بلاغتهم، ويشتمل على الشعر والنثر ومسائل في اللغة والنحو ماثورة في أثناء ذلك⁽⁹⁾، وقد برز عدد من كبار الأدباء في طرابلس في عهد دولة بنو عمار.

ففي مجال الشعر الذي هو "كلام مقفى موزون قصداً"⁽¹⁰⁾، "مؤلف من مخيلات الغرض منه انفعال النفس بالترغيب والتنفير"⁽¹¹⁾، برز أبو الحسين أحمد بن الحسين بن حيدرة الطرابلسي (ت497هـ)، الذي كان شاعراً مجيداً، ومترفاً ثرياً، هجا بشعره فخر الملك

-
- (1) الفتوجي، أبجد العلوم، ج2/ ص559- ص560؛ الجرجاني، التعريفات، ص308. وسيمر الحديث عن ابن خياط في هذا المبحث فقرة الأدب.
 - (2) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج12/ ص110.
 - (3) لم اجد له ترجمة في المصادر المتوافرة بين ايدينا.
 - (4) تدمري، الحياة الثقافية، ص321.
 - (5) طبقات اعلام الشيعة، ج2/ ص166.
 - (6) ينظر: ابن العديم، بغية الطلب، ج7/ ص124- ص125.
 - (7) المتقي الهندي، كنز العمال، ج11/ ص183.
 - (8) وهبة، معجم مصطلحات الادب، ص5.
 - (9) ابن خلدون، المقدمة، ص553؛ الفتوجي، أبجد العلوم، ج1/ ص348.
 - (10) الجرجاني، التعريفات، ص167؛ المناوي، مهمات التعاريف، ص430.
 - (11) الجرجاني، التعريفات، ص167.

بن عمار وأخاه جلال الملك، فأمر الأخير بضربه، فضُرب حتى مات ودفن بطرابلس⁽¹⁾، تاركاً وراءه ديوان شعر فيه فنون⁽²⁾، ومن جملة أشعاره في بني عمار:

أيا بني عمارٍ في طرابلس قد علاكمُ في الوغى والصفو، وفي كل حالٍ قد سماكمُ
سيوفكم كالسهم، والدرع والرمح جهادٌ وقلوبكم أسودٌ في الحرب، كأنها نارُ
ومجدكم ماثلاً في كتب الشهداء وأشعارنا لكم صفوفٌ ترويه العيون⁽³⁾

ونلاحظ أنَّ الشاعر أبو الحسين بدأ ببناء واضح ومباشر "يا بني عمار"، مما عكس الروابط العميقة التي كانت تجمعها مع الحاكم، وفيه تأكيد على اتساع نطاق نفوذ بني عمار وحضورهم المميز في ساحات القتال وفترات السلم، وشبه سيوف بني عمار بالسهم لتعزيز مكانة قوتهم العسكرية، ليكون شعره بذلك أداة لتوثيق منجزات بنو عمار، "وأشعارنا لكم صفوفٌ ترويه العيون"، مقدماً نفسه كشاهد ومؤرخ لمجدهم وإنجازاتهم.

وبرز كذلك جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن السراج (ت500هـ)، الذي كان عالماً بالقراءات القرآنية، اذ عرف كذلك بكونه أديب وشاعر مرموق⁽⁴⁾، ونظم العديد من المؤلفات بأسلوب شعري، منها (المبتدأ)، و(مناسك الحج)، و(كتاب التنبيه)، و(مصارع العشاق)، ومن شعره أبياتاً في مدح أصحاب الحديث⁽⁵⁾:

قل للذين بجهلهم أضحوا يعيبون المحابر
والحاملين لها من ال أيدي بمجتمع الأساور
لولا المحابر والمقا لم والصحائف والدفاتر
والحافظون شريعة ال مبعوث من خير العشائر
كل يقول بجهله والله للمظلوم ناصر
سميتهم أهل الحديث أولى النهى وأولى البصائر

(1) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج71/ ص85.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8/ ص10.

(3) المصدر نفسه، ج8/ ص11.

(4) تدمري، الحياة الثقافية، ص206.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج17/ ص103.

هم حشو جنات النعيم على الأسرة والمنابر

رفقاء أحمد كلهم عن حوضه ريان صادر

وأبو نصر أحمد بن حمزة بن عبّيد الله وقيل: عبّيد الله، الملقّب بمُهنّد الدّولة، وشهرته ابن الخيشيّ الحلبّي (ت 5هـ)، وكان من الشخصيات الأدبية البارزة التي شكلت حلقة وصل ثقافية بين مدن طرابلس الشام وحلب⁽¹⁾، أصله من طرابلس وكان ينتمي إلى عائلة معروفة بالعلم والأدب، ثم انتقل إلى حلب واستقر فيها فنسب إليها، واشتهر فيها بأنه أديب فاضل متمكن من الكتابة وصاحب خط جميل⁽²⁾، وصفه ابن العديم بقوله: "شاعرٌ مُجيدٌ، جَزَلُ الألفاظ حسن المعاني"⁽³⁾، روى عنه من شعره أبو عبّيد الله بن الخياط (ت 517هـ) وأبو الفوارس حمّدان بن عبد الرحيم التميمي (ت 542هـ) وغيره⁽⁴⁾، ولم يوثق شعره بديوان مستقل، إنما وصل بعض منه عبر مقطوعات متفرقة كشفت عن ميله للأسلوب الحكمي والأدب الأخلاقي⁽⁵⁾، ومنه⁽⁶⁾:

عقبان روع والسروج وكورها وليوث حرب والقنا آجام

وبدور تمّ والترانك في الوغى هالاتها والسابري غمام

جادوا بممنوع التلاد وجودوا ضربا تجدّ به الطلى والهام

ونلاحظ أنّه استعمل الألفاظ المترakمة لصنع مشهداً حربيّاً مشحوناً، امتزجت فيه عناصر الطبيعة بميدان المعركة، فشبه الفرسان بالعقبان لعلو همتهم، وشبههم بالليوث لشجاعتهم، وبالرماح الاجام لكثرة تشابكهم والتحامهم، مما أضفى على شعره طابعاً ملحمياً يلفت الانتباه، كما استخدم الجمال والقوة، وهذه الثنائية من سمات المديح السياسي، حيث تُبرز الحاكم وجنده في صورة الكمال البشري، سواء من جانب الجمال أو القوة، كما حوّل مفهوم الكرم إلى ميدان المعركة، حيث يُصبح القتال صورة من صور العطاء، فأضفى على الحرب بُعداً أخلاقياً وقبولاً مشروعاً، بهدف تصوير الحاكم كقائد مثالي يجمع بين صفتي القوة والعدل

(1) تدمري، الحياة الثقافية، ص 83.

(2) ابن العديم، بغية الطلب، ج 2/ ص 149؛ وينظر: تدمري، الحياة الثقافية، ص 84-58

(3) بغية الطلب، ج 2/ ص 149.

(4) المصدر نفسه، ج 2/ ص 149.

(5) تدمري، الحياة الثقافية، ص 86.

(6) ابن العديم، بغية الطلب، ج 2/ ص 150.

وتعزيز روح الجنود وتشجيعهم على القتال بحماس واستخدام الشعر كوسيلة اعلامية لتضخيم القوة العسكرية لترهيب الخصوم.
ومن أشعاره أيضاً⁽¹⁾:

إني وحقك في طرابلس كما تهوى العدى تحت المقيم المقعد
أما المحرم قد حرمت نجاز ما وعدوا وفي صفر فقد صفرت يدي
قالت لي العلياء لما أن سقو ني كأس مطلهم سكرت فربد

وفيه جانب مغاير من شعره، إذ انتقل فيها من شاعرٍ حماسي يمجّد الفضائل إلى شاعرٍ متألم يعبر عن خيبة الأمل، وجسد هذا التحول جانباً من واقع الحياة الأدبية في طرابلس خلال عصر بني عمار، حينما كان الشعر يُوظّف بوصفه أداة لغرض التفاخر بإنجازات السلطة من جهة، وللاحتجاج والمطالبة بالدعم والمساندة من جهة أخرى.

وأحمد بن محمد بن علي بن صدقة المشهور بابن الخياط (ت517هـ)، الذي ينتمي إلى قبيلة تغلب من ربيعة العدنانية، ولد بدمشق في سنة (450هـ)⁽²⁾، وعاش تجربة مليئة بالتحديات والتحوّلات شكلت مسيرته الأدبية والإنسانية، إذ غادر دمشق إلى حمص في مقتبل شبابه سنة (463هـ) هرباً من الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة، والتقى بالأمير أبي الفوارس محمد بن مانك (ت467هـ)⁽³⁾ فصار كاتب له مدة⁽⁴⁾، انتقل بعدها إلى حلب، حيث جمعه القدر بالشاعر المعروف ابن حيوس (ت473هـ)⁽⁵⁾، فوصف له همومه في الأبيات الاتية⁽⁶⁾:

لم يبق عندي ما يباع بدرهم وكفاك مني منظر عن مخبر
إلا صباة ماء وجه صنتها عن أن تباع. وأين أين المشتري؟

- (1) ابن العديم، بغية الطلب، ج2/ ص149.
- (2) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، ج2/ ص68.
- (3) لم نعثر له على ترجمة في المصادر المتوافرة بين أيدينا.
- (4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12/ ص110.
- (5) أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس بن محمد المرتضى بن محمد بن الهيثم بن عدي بن عثمان الغنوي الملقب مصطفى الدولة، الشاعر المشهور، كان يدعى بالأمير؛ لأن أباه كان من أمراء العرب، وهو أحد الشعراء الشاميين المحسنين ومن فحولهم المجيدين. ابن خلكان وفيات الاعيان، ج4/ ص438.
- (6) ديوان ابن الخياط، ص7.

فرد عليه ابن حيوس قائلاً: "لو قلت: وأنت نعم المشتري لكنت أحسن"، ثم قال: "لقد كرمت عندي ونعيت الى نفسي فأنا الشام لا يخلو من شعار مجيد فأنت وارثي"(1).

ونصحه بالتوجه إلى بني عمار في طرابلس لأنهم يقدررون أهل العلم والأدباء، وقدم له هدية من الثياب والدنانير، فوصل إلى طرابلس في سنة (476هـ)، وانضم إلى بلاط القاضي جلال الملك وامتدحه في أشعاره، كما مدح شخصيات أخرى من بني عمار مثل فخر الملك، وعاش في بحبوحة علمية واقتصادية، وحضر مجالس العالم الأديب أبو عبد الله الطليطلي، وأصبح من رواد دار العلم في طرابلس، وصُرف له راتب مجزي(2)، من جملة أشعاره التي مدح بها القاضي جلال الملك(3)

يا سَيِّدَ الْحُكَّامِ هَلْ مِنْ وَقْفَةٍ يَهْمِي عَلَيَّ بِهَا سَحَابٌ نَدَاكَ
أَمْ هَلْ يَعُودُ لِي الزَّمَانُ بِعَظْفَةٍ يَثْنِي إِلَيَّ بِهَا عَنَانٌ رِضَاكَ
هَبْ ذَا الرَّمِيِّ مِنَ الْحَوَادِثِ جُنَّةً وَلِذَا الْأَسِيرِ مِنَ الْخُطُوبِ فِكَاكَ
غَضَبًا لِمَجْدِكَ أَنْ تُخَوِّلَ نِعْمَةً فَتَكُونَ فِيهَا مَنَّةً لِسِوَاكَ

وطلب هنا العون من جلال الملك، معتمداً على مفردات جمعت التواضع بالرجاء، اذ استخدم نداءً تعظيماً في عبارة "يا سيد الحكام"، التي هدف فيها إلى إبراز مكانة جلال الملك والتأكيد على علو شأنه، وحمل هذا التمهيد لغة احترام مقصودة أسهمت في تعزيز مطلبه وتوجيه انتباه المخاطب إليه بجدية، ثم دعم مطلبه باستخدام استعارة تصويرية جميلة، اذ شبه كرم جلال الملك بالسحاب الذي يطر الخير بدليل عبارة "يهمي عليّ بها سحاب نذاك"، مجسداً صورة غزارة العطاء بلمسة فنية زادت من جاذبية النص وخفتت من مباشرته، وأن أسلوب الاستفهام الذي تبناه بعبارة "هل من وقفة" ليس للإجابة، بل عبر عن تطلع وأمل حاكي مشاعره المنكسرة، وهو أسلوب بلاغي يستعمل للتلطف في الطلب، وتعمق في استعطافه بالحديث عن الزمن وتقلباته، وصور رضا المخاطب بأنه أشبه بعنان يمكن تعديله وتوجيهه كما ورد في تعبير "يثني إليّ بها عنان رضاك"، وعكست هذه الصورة البلاغية قدرة الحاكم على تغيير الوضع القائم ومنح الفرص له، مما أضفى قوة رمزية على دور المخاطب، وكان البيت الثالث أكثر عاطفية وتأثيراً، اذ صور معاناته عبر تشبيه نفسه

(1) الذهبي، سير اعلام، ج19/ ص479.

(2) ينظر: تدمري، الحياة الثقافية، ص100- ص101.

(3) القيسراني، ديوان ابن الخياط، ص22- ص23.

بـ"الرمي" الذي لا يكف عن تحمل المصائب، أو ذلك الأسير المثقل بالأغلال، مبرزاً حجم ألمه وعجزه أمام المحن، ووصل في البيت الرابع إلى قمة الحجاج بأسلوب منطقي وذكي، ربط بين مجد المخاطب وأفعاله العظيمة، موحياً بأن الكرم يجب أن يكون حصرياً منه من دون مشاركة أحد، كما في قوله: "غضباً لمجدك أن تخول نعمة فتكون فيها منة لسواك"، وعزز هذا التصوير شعور المخاطب بالفخر المرتبط بعطاء الكرام والقيادة العادلة بأسلوبه الدقيق المراعي للأعراف الاجتماعية، وأظهر الشاعر براعته في التأثير على نفسية المخاطب مع الحفاظ على الاحترام والتقدير.

وأنشد أيضاً بمدحه(1):

أرى البَيْضَ الحِدَادَ سَتَقْتَضِينِي	نُزوعاً عَنْ هَوَى البَيْضِ الخِرَادَ
وَلَا أَبْقَى جَلالَ المُلْكِ يَوْماً	لِغَيْرِ هَوَاهُ حُكْماً فِي فُؤَادِي
أَحِبُّ مَكَارِمَ الأخْلَاقِ مِنْهُ	وَأَعشَقُ دَوْلَةَ المُلِكِ الجَوَادِ
رَجَوْتُ فَمَا تَجَاوَزَهُ رَجَائِي	وَكَانَ المَاءِ غَايَةَ كُلِّ صَادِ
إِذَا مَا رُوِضَتْ أَرْضِي وَسَاحَتِ	فَمَا مَعْنَى انْتِجَاعِي وَارْتِيَادِي
كَفَى بِنْدَى جَلالِ المُلِكِ غَيْثاً	إِذَا نَزَحَتْ قَرَارَةٌ كُلِّ وَادِ
أَمَلْنَا أَيْنُقَ الأمَالِ مِنْهُ	إِلَى كَنْفِ خَصِيبِ المُسْتَرَادِ

نلاحظ انه أشار في البيتين الأول والثاني إلى الوفاء والاستقامة، مجدداً ولاءه لبني عمار من دون أن تحركه الأهواء أو تغريه الأطماع، ومؤكداً مكانة بنو عمار الاجتماعية والسياسية، وعظمة سلطة جلال الملك بهدف تعزيز هيبة الدولة وملكها، وبين في البيتين الثالث والرابع صفات بني عمار الايجابية من مكارم الاخلاق والجود والشجاعة والكرم، وعبر عن مدى رضاه عن الحاكم، وسلط الضوء في بقية الأبيات على السخاء والكرم بوصفهما من الركائز الأساسية التي تعزز شرعية ودعم الحاكم، مشبه فضله بالمطر الغزير الذي يسقي كل وادٍ وينشر الخير في كل مكان.

مما تقدم يظهر أنّ الشعراء كانوا يسعون من شعرهم الى مدح بني عمار بهدف الحصول على العطاء، اذ اعتمدوا بشكل كبير في تلبية احتياجاته المعيشية على دعم الأمراء وهباتهم، فانعكست هذه الحاجة بوضوح على قصائدهم التي امتلأت بأساليب التوسل

(1) القيسراني، ديوان ابن الخياط، ص24- ص25.

والاستعطاف، وبالمقابل كان حكام بني عمار يقدرّون الشعراء ويجزلون لهم العطاء، لما يتركه شعركم من أثر في تقوية سلطاتهم وزيادة محبة الناس لهم.

وتعد **الخطابة** من علوم اللغة العربية التي اشتهر بها اهل طرابلس، وهي لغة كلام الخطيب، ومنها خطب على المنبر خطبة بضم الخاء، وهي كلام منشور مسجع⁽¹⁾، واصطلاحاً الخطابة هي: "الأقوال المقتعة النافعة في استمالة الجمهور إلى رأي أو صدهم عنه"⁽²⁾ أو "قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه والغرض منه ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم"⁽³⁾، والخطابة من فنون الأدب، وينبغي أن يكون الخطيب مثقفاً عالماً له القابلية على التكلم وحسن الأداء والإلقاء ليشد الناس إليه⁽⁴⁾.

وقد برز في عهد دولة بني عمار عدداً من الخطباء، منهم: **الحسين بن بشر بن علي بن بشر الطرابلسي** (ت467هـ)، وكان من مشاهير الأدباء، اشتهر بخطاباته المؤثرة، وله مناظرة مشهورة مع الخطيب البغدادي (ت463هـ)، وقد "حكم له على الخطيب بالتقدم في العلم"⁽⁵⁾، وأبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد الحميري القاضي الكوفي (ت467هـ)، وكان قاضياً في دمشق وخطيباً فيها، ثم ارتحل الى طرابلس في أيام بني عمار فأقام بها وتولى الخطابة فيها وبقي على ذلك لحين وفاته فيها⁽⁶⁾.

وما تقدم يظهر بوضوح أنّ علوم اللغة العربية من لغة ونحو وشعر وخطابة قد ازدهرت في طرابلس ابان حكم بنو عمار لها، وبرز فيها الكثير من العلماء في هذا المجال، ونظموا الشعر والخطب لتحقيق اغراض متنوعة، بعضها معرفي واخرى خصت الأحوال العامة للمجتمع والدولة.

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج1/ ص25.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص38.

(3) الجرجاني، التعاريف، ص134.

(4) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص316.

(5) ابن حجر، لسان الميزان، ج2/ ص275.

(6) تدمري، الحياة الثقافية، ص319.

3- علم التاريخ

التاريخ هو: "فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا"⁽¹⁾. وموضوعه الإنسان والزمان وما يدور حولهما⁽²⁾، وله أهمية كبيرة عند الشعوب، لكونه "من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوقة والاغفال، وتتنافس فيه الملوك والإقيال وتتساوى في فهمه العلماء والجهال"⁽³⁾.

ولم يكن في طرابلس بالقرن الخامس مدرسة تاريخية مستقلة، إنما شهدت ظهور عدد من الأعلام الذين صنفوا في مجال التاريخ، فأسهموا بالنتيجة في حفظ المادة التاريخية ونقلها، ومنهم: أمين الدولة أبو طالب الحسن بن عمار، ومن مصنفاته كتاب (مصباح ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح) المشهور بـ(جرباب الدولة)⁽⁴⁾، وهو مؤلف اقتصادي تضمن شواهد من التاريخ و"فنون الهزل والمضاحك"⁽⁵⁾، ومعلومات مهمة عن غلات السواد وكسكر وحلوان والأهواز وفارس وغيرها من المدن والأمصار⁽⁶⁾.

وأحمد بن الحسين بن أحمد أبو نصر (ت463هـ)⁽⁷⁾، أصله من شيراز، وقام برحلة إلى طرابلس، فاستقر بها مدة استمتع فيها إلى علماءها، وصنف فيها كتاب (المعجم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)⁽⁸⁾، وأبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن أبي الحديد (ت469هـ)، أصله من دمشق، وكان من الشخصيات العلمية البارزة، ذكره ابن عساكر بقوله: "كان من أهل الرياسة بدمشق"⁽⁹⁾، ارتحل إلى طرابلس والتقى بأهل العلم فيها، وصنف العديد من الكتب، أهمها كتاب (الفوائد) منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الظاهرية في مدينة دمشق⁽¹⁰⁾.

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص9.

(2) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص385؛ السيوطي، الشماريخ، ص11.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص3- ص4؛ وينظر: السيوطي، الشماريخ، ص26.

(4) الاصفهاني، دولة ال سلجوق، ص171- ص172.

(5) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج4/ ص198- ص199.

(6) المقدمة، ص231- ص232.

(7) ابن خلدون، العبر، ج3/ ص269.

(8) ينظر: تدمري، موسوعة علماء، ج1/ ص288- ص289.

(9) تاريخ دمشق، ج5/ ص238.

(10) الالباني، فهرس مخطوطات، ص24.

وما تقدم يظهر أنَّ التاريخ لم ينل نصيبه من الاهمية في طرابلس ابان حكم بني عمار لها مثل العلوم الأخرى، فبرز في مجاله علماء، لكنهم بعدد قليل ونتاج علمي قليل. والسبب يعود الى قصر فترة حكم بني عمار التي مدتها اربعين عاماً، وانشغالهم بالصراعات التي شهدتها طرابلس في اواخر عهدهم خاصة مع بدء الحملات الصليبية والحصار الطويل على المدينة مما صرف العلماء عن التأليف التاريخي، واهتمام بني عمار بالعلوم الدينية والعقلية كالحديث والفقه والتفسير واللغة فكان التأليف في هذه العلوم اكثر ازدهاراً من التأليف التاريخي.

4- العلوم العقلية:

كان علماء طرابلس موسوعيين في معارفهم، فبرزوا في مجال علوم القرآن الكريم واللغة العربية الى جانب العلوم العقلية.

ففي مجال الحساب⁽¹⁾ والفرائض⁽²⁾ نبغ منها علماء متخصصون طبقوا ما توصلوا إليه في دراستهم في هذين المجالين على المعاملات التجارية⁽³⁾، لكن ما يؤسف له ان اسماء ومعلومات هؤلاء لم تصل الينا، ومن أسباب ذلك قصور المصنفين القدامى على ذكر أسماء هذين العلمين، وتركيزهم على الفقهاء والمحدثين، مما يؤكد ذلك وجود دار العلم وما اشتمل عليه من مؤلفات في الحساب والهندسة والفلك يعكس بوضوح نشاطاً علمياً ملموساً في هذه المجالات، ويشير إلى وجود طبقة من العلماء والنساخ المتخصصين في العلوم الرياضية.

(1) الحساب هو: "صناعة علمية في حساب الأعداد بالضم والتفريق، فالضم يكون إلى الأعداد بالأفراد وهو الجمع، وبالتضعيف تضاعف عدد بأحد عدد آخر وهذا هو الضرب، والتفريق أيضاً يكون في الأعداد، أما بالأفراد مثل إزالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح". ابن خلدون، المقدمة، ص483؛ القنوجي، أبجد العلوم، ج2/ ص238-ص244.

(2) الفرائض هي "علم بقواعد وجزئيات تعرف بها كيفية صرف التركة إلى الوارث بعد معرفته وموضوعه التركة والوارث، لأن الغرض يبحث عن التركة وعن مستحقها بطريق الإرث من حيث إنها تعرف آلية إرثاً بقواعد معينة شرعية ومن جهة قدر ما يحرزها ويتبعها متعلقات التركة، ووجه الحاجة إليه الوصول إلى إيصال كل وارث قدر استحقاقه". ابن منظور، لسان العرب، ج7/ ص202؛ الرازي، مختار الصحاح، ص209.

(3) زكريا، فضل الحضارة الإسلامية، ص473.

وفي الطب⁽¹⁾ الذي كان وما زال مهنة تتطلب الكثير من المعرفة والتركيز؛ لأنها ترتبط بحياة الإنسان، برز عدد من الأطباء لكن اسماؤهم لم تصل الينا، ودليل ذلك وجود دار العلم وما تضمنه من مؤلفات طبية⁽²⁾.

ومما تقدم يظهر ان الحركة العلمية بمحاورها المتنوعة، من علوم دينية وعلوم اجتماعية وطبية وغيرها كانت قد انتعشت في طرابلس في عهد الدولة العمارية، فبرز منها علماء القران الكريم ومشاهير المحدثون والفقهاء والمؤرخون والأطباء وغيرهم، وصارت طرابلس قبلة لطلبة العلم.

(1) الطب عرفه ابن خلدون بأنه: "صناعة تنتظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها". المقدمة، ص493؛ ابن منظور، لسان العرب، ج1/ ص553- ص554؛ الرازي، مختار الصحاح، ص163.

(2) علي، الطب عند الحسبة في العرب، بحث منشور ضمن كتاب دراسات في الحسبة، ص24.

المبحث الثاني

الأحوال الاجتماعية والدينية للدولة العمارية في طرابلس (462-502هـ)

أولاً- طبقات المجتمع الطرابلسي:

كان مجتمع طرابلس في عصر الدولة العمارية مُقسماً على طبقات، في مقدمتها (طبقة الحكام وأهل السلطة)، واشتملت على القادة من الولاة والأمراء وأرباب السلاح الذين حملوا مسؤولية الدفاع عن البلاد⁽¹⁾، وتنعم أفرادها بمكانة عالية وحياة مترقّة، لحصولهم على امتيازات عديدة شملت امتلاك أراض زراعية ومصانع ونحوها، وانمازوا بحرصهم على توجيه أبنائهم للعمل في الوظائف الكتابية والإدارية ضمن نطاق حُكمهم⁽²⁾.

ويأتي بعدها طبقة (رجال الدين والعلماء والقضاة)، وهي تشمل القضاة والفقهاء والمحدثين والأدباء والفلكيين وأصحاب العلوم الأخرى⁽³⁾، وحظي أفرادها بمكانة رفيعة واحترام كبير في مجتمع طرابلس، إذ كان لها دوراً بارزاً في توجيه المجتمع نحو الالتزام بالقيم الفاضلة والتخلص من العادات السلبية وغير المقبولة، عن طريق تقديمهم الدروس العلمية في مجال الحديث والفقه وغيرهما من العلوم فضلاً عن إلقاء الخطب في المساجد، وكانت تُعقد حلقات علمية يتجمع فيها الطلبة حول العالم أو الفقيه، الذي غالباً ما كان يجلس مستنداً إلى أحد أعمدة المسجد⁽⁴⁾، إذ كان المسجد من أهم مراكز التعليم والثقافة في المجتمع الاسلامي⁽⁵⁾، وقد أشار المقدسي (ت380هـ) الى ذلك بقوله: "جامعهم مُغتص بحلق الفقهاء وأئمة القراء وأهل الادب والحكمة، ودخلتها مع جماعة فرما جلسنا نتحدث، فنسمع النداء دوروا وجوهكم الى المجلس"⁽⁶⁾.

ويأتي في المرتبة الثالثة (طبقة التجار)، ويكون أفرادها أغنياء وأقوياء ويحظون باحترام اجتماعي كبير، وغالباً ما كانوا يقدمون الدعم للدولة في الأزمات الاقتصادية والأوقات العصيبة، وقد أدى ذلك الى زيادة تقديرهم واحترامهم، مما مكنهم من الاستمتاع

(1) ينظر: المقرئزي، اغائة الامة، ص72- ص73 .

(2) تدمري، لبنان من الفتح، ص65 .

(3) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ج1/ ص36.

(4) تدمري، الحياة الثقافية، ص

(5) أمين، ضحى الاسلام، ج2/ ص52.

(6) احسن التقاسيم، ص205.

بمستوى اجتماعي لائق، وقد تساوت هذه الطبقة مع طبقة الحكام في الغنى والرفاهية، اذ امتلك أفرادها المصانع ومعاصر النباتات والزرور التي كانت تحقق لهم أرباحاً كبيرة، لكنهم لم يكونوا بشدة وبأس طبقة الحكام، اذ تحولت هذه الرفاهية إلى نقطة ضعف في أوقات الحروب، لأنهم اعتادوا على العيش في هدوء وسلام ورفاهية، فوجدوا صعوبة بالغة في التكيف مع ظروف الحرب والدفاع عن البلاد⁽¹⁾.

ثم يأتي بعدها (طبقة العامة)، وتشمل مجموعة واسعة من الفئات التي تعتمد في معيشتها على العمل اليدوي، مثل: الفلاحين والكسبة الذين يعتمدون على قوت يومهم لتأمين معيشتهم، وموظفي الخدمات كموظفي الدواوين، ومدرسي المدارس، والسماسرة، والتجار الصغار، وبائعي التجزئة والمفرق، وأصحاب المهن الحرفية، وأصحاب المهن الفنية مثل المُنغنين والموسيقيين والخطاطين والمصورين الذين يعملون في مجالات النسخ والتذهيب والتجليد، والبناءين والحجارين، وأصحاب الحرف الصغيرة مثل الأساكفة والخياطين، فضلاً عن حراس البساتين والطواحين والفلاحين، وبهذا يكون العامة: "السوقة من الناس من لم يكن ذا سلطان"⁽²⁾، وعادة ما يعانون من البطالة ويكونوا غير مباشرين بالمشاركة في الحياة الاقتصادية، ومنعزلين عن النشاطات الاجتماعية⁽³⁾، وكان طلبة العلم جزءاً مهماً من هذه الطبقة، اذ كانوا يتوجهون إلى المساجد، وكان في مسجد طرابلس مكتبة مصغرة توفر احتياجاتهم الأساسية من الكتب اللازمة للدراسة والتعلم⁽⁴⁾.

ومما تقدم يظهر أنَّ طبقات المجتمع الطرابلسي في عهد بني عمار شهدت تنوعاً اجتماعياً ملحوظاً، مدفوعاً بازدهار التجارة والصناعة، مما أدى إلى بروز طبقات متنوعة، مثل: التجار والأثرياء وأصحاب الحرف والعمال، كما لعبت الحركة العلمية، بفضل إنشاء دار العلم، دوراً محورياً في ظهور طبقة العلماء والفقهاء، كما أسهم التنظيم الإداري للدولة في تشكيل طبقة الحكام والموظفين، كما أنَّ موقع طرابلس التجاري المميز قد أسهم في جذب عدد كبير من السكان من المهن والخلفيات المتنوعة، مما زاد من غنى وتنوع النسيج الاجتماعي والاقتصادي داخل المدينة.

(1) وليم السوري، الحروب الصليبية، ج3/ ص30.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج7/ ص306.

(3) الاصفهاني، الفتح القسي، ص57.

(4) ينظر: كرد علي، خطط الشام، ج6/ ص151- ص152.

ثانياً- عناصر المجتمع الطرابلسي:

تكون مجتمع طرابلس في عهد الدولة العمارية من جملة عناصر، في مقدمتهم (المسلمون)، الذين شكلوا الغالبية العظمى، وكان معظمهم من المذهب الشيعي، وهو ما صرح به الرحالة ناصر خسرو (ت453هـ) بقوله: "سكان طرابلس كلهم شيعة"⁽¹⁾.

ويأتي بعدهم (النصارى)⁽²⁾، واشتملت طبقتهم على الأرمن⁽³⁾ والموارنة⁽⁴⁾، والبيزنطيين، والروم، وانتشر وجودهم في العديد من مدن طرابلس، وشكلوا أغلبية في مدينة الكرك⁽⁵⁾، وكان لهم وجود بارز، اذ حضوا بحرية ممارسة حياتهم وأنشطتهم اليومية داخل المدينة مقابل دفع الجزية⁽⁶⁾، ولهم كنائس يمارسون فيها عباداتهم وإدارة شؤونهم الدينية⁽⁷⁾.

ثم (اليهود)⁽⁸⁾، وتركز وجودهم في أحياء خاصة داخل مدينة طرابلس، وكان لهم أثر في الحياة العامة ولاسيما على الحياة الاقتصادية، اذ انخرط العديد منهم في مجال التجارة وامتلكوا سفناً خاصة بهم، واشتهر بعضهم بحرفة الصباغة ولاسيما صباغة المنسوجات، التي كانت تحقق لهم أرباحاً كبيرة جعلتهم من أبرز أصحاب رؤوس الأموال، وهو أمر أدى الى استقرارهم وتزايد أعدادهم، وساعد على ذلك حالة التآلف بين المسلمين واليهود⁽⁹⁾.

- (1) سفرنامه، ص48.
- (2) النصارى جمع ومفردها نصراني، وهم متبعو دين المسيح. عمر، المعجم العربي الاساسي، ص1199.
- (3) الارمن شعب هندي اوروبي من شعوب اسيا الصغرى تعرف بلادهم بآرمينيا، وقد هاجرت فئات منهم الى بلدان اخرى كالعراق وسوريا ولبنان، عمر، المعجم العربي الاساسي، ص84.
- (4) الموارنة طائفة كاثوليكية شرقية نشأت في وادي العاصي حول القديس مارون وتلاميذه في أوائل القرن الخامس للميلاد، كانوا متحدّين دائماً بكرسي روما، نزحوا الى لبنان واستوطنوا فيها منذ مطلع القرن الثامن للميلاد، فأصبحت لبنان وطنهم ومركز قيادتهم الروحية والزمنية. توتل، المنجد في الاعلام، ص552.
- (5) الكرك قرية في اصل جبل لبنان. ابن عبد الحق، مرصد الاطلاع، ج3/ ص1159.
- (6) الجزية ضريبة مالية سنوية كانت تفرضها الدولة الإسلامية على أهل الذمة (غير المسلمين المقيمين في ديار الإسلام)، مقابل حمايتهم، تأمينهم، وإعفائهم من الخدمة العسكرية، كانت تُمثل عقداً للتعايش السلمي، تُتيح لهم ممارسة شعائرهم الدينية، وقد فُرضت رسمياً بعد غزوة تبوك (عام 9هـ)..ابو عبيدة، الاموال، ص209.
- (7) مطارنة جمع ومفردها مطران، وهو رئيس الكهنة عند المسيحيين، وهو دون البطريرك وفوق الاسقف. عمر، المعجم العربي الاساسي، ص1141.
- (8) اليهود: هم الذين يزعمون انهم اتباع موسى عليه السلام، وقد وردت تسميتهم في القرآن الكريم بقوم موسى وبني اسرائيل نسبة الى يعقوب عليه السلام وكذلك اهل الكتاب. الخلف، دراسات في الاديان اليهودية، ص45-46.
- (9) التطيلي، الرحلة، ص17؛ متز، الحضارة الاسلامية، ج1/ ص93.

أما بخصوص العناصر العرقية في المجتمع الطرابلسي، فقد سكنها عناصر عرقية متنوعة، إذ **"كانت طرابلس مأهولة بالعرب والعجم والصقالبة"**⁽¹⁾، والجميع يعيشون في أجواء تسامح⁽²⁾.

وشكل العرب النسبة الأعلى من سكانها، ويعود تاريخ وجودهم فيها إلى فترة الفتح الإسلامي، واستمر عبر مختلف الحقب الزمنية، وهو ما أشار إليه ياقوت الحموي بقوله: **"طرابلس: مدينة مشهورة من سواحل الشام، وهي قديمة عامرة، كثيرة الخيرات، وبها جماعة من أهل العلم"**⁽³⁾، بمعنى أنّ المدينة كانت مركزاً حضرياً مستقراً، ما يفترض وجود قاعدة سكانية عربية متجذرة، ولا سيما أنّ العربية كانت لغة العلم والإدارة، وكانوا ينقسمون على قسمين، **العرب المحليون**، ويشكلون الأغلبية السكانية في المدينة، وينتمون إلى القبائل الشامية التي استوطنت المنطقة منذ زمن الفتح الإسلامي، ولعبوا أدواراً بارزة على الصعيدين السياسي والعسكري، إذ تولى بعضهم مناصب القضاء والإمارة في ظل حكم بني عمار⁽⁴⁾.

والعرب الوافدون، وهم الوافدون إلى طرابلس الشام خلال فترة حكم بني عمار، بحثاً عن فرص التجارة أو للعمل في وظائف الدولة، وقد أسهم تواجدهم في إثراء التنوع اللغوي والثقافي عن طريق اختلاف اللهجات والعادات الاجتماعية، وهو ما أكدّه ياقوت الحموي بقوله: **"كان يقصدها أهل العلم من الآفاق، ويقيمون بها للنظر في كتبها"**⁽⁵⁾، كما ساهمت هذه المجموعات مجتمعة في ترسيخ الهوية العربية للمدينة وتعزيز طابعها الثقافي والحضاري⁽⁶⁾، ومن مشاهير العلماء العرب الوافدين لطرابلس من المناطق الشامية، محمد بن علي الصوري (ت463هـ)⁽⁷⁾، وإبراهيم بن محمد من حيفا بفلسطين (ت بعد476هـ)⁽⁸⁾ وابن الخياط (ت517هـ) وغيرهم⁽⁹⁾، ومن العراق، جعفر بن أحمد بن السراج (ت500هـ) ،

(1) سالم، طرابلس الشام، ص45.

(2) تدمري، الحياة الثقافية، ص13- ص14.

(3) معجم البلدان، ج4/ ص28.

(4) ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص112.

(5) معجم البلدان، ج4/ ص28.

(6) تدمري، الحياة الثقافية، ص14.

(7) كنيته أبو عبد الله، واسمه محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن رحيمة الشامي الساحلي الصوري، وهو الإمام الحافظ البارع الأوحّد الحجة، ولد في سنة (377هـ). الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج17/ ص628.

(8) تدمري الحياة الثقافية، ص28.

(9) ينظر: المرجع نفسه، ص27- ص28.

ومحمد بن الحسين الحميري (ت467هـ)⁽¹⁾ وعمر بن ابراهيم (538هـ)⁽²⁾ وغيرهم⁽³⁾، ومن مصر طاهر بن محمد ابن القاضي القضاعي، وكان حياً في سنة (463هـ)، حيث حدث هناك⁽⁴⁾ وغيره⁽⁵⁾.

ويأتي بعد العرب من حيث الكثافة السكانية في طرابلس الفرس، وشكل هؤلاء أحد المكونات المهمة التي أسهم أفرادها في تشكيل البنية الحضرية لمدينة طرابلس الشام في عهد بنو عمار، إذ كان التفاعل بين العرب والعجم ظاهرة بارزة، فجمعت طرابلس بين التجارة والعلم، وانعكس ذلك على طبيعتها الحضرية المتقدمة التي تفوقت على العديد من المدن الأخرى، فكانت مدينة نابضة بالحياة، تتميز بأسواقها النشطة ومواردها الاقتصادية المتنوعة، وفيها مكتبة ضخمة تُشير إلى مستوى رفيع من التنظيم الحضري والتطور الثقافي، مما عكس بيئة حضرية متقدمة استقطبت العرب والفرس وغيرهم⁽⁶⁾، ومن مشاهير الذين انتقلوا إلى طرابلس، ابو القاسم الفارسي (ت497هـ) وغيره⁽⁷⁾.

وسكنها كذلك جماعات من الاكراد ، ولا سيما في المناطق الجبلية الواقعة بين حمص وطرابلس، وكان وجودهم مرتبطاً بصورة خاصة بالمناطق العسكرية والحصون، وأسهم في التركيبة البشرية والعسكرية للمجال المحيط بطرابلس في العصر العماري، ولا سيما في المناطق الجبلية والحصون ذات الأهمية الاستراتيجية، غير أن المصادر لا تسمح بإثبات حجم هذا العنصر داخل مدينة طرابلس نفسها. ويبدو أن الدور العسكري كان أبرز مظاهر حضور الأكراد في هذه المنطقة، إذ ارتبط استقرارهم في بعض المواضع بحماية الطرق والثغور ومقاومة الغارات، وهو ما يعكس تنوع العناصر البشرية التي أسهمت في حماية المجال الساحلي والشمالي لبلاد الشام خلال تلك الحقبة⁽⁸⁾.

(1) اسمه محمد بن الحسين بن أحمد الحميري الكوفي، ولي القضاء والخطابة بدمشق، خرج إلى طرابلس وسكن فيها إلى حين وفاته في سنة (467هـ). تدمري، الحياة الثقافية، ص319.

(2) اسمه عمر بن ابراهيم بن محمد بن احمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن عيسى، كنيته ابو البركات، علوي حسيني زيدي كوفي، ولد في سنة (442هـ)، وكان من علماء الفقه والحديث واللغة. تدمري، الحياة الثقافية، ص308.

(3). تدمري الحياة الثقافية ، ص27- ص28.

(4) اسمه طاهر بن محمد بن سلامة بن جعفر، كنيته ابو الفضل، كان من رجال الحديث بطرابلس. الذهبي سير اعلام النبلاء، ج18/ ص231.

(5) ينظر: تدمري، الحياة الثقافية، ص27- ص28.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4/ ص28.

(7) تدمري، الحياة الثقافية، ص27.

(8) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2/ ص264.

وسكنها كذلك الأتراك، وبرز وجودهم في عهد دولة بنو عمّار، اذ شكلوا العمود الفقري للقوة العسكرية في الدولة الإسلامية، حيث اعتمدت عليهم الخلافة العباسية والدول الإقليمية في تكوين الجيوش النظامية وتعزيز قدراتها الدفاعية والهجومية، وهو ما بينه ابن الأثير بقوله: "كثر الأتراك في عساكر الشام، وصار لهم الشأن في الحروب، وكانوا عماد الجيوش في ذلك الزمان"⁽¹⁾، ولم يقتصر دورهم على كونهم عاملاً مساعداً فحسب، بل تحولوا إلى قوة محورية في تشكيل الجيوش، وانحصر وجودهم في طرابلس في الجانب العسكري من دون أن يتبلوروا كطبقة حاكمة مستقلة كغيرها من المدن الإسلامية، وهو ما نستشفه من قول ابن عساكر: "كان بالشام جنّد من الأتراك، لهم قوة وشوكة، يُستعان بهم في الحروب والغزوات"⁽²⁾.

وسكنها أيضاً الروم، وهم السكان الذين ينتمون إلى الثقافة البيزنطية (الروم الشرقيين)، سواء كانوا من المسيحيين أو من بقايا المجتمعات التي عاشت تحت الحكم البيزنطي قبل الفتح الإسلامي، ثم تأثرت وتفاعلت مع التحولات التي شهدتها المنطقة لاحقاً، ويعدون من أقدم المكونات السكانية في طرابلس الشام، ويعود ذلك إلى الحقبة التي سبقت الفتح الإسلامي، عندما كانت المدينة ضمن نطاق السيطرة البيزنطية في بلاد الشام، ومع انتشار الإسلام في المنطقة، استمر جزء من السكان الأصليين من الروم بالعيش في المدينة، محافظين على هويتهم الدينية والثقافية ضمن إطار نظام أهل الذمة، ووفر هذا النظام لهم فرصة الاستمرار والمساهمة الفاعلة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية من دون انقطاع⁽³⁾، واستمر بقاءهم في فترة حكم أسرة بني عمار على طرابلس، وقد لعب الموقع الاستراتيجي لطرابلس وازدهارها الاقتصادي دوراً في الحفاظ على هذا التنوع السكاني، وجذبت سكاناً من انتماءات وخلفيات متعددة، بما في ذلك الروم الذين استمروا في التواجد ضمن أحياء خاصة بهم أو في مناطق اختلطوا فيها مع المسلمين⁽⁴⁾، وكانت علاقتهم طيبة مع السلطة العمارية، فلم تشر المصادر إلى وقوع اضطرابات دينية كبيرة داخل طرابلس خلال هذه الفترة، وهو يشير إلى وجود نهج إداري محلي حرص على تحقيق التوازن بين مكونات المجتمع

(1) الكامل، ج9/ص210.

(2) تاريخ دمشق، ج1/ص89.

(3) Hugh Kennedy, The Prophet and the Age of the Caliphates (London: Routledge, 2004), 180–185.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4/ص29.

المختلفة⁽¹⁾، وأسهموا في النشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، الأمر الذي جعل من طرابلس مثلاً للمدينة الإسلامية ذات الطابع المتعدد التي نجحت في الحفاظ على إرثها التاريخي وإعادة توظيفه ضمن إطار حضاري حديث ومتكامل⁽²⁾.

كما سكنها المغاربة، وبرز هؤلاء في مدن بلاد الشام، بما في ذلك طرابلس، ضمن إطار اجتماعي واقتصادي أعم، إذ ارتبط ظهورهم بازدهار حركة التجارة عبر البحر الأحمر ومصر، ومن ثم انتقلهم إلى مدن الساحل الشامي، وكان حضورهم جزءاً من التكوين الطبقي للمجتمعات الإسلامية آنذاك⁽³⁾، وكونوا معظم افراد الجيش وتسلموا المناصب الادارية المهمة فيها⁽⁴⁾.

ومما تقدم يظهر أنّ عناصر المجتمع الطرابلسي في أيام حكم بنو عمار كان الغالبية منهم مسلمون شيعة ثم يأتي بحسب الكثافة السكانية النصارى ثم اليهود، وسكنها عناصر عرقية مختلفة من العرب والفرس والأتراك والروم والافارقة، وإن التعايش السلمي كان يسود العلاقة بين هذه العناصر.

ثالثاً- الملابس :

مثّلت الملابس جانباً مهماً من مظاهر الحياة الاجتماعية في طرابلس خلال عصر بني عمار (462-502هـ)، إلا أن المصادر التاريخية لم تفرد لهذا الجانب وصفاً مستقلاً يوضح بالتفصيل أنواع الأزياء التي كان يرتديها عامة السكان ، ولذلك يصعب تحديد أزياء موحدة خاصة بالطرابلسيين في هذه المرحلة. غير أن دراسة الأزياء في البيئة الإسلامية والفاطمية المعاصرة تشير إلى تعدد أنواع الملابس والأغطية واختلافها باختلاف الطبقات الاجتماعية، كما كانت الملابس تؤدي وظيفة تتجاوز ستر الجسم إلى التعبير عن المكانة الاجتماعية والقدرة الاقتصادية. ومع ذلك يمكن الاستدلال من طبيعة الحياة الاقتصادية والتجارية في المدينة، ومن شهرة بلاد الشام بصناعة المنسوجات وتداول الأقمشة، على تنوع الملابس تبعاً لاختلاف الطبقات الاجتماعية والقدرة الاقتصادية، فكان سكان مدينة طرابلس يرتدون ملابس متنوعة كانت شائعة في مصر وبلاد الشام، وكان اختيار نوعية اللباس يعكس القدرة المادية

(1) Clifford Edmund Bosworth, The Islamic Dynasties (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1996), 92-94.

(2) Marshall Hodgson, The Venture of Islam, Vol. 2 (Chicago: University of Chicago Press, 1974), 300-305.

(3) ينظر: تدمري، الحياة الثقافية، ص14- ص16.

(4) ينظر: المقريري، اتعاظ الحنفا، ج1/ ص171- ص190.

لمرتديه وظروفه المعيشية ومستوى حياته، فبعضهم يلبس الثياب البعلبكية⁽¹⁾ أو البغدادية⁽²⁾، وآخرون يلبسون العباءة المصنوعة من الصوف التدمري أو الشامى⁽³⁾، والغالبية منهم يلبسون الجبة⁽⁴⁾، وكانت بتصاميم مختلفة بحسب الطبقة الاجتماعية، فجبة الأغنياء كانت تنماز بطولها واتساعها ودقة صنعها، بينما كانت جبة أصحاب الدخل المتوسط أقل جودة وطولاً واتساعاً، وجبة المتصوفة مرقعة وهي تشبه جبة الفقراء⁽⁵⁾.

وكان الغالبية من سكان طرابلس من الرجال يلبسون فوق الجبة القفطان⁽⁶⁾، وهو ثوب طويل بألوان متعددة له أكمام قصيرة حتى المرفقين مفتوح من الأمام يصل للركبة⁽⁷⁾، كما يلبسون القمباز⁽⁸⁾، وهو ثوب مفتوح يصل لمنتصف الساق مع أكمام واسعة⁽⁹⁾.

ومن ثياب الرجال الأخرى التي اقتصرت على موظفي الدولة الدراعات، وكانت تصنع من الصوف، وتكون مفتوحة من الأمام عند وسط الصدر، وتزين بالأزرار، وتتميز بسعتها الكبيرة ولونها الأبيض الذي يغلب عليها⁽¹⁰⁾، والطيلسان، وهو نوع من الخمار يُلقى على الرأس والكتفين⁽¹¹⁾، وغالباً ما كان يرتديه الفقراء وأساتذة الفقه والشريعة⁽¹²⁾، والشاشيات، وهو جمع شاشية، وهو نوع من أغطية الرأس، اسمه مشتق من مدينة الشاش الواقعة في ديار

(1) ثياب منسوبة إلى مدينة بعلبك، كان وسطها مخملاً وطرفاها منيراً، وهي ضرب من الأقمشة القطنية البيضاء المشهورة بالجودة والحسن، وكلمة بعلبكي تعني أيضاً الأقمشة الحريرية، لأننا نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة: قلع الخليفة من عليه ثوبين سكندري وبعلبكي من حرير، والأقمشة القطنية البعلبكية كانت تستعمل لتكفين الموتى. ابراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص71.

(2) منسوبة إلى مدينة بغداد، وهي قماش حريري غالي الثمن، مزيّن عادة بالصور، وموشى غالباً بالذهب، وغالباً ما يكون هذا النسيج البديع مزخرفاً بأشكال الحيوانات والطيور وبخيوط من الفضة والذهب، ونظراً لارتفاع ثمنه اقتصر استعماله على الكسوات السلطانية، والهدايا الثمينة. ابراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص71.

(3) نوع من الأزياء التراثية العربية التي اشتهرت في بلاد الشام والعراق والبادية العربية، تنسج غالباً من صوف الأغنام أو وبر الابل، وتمتاز بكونها واسعة فضفاضة تلبس فوق الثياب للحماية من البرد وعرفت بجودة نسيجها ودقة صناعتها. دوزي، المعجم المفصل، ص239.

(4) الجبة ثوب من المقطعات جمعه جيب وجباب كثوب ثياب. الزبيدي، تاج العروس، ج2/ ص208؛ دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس،

(5) ينظر: ابن الجوزي، تلبس إبليس، ص184؛ دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص97- ص105؛ رمضان، المجتمع الاسلامي، ص272.

(6) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج1/ ص95؛ ينظر: دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص143- ص148.

(7) دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص147.

(8) كرد علي، خطط الشام، ج6/ ص307، دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص143.

(9) دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص147.

(10) عمر، المعجم العربي الاساسي، ص807.

(11) المرجع نفسه، ص807.

(12) ينظر: دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص248- ص250.

ما وراء النهر⁽¹⁾، وذكر الجاحظ عند وصفهم سكان هذه الديار: "أصحاب القلانس الشاشية"⁽²⁾، وكان هذا اللباس واسع الانتشار بين العامة والخاصة، ولاسيما في مصر وبلاد الشام⁽³⁾، وكانت طائفة واسعة من فقهاء بلاد الشام وعلماءهم ومنهم فقهاء وعلماء طرابلس، يلبسون عمامة سوداء وطيلساناً أسود كجزء من زيهم التقليدي⁽⁴⁾.

وكانت غالبية نساء الطبقة الحاكمة في القرن الخامس للهجرة يلبسن الملابس الفاخرة المزينة بالجواهر، وهو ما بينه المقرئزي بقوله: "أن نساء مصر رغبين في اقتناء العنبر"⁽⁵⁾ فتزيين بالقلادات⁽⁶⁾، ومن ثم انتشرت هذه الخلي تدريجياً في بلاد الشام ومنها طرابلس⁽⁷⁾، كنّ يضعن التيجان المرصعة بالجواهر على رؤوسهن⁽⁸⁾، ويلبسن الخمار⁽⁹⁾.

ويلبس الرجال في أرجلهم المداس، وهو كل ما يلبس في القدم من دون تمييز⁽¹⁰⁾، والنعال، وهو من ألبسة العرب القديمة ويسمونه الفرس الخف⁽¹¹⁾.

ومما تقدم يتبين ان أهالي طرابلس في عهد الدولة العمارية من الرجال والنساء كانوا يلبسون ما كان شائعاً لبسه في بلاد الشام في عهد دولة بنو عمار، ولم نلاحظ ان هناك ما انفردوا به من ملابس أو مداس أو غير ذلك.

رابعاً- الاحتفالات الدينية:

حرص بنو عمار على مشاركة المسلمين في جميع أفراسهم ومناسباتهم الدينية، اذ لم يتأخروا عن الاحتفال في المناسبات الاسلامية التي تخص المسلمين كافة، في وقت حرصوا فيه على ابراز مناسبات دينية معينة خصت المذهب الشيعي الاثني عشري الذي يعتقدون فيه، وبحسب الاتي:

- (1) دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس،
- (2) رسائل الجاحظ، رسالة في مناقب الترك، ج3/ص178.
- (3) دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص
- (4) الصابي، رسوم دار الخلافة، ص91.
- (5) العنبر ضرب من الطيب ينشأ في البحر. الابشيهي، المستطرف في كل فن، ج2/ص405.
- (6) المواعظ والاعتبار، ج2/ص299.
- (7) ابن سيده، المخصص، ج4/ص40.
- (8) ابن سيده، المخصص، ج4/ص40.
- (9) الخز من الثياب، ما كان سداه ابريسم أو حرير أبيض. الصابي، رسوم دار الخلافة، ص90.
- (10) ابن منظور، لسان العرب، ج14/ص301؛ وينظر: دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص374-376.
- (11) ابن منظور، لسان العرب، ج5/ص113.

1- الاحتفالات بالمناسبات الدينية العامة:

حرص بنو عمار على الاحتفال بالمناسبات الدينية العامة، ومنها: ليلة الأول من شهر محرم بوصفها بداية السنة الهجرية وأول لياليها⁽¹⁾، فكانت تقام احتفالات ليلية ضخمة وتستمر حتى مطلع اليوم الأول من العام الهجري الجديد⁽²⁾، وتميزت مظاهر الاحتفال هذه بتقديم الولائم الكبيرة التي كانت تشمل إعداد خراف كاملة ورؤوس مُحَمَّرَة تُوزع على موظفي القصر، وأطباق من اللبن والخبز والحلوى المتنوعة توزع على عامة الشعب⁽³⁾، وكان له طابع مميز يعكس البهجة والروح الاجتماعية السائدة آنذاك، ويُعدّ له بشكل خاص خلال الأيام العشر الأخيرة من شهر ذي الحجة، فيتم تجهيز الخيول والأسلحة المزينة بالذهب والفضة من خزائن الدولة، حيث يحملها رجال الجُند خلال الموكب، ما كان يضفي مظهرًا مليئًا بالعظمة والفخامة على هذه المناسبة⁽⁴⁾.

فكانوا يحتفلون كذلك بالمولد النبوي الشريف، وهو من أهم المناسبات الدينية والاجتماعية في العالم الإسلامي، ويكون في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام هجري، وكان يقام وسط أجواء تجمع بين الطابع الروحي والفرح، حيث تزُين المساجد وتُضاء الأنوار، ويجمع الناس في حلقات للذكر والإنشاد الديني بمدح النبي محمد (ﷺ) وحياء ذكره العطرة⁽⁵⁾، وبرز هذا الاحتفال في العالم الاسلامي منذ سنة (300هـ)⁽⁶⁾، وأول من أطلقه رسمياً هم الدولة الفاطمية في مصر خلال القرن الرابع للهجري⁽⁷⁾، وتوارثه عنهم بنو عمار، اذ كانت الدولة نفسها تتولى تنظيمه بدعم مباشر من الخليفة الفاطمي، وتُصرف مبالغ كبيرة من الخزينة لتوزيع الصدقات، وتخرج من دار الفطرة أربعون صينية مملوءة بطعام الفطرة، وتقدم الخزائن سكرًا ولوزاً وعسلًا وزيتاً، ويوزع الخبز وكذلك الحلوى على عامة الناس بكميات كبيرة⁽⁸⁾، وينظم الاحتفال الرسمي بعد صلاة الظهر من اليوم نفسه، اذ يخرج قاضي القضاة في موكب كبير بصحبة الشهود وبعض المسؤولين المكلفين بحمل صواني الحلوى متوجهاً الى الجامع الأزهر، فيجلس المشاركون لتلاوة خاتمة القرآن الكريم،

(1) المقرئزي، الخطط، ج2/ ص347.

(2) سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص370.

(3) القلقشندي، صبح الاعشى، ج3/ ص503.

(4) المقرئزي، الخطط، ج2/ ص247.

(5) حسن، المولد النبوي، ص48.

(6) متز، الحضارة الاسلامية، ج2/ ص298.

(7) البناء، أصل الاحتفال بالمولد النبوي، ص436.

(8) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص217؛ المقرئزي، الخطط، ج2/ ص216.

ثم يعود الموكب بعد الانتهاء إلى القصر وسط حشود تجتمع على جانبي الطريق لمتابعته، وتجتمع الناس حول شرفة القصر، مُتطلعين لرؤية الخليفة، وتلقى قصائد المدح النبوي من الشعراء الذين يتنافسوا في إبراز براعتهم الشعرية تعبيراً عن حبهم للنبي الكريم⁽¹⁾.

ويحتفلون أيضاً بشهر رمضان، اذ تبدأ الاستعدادات لاستقباله قبل ثلاثة أيام من حلوله، اذ يقوم القاضي بجولة في الجوامع والمساجد في طرابلس، للتأكد من تجهيز المساجد بما تحتاجه من فرش وإضاءة، وهي عادة حرص عليها الخلفاء الفاطميين في الماضي، فكان من تقاليدهم إصدار أوامر في بداية شهر رجب بإغلاق جميع قاعات الخمارين وختم أبواب حوانيتهم، ومنع بيع الخمر حتى نهاية شهر رمضان⁽²⁾، ويتم الإعلان عن بداية هذا الشهر بطريقة احتفالية ورسمية، اذ يخرج الأمير في موكب كبير، وتُرسل الكتب الرسمية والشارات إلى ولاية البلاد التي تخضع لنفوذ الدولة، ويمثل هذا الموكب إعلاناً رسمياً ببداية شهر رمضان، كبديل للاحتفال برؤية الهلال الذي كان معمولاً به عند أهل السنة⁽³⁾، وكانت الدولة تهتم بتنظيم الموائد الرسمية التي تُقام داخل القصر وفي الجوامع الكبرى للناس من مختلف الطبقات، ويشمل الاحتفال تلاوة القرآن الكريم، يتبعها المؤذن بالتكبير وذكر فضائل السحور والدعاء ثم يأتي دور الواعظ الذي يتحدث عن فضائل هذا الشهر الكريم⁽⁴⁾.

ويحتفلون كذلك بعيد الفطر، ويعود الاحتفال بهذه المناسبة إلى عهد الرسول (ﷺ)، حيث تبدأ تفاصيل الاحتفاء من ليلة 27 من شهر رمضان المبارك، ويتميز بطابع خاص، حتى عُرف لديهم بـ(الموسم الكبير) و(عيد الحل)، فتوزع الملابس والهدايا على جميع موظفي الدولة، من أمير وقائد الامارة إلى أصغر موظف في الامارة، بما فيهم أولادهم وزوجاتهم⁽⁵⁾، ويتجمع الأهالي في الجامع الكبير، وتصيح المآذن في الليل الحالك بأنوار المصابيح التي تنير الأجواء، وينبض وقت السحر بإيقاع الطبول، ويرددون أناشيد عن وداع شهر رمضان⁽⁶⁾، وفي صباح اليوم الأخير من رمضان، ينتظر القاضي في مجلسه الخاص شهادة رؤية هلال شهر شوال، وعادةً ما تتم الرؤية من جنوب طرابلس أو من شرفات المآذن، ويشهد الأشخاص برؤية الهلال، فيقضي القاضي بدخول العيد ويسري حكمه على

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص218.

(2) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج3/ ص82.

(3) المصدر نفسه، ج1/ ص491.

(4) المقرئزي، الخطط، ج1/ ص491.

(5) رمضان، الحياة الاجتماعية، ص283.

(6) الطنطاوي، دمشق صور من جمالها، ص133.

جميع السكان⁽¹⁾، ويجتمع الولاة والأمراء وأصحاب المناصب عند أبواب القصر مرتدين ثياباً بيضاء مطرزة⁽²⁾، وتبدأ الاحتفالات بإخراج زكاة الفطر قبل صلاة العيد، بعدها يجتمع المسلمون في الجامع لأداء مراسيم الصلاة⁽³⁾، ويتم تجهيز المكان بفرش الطراحات في محرابه، وتُعلق سترين على يمينه ويساره تحمل آيات قرآنية في الايمن سورة الفاتحة وسورة الاعلى وفي الايسر الفاتحة وسورة الغاشية، وتُؤدى الصلاة بالتكبيرات المسنونة، ويُقرأ في الركعة الاولى ما في الستر الذي على يمينه، وفي الثانية ما في الستر الذي على يساره، فإذا فرغ وسلم، يصعد الأمير أو الوالي إلى المنبر ويلقي خطبة العيد⁽⁴⁾ التي تسلط الضوء على فضائل هذا اليوم وتأثيره الروحي، مع التأكيد على الالتزام بشعائر الدين الإسلامي⁽⁵⁾، وهي طقوس كانت متشابهة الى حد بعيد عند أغلب المسلمين في بغداد والقاهرة والقدس وغيرها⁽⁶⁾، ثم يتصدق المصلون على المحتاجين، ويتوجهون بعد ذلك الى زيارة الأقارب والأصدقاء، ويستثمرون هذه المناسبة للترفيه عن أنفسهم بالألعاب والتنزه في الحدائق العامة⁽⁷⁾، وكانت طرابلس من أبرز العواصم التي تقام بها هذا الاحتفال⁽⁸⁾.

وحرصوا على الاحتفال بعيد الأضحى (النحر) كذلك، ويكون في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة⁽⁹⁾، وهو من الأعياد الدينية التي احتفل بها المسلمون منذ عهد الرسول (ﷺ)⁽¹⁰⁾، حيث كانوا يخرجون مبكرين إلى المساجد لأداء فريضة صلاة العيد، ثم ينحروا الأضاحي بعد ذلك تقرباً إلى الله تعالى⁽¹¹⁾، وتوزع لحومها على الفقراء والمحتاجين، ولم يكن نحر الأضاحي مقصوراً على العامة فقط، انما كان الخلفاء والحكام يذبحون

-
- (1) الطنطاوي، دمشق صور من جمالها، ص138.
 - (2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص177؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفاء، ج1/ ص491.
 - (3) باشا، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص130.
 - (4) رمضان، الحياة الاجتماعية، ص283.
 - (5) المرجع نفسه، ص279.
 - (6) حسن، تاريخ الاسلام، ج2/ ص354.
 - (7) ينظر: ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص180- ص181.
 - (8) السامرائي، التقاليد والعادات، ص175.
 - (9) ينظر: البيروني، الآثار الباقية، ص333- ص334؛ النويري، نهاية الأرب، ج1/ ص177؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج2/ ص406.
 - (10) البخاري، صحيح البخاري، ج2/ ص436؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج2/ ص410.
 - (11) ينظر: الباشا، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص130- ص131.

الأصاحي على أبواب الخلافة⁽¹⁾، ومن صور الاحتفال بهذه المناسبة تحضير الملابس الجديدة وصنع الحلوى⁽²⁾.

واحتفلوا بعيد المهرجان، وهي من الأعياد الفارسية القديمة، ويبدأ في السادس والعشرين من تشرين الأول، وبينه وبين النوروز مائة وسبعة وستون يوماً، وكان حلوله إيذاناً ببداية الانقلاب الشتوي، ومدته عند الفرس ستة أيام يسمى اليوم السادس منه بالمهرجان الأكبر⁽³⁾، وعند حلوله يبدأ الناس بتغيير فرشهم وملابسهم استعداداً لاستقبال الشتاء⁽⁴⁾، وفي عيد النوروز ومعناه اليوم الجديد⁽⁵⁾، وهو اليوم الحادي والعشرون من شهر آذار، وكانت مدته عند الفرس ستة أيام⁽⁶⁾، ولم يكن هذا العيد مقتصرًا على طرابلس وحدها بل كان يحتفل به في مدن إسلامية أخرى⁽⁷⁾، ومن مظاهره إيقاد النيران وإشعال الشموع، وتبادل الهدايا والتهانى⁽⁸⁾، وكذلك احتفلوا بعيد السدق أو (السدق) الذي هو كذلك من الأعياد الفارسية التي انتقلت إلى المسلمين، حيث كانوا يشعلون النيران والشموع في ليلته⁽⁹⁾، ويستعمل لذلك أنواع مختلفة من الدهان⁽¹⁰⁾.

2- الاحتفالات بالمناسبات الدينية الخاصة:

تبنى بنو عمار لغرض الحفاظ على الإرث التاريخي لمذهبهم الشيعي الاحتفالات بمناسبات معينة، أبرزها، عيد الله الأكبر⁽¹¹⁾، وهو من المناسبات المهمة في التاريخ الشيعي⁽¹²⁾؛ لأنها تحيي ذكرى تنصيب النبي محمد (ﷺ) الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كوصي وخليفة للمسلمين في الثامن عشر من شهر ذي الحجة، وعدوا هذا اليوم عيداً للأمة وللدولة⁽¹³⁾، وتجلّى الأثر الملحمي لهذا اليوم بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

(1) الغساني، العسجد المسبوك، ج2 / ص 571

(2) عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص269.

(3) النويري، نهاية الأرب، ج1/ ص178؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج2/ ص408؛ فهد، العامة ببغداد، ص200.

(4) النويري، نهاية الأرب، ج1/ ص178؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج2/ ص411.

(5) النويري، نهاية الأرب، ج1/ ص178؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج2/ ص408.

(6) حسن، النظم الإسلامية، ص339.

(7) ينظر: متز، الحضارة الإسلامية، ج2/ ص287-291.

(8) فهد، العامة ببغداد، ص201.

(9) البيروني، الآثار الباقية، ص216.

(10) ينظر: النويري، نهاية الأرب، ج1/ ص181-182؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج2/ ص412.

(11) العاملي، وسائل الشيعة، ج10/ ص442.

(12) ابن طاووس، اقبال الاعمال، ص464.

(13) الكليني، الكافي، ج4/ ص149؛ رمضان، الحياة الاجتماعية، ص285.

مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" (1)، وهذه الآية أكدت مسؤولية الرسول (ﷺ) في نقل ولاية الإمام علي إلى الناس، فدعا النبي في هذا اليوم لمبايعة الإمام علي (عليه السلام)، بقوله (ﷺ): "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله فإنه مني وأنا منه، وهو بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" (2)، وفي هذه المناسبة نزلت الآية الكريمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (3)، مما عزز مكانة هذا الحدث بوصفه يوماً مهماً في الدين الإسلامي، وكان الاحتفال به يتم عبر إقامة الصلوات والأدعية وتبادل الزيارات بين المؤمنين وزيارة المراقد المقدسة (4)، وأول احتفال رسمي به جرى على يد معز الدولة بن بويه في سنة (352هـ) في بغداد (5)، ثم زادت الدولة الفاطمية من الاحتفال بهذه المناسبة ولاسيما في عهد المعز لدين الله (341-365هـ)، إذ نظم حفل كبير جداً في سنة (362هـ) (6)

وأحيوا كذلك ذكرى استشهاد الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، إذ اهتم بنو عمار بإحياء ذكرى العاشر من شهر محرم الحرام التي ترتبط بمأساة استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) في واقعة الطف (7)، ويكون ذلك بإقامة مجالس العزاء والحزن، وغلق الدكاكين وتوقف الحركة في الأسواق من بيع وشراء وارتفاع أصوات البكاء والنياحة تعبيراً عن الحزن العميق (8)، وهو ما أشار إليه البيروني (ت440هـ) بقوله: "أما الشيعة، فإنهم ينوحون ويبكون أسفاً لقتل سيد الشهداء فيه، ويظهرون ذلك بمدينة السلام، وأمثالها من المدن والبلاد، ويزورون فيه التربة المسعودة بكربلاء" (9)، وبين هذا أن إقامة المآتم الحسينية في يوم عاشوراء كانت

(1) المائدة: آية 67

(2) الكليني، الكافي، ج4/ص149؛ رمضان، الحياة الاجتماعية، ص285.

(3) المائدة: آية 3

(4) السحيمي، الأعياد وأثرها على المسلمين، ص404؛ شلبي، موسوعة النظم، ج5/ص425.

(5) المقرئزي، الخطط، ج2/ص116.

(6) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج1/ص142.

(7) موقعة الطف هي موقعة حدثت على أرض كربلاء في ذي الحجة من سنة (61هـ)، استشهد فيها الإمام الحسين وأهل بيت النبوة من ذريتهم ولم يبق منهم سوى النساء وعلي بن الحسين زين العابدين، إذ أنه كان علياً في الفراش، وقد قتلوا بأمر من يزيد بن معاوية. ينظر: الطبري، تاريخ، ج3/ص1025-1059؛ ابن الأثير، الكامل، ج3/ص385؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج21/ص22.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج7/ص279.

(9) الآثار الباقية، ص420.

منتشرة بشكل واسع في بداية القرن الخامس الهجري، ولعل سبب ذلك وجود بعض القوى الشيعية وأهمها دولة بني عمار.

واحتفلوا بموالد أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، مثل ولادة الامام علي (عليه السلام) في الثالث عشرة من شهر رجب، وولادة الامام الحسن (عليه السلام) في الخامس عشرة من شهر رمضان، وولادة الامام الحسين (عليه السلام) في الخامس من شهر ربيع الاول وغيرها من الولادات⁽¹⁾، وكانت احتفالات مميزة عبر عنها المقرئزي بقوله: "كانت مواسم جلية"⁽²⁾، ويجري الاحتفال بها مثل الاحتفال بمولد النبي محمد (ﷺ)⁽³⁾، اذ يعطل فيها الدوام الرسمي وتقدم الهبات وتقام الصلوات، وكان الخلفاء الفاطميون وتبعهم حكام الدولة العمارية يشرفون على الاحتفالات بأنفسهم، حيث تُفرش الأرض بالسجاد الفاخر، ويلبسون هم ثياباً بيضاء وعمامة حريرية ويلقون الخطب ويتنقلون بمواكبهم مع قرع الطبول وتزيين الأسواق والمنازل وغيرها من المظاهر⁽⁴⁾.

ومما تقدم يظهر أنَّ بني عمار لم يكونوا منغلقيين دينياً، ولم يحاولوا فرض معتقداتهم على المسلمين الآخرين، فكانوا يحتفلون بجميع المناسبات الدينية، لكن في الوقت نفسه لهم مناسبات دينية خاصة يحتفلون بها خصت المذهب الشيعي الذي يعتقدون به.

(1) رمضان، الحياة الاجتماعية، ص287.

(2) المقرئزي، الخطط، ج2/ ص437.

(3) رمضان، الحياة الاجتماعية، ص288.

(4) ابو المعاطي، الاعياد والاحتفالات، ص51.

المبحث الثالث

الأحوال الاقتصادية والعمرانية للدولة العمارية في طرابلس (462-

502هـ):

أولاً- الأحوال الاقتصادية:

تضافرت العوامل الطبيعية مع العوامل البشرية لتكون بيئة مناسبة للنشاط الاقتصادي للدولة العمارية في طرابلس، فقد غلب على سطح مدينة طرابلس السهول الساحلية الممتدة على طول الساحل الشامي وارضيتها عبارة عن رمال منعقدة ممزوجة مؤهلة للزراعة لشدة خصوبتها⁽¹⁾، شأنها في ذلك شأن غزة⁽²⁾ ويافا⁽³⁾، واشتهرت بأنواع مختلفة من الفواكه والخضر كالليمون والبرتقال والزيتون والسكر والقصب والصنوبر وغير ذلك⁽⁴⁾، وحفتها الطبيعة بالعناية الربانية التي جعلت من سفوح جبالها غابات لنمو انواع معينة من الاخشاب كأخشاب الارز والكروم والصنوبر والزيتون وغيرها⁽⁵⁾، وعزز ذلك حماية السلطات التي تعاقبت على ادارتها حماية تلك الهبات الالهية وعملت على ادامتها، فأقاموا فيها منشآت ري كبرى وقناطر وخدمات عامة متنوعة⁽⁶⁾.

فعلى مستوى الزراعة، سعى بنو عمار للارتقاء بها بهدف توفير المواد الغذائية اللازمة لسكان طرابلس، وفي هذا الصدد كرى جلال الملك ابن عمار العديد من الأنهار وأقام القرى وجدد القناطر ووفر الدعم المادي للفلاحين⁽⁷⁾، وعنى فخر الملك بن عمار بالمشاريع المائية بتنظيم أمور نهر قاديشا⁽⁸⁾، الذي كان يفيض ويحدث أضراراً ولا ينتفع منه، فوضع

- (1) المقدسي، احسن التقاسيم، ص186 .
- (2) غزة مدينة في اقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان، من عمل فلسطين وهي ذات بساتين على ساحل البحر ولها قلعة صغيرة. ينظر: ابن عبد الحق، مرصد الاطلاع، ج2/ ص993؛ البروسوي، أوضح المسالك، ص483- ص484 .
- (3) يافا مدينة على ساحل بحر الشام من اعمال فلسطين بين قيسارية وعكا، وهي صغيرة كثيرة الرخاء، كانت حصناً كبيراً، فيه أسواق عامرة، وميناء كبير فيه ترسي المراكب الواردة الى فلسطين. الادريسي، نزهة المشتاق، ج2/ ص364؛ الحميري، الروض المعطار، ص615 .
- (4) ينظر: شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص207- ص209؛ نوح، امارة بني عمار، ص408.
- (5) المقدسي، احسن التقاسيم، ص186؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1/ ص102 .
- (6) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2/ ص369.
- (7) آل طعمة، إمارة طرابلس الصليبية، ص62 .
- (8) أبو العينين، لبنان دراسة في الجغرافيا الطبيعية، ص493 .

خطة إنمائية للإفادة منه ومنع فيضانه، وبنى القنوات التي تجري فيها مياه النهر وتستخدم للري⁽¹⁾، فانعكس ذلك على المدينة بالخير العميم ونمت المزروعات والبساتين على ضفتي النهر الذي عُرف بنهر أبي علي⁽²⁾.

وكان لنشأة المدينة في السهل الواقع على مصب نهر أبي علي أثر كبير في ازدهار الزراعة فيها، فضلا عن ما تميزت به أرضها من شدة خصوبتها⁽³⁾، وهو ما بينه ابن الشحنة بقوله: "لها نهر يحكم على دورها وطبقاتها بحيث يجري الماء في الأماكن العالية من الدور التي يرقى إليها بالدرج، وحولها جبال شاهقة صحيحة الهواء خفيفة الماء ذات أشجار وكروم ومروج واغنام وبقر"⁽⁴⁾، كما تميزت بكثرة أنهارها⁽⁵⁾ التي وفرت المياه اللازمة للري، مما ساعد على ازدهار المدينة زراعيًا، وهو ما أكدته ناصر خسرو بقوله: "حول المدينة المزارع والبساتين... ويتبعها كثير من السواد والقرى"⁽⁶⁾، والإدريسي بقوله: "مدينة طرابلس الشام مدينة عظيمة... ولها رساتيق وأكوار وضياح جليلة"⁽⁷⁾، وابن بطوطة بقوله: "إحدى قواعد الشام، وبلدانها الضخام، تخترقها الأنهار، وتحفها البساتين والأشجار، ويكنفها البحر بمرافقه العميمة، والبر بخيراته القيمة"⁽⁸⁾.

وقد تنوعت المحاصيل الزراعية في مدينة طرابلس في ظل حكم أسرة بني عمار، ومنها قصب السكر الذي كان ينمو بغزارة على ضفاف نهر أبي علي وفي بساتين طرابلس، وذكر ذلك ناصر خسرو بقوله: "حول المدينة المزارع والبساتين، وكثير من قصب السكر"⁽⁹⁾، ونقل بنو عمار تلك الزراعة من مصر التي اشتهرت بزراعة قصب السكر⁽¹⁰⁾، فأصبحت طرابلس في عهدهم جامعة بين الثمار المصرية والشامية، وهو ما بينه ابن كثير بقوله: "بها ثمار الشام ومصر، فأبها الجوز والموز... والقصب"⁽¹¹⁾، وعرف الصليبيون

(1) الأمين، دولة بني عمار في طرابلس، ص 182.

(2) سالم، طرابلس الشام، ص 10.

(3) تدمري، تاريخ طرابلس، ج 1/ ص 32.

(4) الدر المنتخب، ص 263.

(5) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص 263.

(6) سفرنامه، ص 57- ص 58.

(7) نزهة المشتاق، ج 1/ ص 372.

(8) رحلة ابن بطوطة، ج 1/ ص 37- ص 38.

(9) سفرنامه، ص 57.

(10) سالم، طرابلس الشام، ص 378؛ نوح، إمارة بني عمار، ص 408.

(11) البداية والنهاية، ج 17/ ص 617؛ وينظر: سالم، طرابلس الشام، ص 378.

قصب السكر لأول مرة في بساتين طرابلس، فلما ذاقوه نقلوا غرساته إلى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا⁽¹⁾.

واشتهرت كذلك بزراعة النخيل والفواكه ذات النوعيات الجيدة والنادرة⁽²⁾، مثل: العنب والنارنج والترنج والموز والبرتقال والليمون والكروم وغيرها⁽³⁾، وهو ما بينه ناصر خسرو بقوله: "رأيت في طرابلس ما رأيت في بلاد العجم من الاطعمة والفواكه، بل أحسن منه مائة مرة"⁽⁴⁾، والإدريسي بقوله: "بها من شجر الزيتون والكروم وقصب السكر وأنواع الفواكه وضروبه الغلات الشيء الكثير"⁽⁵⁾، واشتهرت أيضاً بزراعة الزيتون الذي كانت أشجاره تغطي سفوح جبالها والمناطق السهلية والمرتفعة المحيطة بها، فتتحول تلك الجبال إلى مناطق خضراء لا يقطع تواصل اخضرارها سوى ضيعات متناثرة على سفوح الجبال، فكانت أشجار زيتون طرابلس الأكبر في العالم⁽⁶⁾.

كما اهتم بنو عمار بالقطاع الصناعي، وعزز ذلك توافر المقومات الأساسية للصناعة من مواد ورؤوس أموال وأيدي عاملة، مما أدى إلى قيام العديد من الصناعات فيها، ومنها صناعة قصب السكر التي كانت أبرز الصناعات التي اقتصت بها المدينة⁽⁷⁾، فأقام الطرابلسيون المصانع داخل المدينة لعصره وتجفيفه وتصنيعه، وهو ما بينه خسرو قائلاً: "كان عسل السكر يجمع حينذاك"⁽⁸⁾، واتخذ أشكالاً مختلفة أما في صورة رقائق أو ناعم كالدقيق أو على شكل حلوى⁽⁹⁾، وظلت طرابلس إلى جانب دمشق تمولان أوروبا بالسكر بأشكاله المعروفة آنذاك⁽¹⁰⁾.

وشجعوا صناعة الورق التي تعد واحدة من أهم معالم طرابلس الحضارية التي ميزتها عن مثيلاتها من مدن بلاد الشام آنذاك، وتميز الورق الطرابلسي بجودته وحسن صناعته

- (1) بني، تاريخ سوريا، ص 307 .
- (2) العبادي وسالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص 167؛ نوح، امارة بني عمار، ص 409 .
- (3) خسرو، سفرنامه، ص 57؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 1/ ص 372؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص 263؛ الحميري، الروض المعطار، ص 389 .
- (4) سفرنامه، ص 58.
- (5) نزهة المشتاق، ج 1/ ص 372 .
- (6) سالم، طرابلس الشام، ص 379؛ نوح، امارة بني عمار، ص 409.
- (7) ناصر خسرو، سفرنامه، ص 57، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص 263 .
- (8) سفرنامه، ص 57؛ وينظر: ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص 263 .
- (9) سالم، طرابلس الشام، ص 381 .
- (10) بني، تاريخ سوريا، ص 307 .

متفوقاً بذلك على الورق السمرقندي⁽¹⁾، وشيدوا مصانع للورق في أنحاء مختلفة من طرابلس⁽²⁾، مما أسهم في رواج العلم والتدوين والتأليف في طرابلس⁽³⁾.

كما برزت صناعة المنسوجات ولاسيما الحريرية، وقد ذكر المقرئزي ان في طرابلس "أربعة آلاف نول"⁽⁴⁾ قزازة⁽⁵⁾، وكان يعمل في صناعة المنسوجات الحريرية نحو أربعة آلاف عامل، وكان فيها بحدود ألف ومائتين حائك يصنعون الثياب الحريرية والمخملية⁽⁶⁾، وكانت هذه المصانع تمتد على ضفاف نهر أبي علي وفيها ألوف الأنوال والمغازل⁽⁷⁾.

وكان لتنوع ثروات طرابلس الزراعية أثراً في تعدد صناعاتها، فمن الزيتون استخرج الزيت في المعاصر والمساكن في المناطق الجبلية منها⁽⁸⁾ حيث توافر هذا المحصول هناك؛ فضلاً عن اشتهارها بصناعة الصابون، اذ كان فيها أكثر من اثني عشر مصنعاً للصابون، فأصبح لتلك الصناعة وغيرها رواجاً كبير في العديد من المدن، وأصبحت طرابلس مصدرها الرئيس إلى مصر وقبرص وبירות التي اهتمت كثيراً بصناعات طرابلس في سد العديد من احتياجاتها من تلك المواد⁽⁹⁾.

وعلى مستوى التجارة، كانت طرابلس في عهد بني عمار مركزاً تجارياً هاماً، وقاعدة مهمة في بلاد الشام، وكان ذلك طبيعياً، إذ أنها امتلكت ميناءً واسعاً يتسع لعدد كبير من السفن⁽¹⁰⁾، فضلاً عن ازدهار حرفتي الزراعة والصناعة فيها، مما راكم منتجاتها التي كان الطرابلسيون بحاجة لتصريفها إلى الخارج، وبذلك أصبحت طرابلس مدينة مزدهرة تجارياً وتقوم بدور الوسيط التجاري بين مدن بلاد الشام وخارجها، فكانت على حد قول الإدريسي:

(1) خسرو، سفرنامه، ص58. والورق السمرقندي هو من أحسن أنواع الكاغد، وكان التجار ينقلونه إلى بغداد وإلى مختلف المدن الإسلامية، وقد وصف الثعالبي كواغد سمرقند بقوله: "كواغد سمرقند من خصائصها التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الاوائل يكتبون فيها لأنها أنعم وأحسن وأرق وألين"، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص21.

- (2) الأمين، دولة بنو عمار، ص182.
- (3) تدمري، الحياة الثقافية، ص25.
- (4) نول خشبة الحائك التي يلف عليها الثوب وهي آلة نسج القماش. ينظر: الجوهري، الصحاح، ج5/ ص1836؛ ابن منظور، لسان العرب، ج11/ ص684.
- (5) السلوك، ج1/ ق3، ص748.
- (6) العبادي وسالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص168.
- (7) الأمين، دولة بني عمار، ص183.
- (8) سالم، طرابلس الشام، ص380؛ نوح، امارة بني عمار، ص409.
- (9) البستاني، دائرة المعارف، مجلد11/ ص240.
- (10) سالم، طرابلس الشام، ص283؛ العبادي وسالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص168.

"معقلاً من معاقل الشام مقصود اليها بالأمّعة وضروب الأموال وصنوف التجارات"⁽¹⁾، وكان لموقع طرابلس المطل على البحر المتوسط أهمية بالغة في ازدهار التجارة فيها، وهو ما نستشفه من قول الحميري: "الوارد والصادر اليها كثير، والبحر محقق بها من ثلاثة أوجه"⁽²⁾.

ولاستكمال مقومات النجاح التجاري أنشأ بنو عمار اسطولاً بحرياً لنقل بضائع طرابلس إلى مدن العالم المختلفة، فكانت تجوب البحار حاملة البضائع بأنواعها المختلفة من طرابلس أو ناقلة اليها حاجات الناس⁽³⁾، حتى أصبحت طرابلس أعظم مدينة تجارية على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط، فهي المنفذ البحري الرئيس لبلاد الشام، التي عن طريقها يتم التصدير والاستيراد، وتنقل منتجات بلاد الشام والمشرق إلى أوروبا، وإليها تفد من الخارج لتحمل منه إلى سائر بلاد الشام⁽⁴⁾، وبذلك مثلت جسراً بين الشرق والغرب، وملتقى للقوافل التجارية، برية كانت أم بحرية، مما زاد من أرباح أهلها⁽⁵⁾، وجعل المدينة محل وفادة الكثير من التجار الأجانب من بيزنطة والأندلس وصقلية وبلاد غرب أوروبا⁽⁶⁾، وقد وصف ناصر خسرو الحركة التجارية في طرابلس بقوله: "تحصل المكوس بهذه المدينة، فتدفع السفن الآتية من بلاد الروم والفرنجة والأندلس والمغرب العشر"⁽⁷⁾ للسلطان، فيدفع منه أرزاق الجند، وللسلطان بها سفن تسافر إلى بلاد الروم وصقلية والمغرب للتجارة"⁽⁸⁾.

وكان لبني عمار علاقات تجارية مع العديد من الدول، فكانت سفن الروم عندما تصل إلى موانئ بلاد الشام في طرابلس تدفع الخمس أو العشر⁽⁹⁾، وكان ميناؤها حافلاً بالسفن والأساطيل التجارية التي تأتيها من البلدان المختلفة، وهو ما بينه ابن شحنة بقوله: "تأتيها وفود البحر، وترسي بها مراكبهم"⁽¹⁰⁾، والقلقشندي بقوله: "ميناها مينا جليلة تهوي اليها

(1) نزهة المشتاق، ج 1/ ص 372.

(2) الروض المعطار، ص 389.

(3) الأمين، دولة بنو عمار، ص 183.

(4) ينظر: تدمري، الحياة الثقافية، ص 14-15؛ الأمين، دولة بنو عمار، ص 164.

(5) تدمري، الحياة الثقافية، ص 15؛ نوح، إمارة بني عمار، ص 409.

(6) لويس، القوى البحرية والتجارية، ص 328.

(7) ما يؤخذ من أموال التجارة سواء المأخوذ عشراً لغوياً، أم ربعة أو نصفه، وهي ضرائب وضعتها الدولة الإسلامية على التجارة الداخلية والخارجية لتنظيم نشاطها. المصري، الزكاة والضرائب ص 48.

(8) سفرنامه، ص 58.

(9) ماجد، الإمام المستنصر بالله، ص 75.

(10) الدر المنتخب، ص 263.

وفود البحر الرومي وترسو بها مراكبهم وتباع بها بضائعهم، وهي بلدة متجر وزرع كثيرة الفائدة"⁽¹⁾.

فكانت طرابلس تصدر المنسوجات الحريرية والصابون الطرابلسي الى قبرص وببيروت ومصر⁽²⁾، والسكر بكميات كبيرة إلى الغرب الأوربي⁽³⁾، والفواكه اليابسة والرطوبة إلى مصر⁽⁴⁾؛ لذلك فاقت ايراداتها سائر الثغور الشامية باستيراد لوازمها من بيروت وغيرها من مدن بلاد الشام⁽⁵⁾.

ولم يغفل بنو عمار الاهتمام بالأسواق، فقد تميزت في عهدهم طرابلس بأسواقها، وهو ما بينه ناصر خسرو بقوله: "شوارعها وأسواقها جميلة ونظيفة حتى لتظن ان كل سوق قصر مزين"⁽⁶⁾، وابن بطوطة بقوله: "لها الاسواق العجيبة"⁽⁷⁾، وحينما أوفد القائد الصليبي ريموند الصنجيلي وفداً خلال الحصار الصليبي على طرابلس في سنة (492هـ) لمفاوضة فخر الملك بن عمار، مرّ الوفد بأسواقها فدهش لما رآه من تنوع بضائعها ورواج تجارتها وعظيم ثروتها والرخاء الذي نعمت به المدينة⁽⁸⁾.

وضمت طرابلس العديد من الموانئ في تلك الحقبة، كان فيها خانات⁽⁹⁾ ينزلون بها التجار⁽¹⁰⁾، لعل أبرزها: ميناء اللاذقية، وكان من اشهر الموانئ في المنطقة الساحلية لأنه صالح لرسو المراكب والقوارب القاصدة اليه من اصقاع البلاد في كل مناخ وطقس، ولاسيما المراكب التي كانت ممثلة بالتجار والحجاج وغير ذلك⁽¹¹⁾، وقد وصفه الادريسي بقوله: "ميناء يقع في احسن مواضعها، ترسو فيه السفن والمراكب التي تقصد المدينة"⁽¹²⁾.

- (1) صبح الأعشى، ج 4/ ص 143 .
- (2) البستاني، دائرة المعارف، مجلد 11/ ص 240 .
- (3) الأمين، دولة بنو عمار، ص 164 .
- (4) العبادي وسالم، تاريخ البحرية الاسلامية، ص 167.
- (5) ينظر: البستاني، دائرة المعارف، مجلد 11/ ص 240- ص 241 .
- (6) سفرنامه، ص 58 .
- (7) رحلة ابن بطوطة، ج 1/ ص 38؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص 263 .
- (8) حبشي، الحرب الصليبية الأولى، ص 165؛ حاج عمر، المسلمون الشيعة، ص 69؛ نوح، اماره بني عمار، ص 409
- (9) الخانة هي لفظة فارسية معربة، وهي محل نزول المسافرين ويسمى الفندق، وتدل على المتجر والمكان الخاص بالتجار او محل اقامتهم وتجارته وتعني منزل المسافرين والقوافل.
- (10) حجازي، جزيرة ارواد، ص 46 .
- (11) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص 349؛ هايد، تاريخ التجارة، ج 1/ ص 181 .
- (12) نزهة المشتاق، ج 2/ ص 645.

وميناء جبلة، وكان صغيراً، لكنه صالحاً لرسو السفن ذات الحمولات الصغيرة، ويوجد فيه سوق مركزي⁽¹⁾، مما دل على وجود الاستيطان به⁽²⁾، وميناء طرطوس، الذي تميز بحركة تجارية واسعة أهمية كبيرة في تصريف البضائع من المدن الداخلية نحو البحر، وعن طريقه تُشحن البضائع الواردة الى أنحاء البلاد⁽³⁾، فضلاً عن ميناء بانياس، وكان له أهمية كبيرة، لكونه أحد المعابر المائية الهامة التي تزود طرابلس بالماء، وتكون حلقة الوصل بين طرابلس وبلاد الشام من ناحية والعالم الخارجي من جهة أخرى، لذلك حظي باهتمام استثنائي⁽⁴⁾.

وهكذا اجتمعت تلك العوامل الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة، لتكون سبباً في ازدهار المدينة اقتصادياً ورخائها، مما جعلها بوضع اقتصادي مزدهر حتى خلال الحصار الصليبي لها براً وبحراً، لذلك ظلت صامدة تقاوم الصليبيين سنوات طويلة مستعينة بثروتها الداخلية وحسن ادارة بني عمار لقطاعها الاقتصادي، وقد شهد المؤرخون بعظيم ثروة طرابلس وأهلها، اذ قال ابن الأثير: "كانت طرابلس من أعظم بلاد الاسلام، وأكثرها تجملاً وثروة"⁽⁵⁾، وقال ابن تغري بردي: "أكثر أهل البلاد أموالاً وتجارة"⁽⁶⁾، ودل على ثراؤهم هذا اغداق حكامها على الشعراء جوائز مالية مجزية، وعلى طلبة العلم جرايات من الذهب⁽⁷⁾، ودفع فخر الملك إلى الجند في أثناء الحصار الصليبي لطرابلس رواتب عن ستة أشهر مقدماً⁽⁸⁾، واصطحب فخر الملك معه عندما سافر إلى بغداد هدايا نفيسة وتحف ثمينة واشياء غريبة وخيل رائقة⁽⁹⁾، وقد أدى هذا الثراء والرخاء الذي انعمت به طرابلس في ظل حكم بني عمار إلى الاهتمام بنواحي الحياة المختلفة، حتى صارت أكبر حواضر بلاد الشام⁽¹⁰⁾.

- (1) هايد، تاريخ التجارة، ج1/ ص181 .
- (2) اثناسيو، سوريا الشمالية، ص546 .
- (3) هايد، تاريخ التجارة، ص181 .
- (4) الادريسي، نزهة المشتاق، ج2/ ص547.
- (5) الكامل، ج9/ ص96.
- (6) النجوم الزاهرة، ج5/ ص411.
- (7) تدمري، الحياة الثقافية، ص19.
- (8) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص160؛ ابن الأثير، الكامل، ج9/ ص120؛ ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج2/ ص150 .
- (9) ابن الأثير، الكامل، ج9/ ص121.
- (10) درة، امارة بني عمار، ص92

ثانياً- الأحوال العمرانية:

شهدت طرابلس في عهد دولة بني عمار نهضة عمرانية، وشملت جهود حكامها حملة بناء وتطوير واسعة للمساجد والأسواق والمدارس وغيرها، وقد أشار ناصر خسرو في أثناء زيارته لمدينة طرابلس سنة (438هـ) إلى ذلك بقوله: "شيد الشيعة مساجد جميلة في كل البلاد... وفي وسط المدينة جامع عظيم نظيف جميل النقش حصين وفي ساحته قبة كبيرة تحتها حوض من الرخام في وسطه فواره من النحاس الأصفر، وفي السوق مشرعة ذات خمسة صنابير يخرج منها ماء كثير يأخذ منه الناس حاجتهم ويفيض باقيه على الأرض ويصرف في البحر"(1).

ونلاحظ من النص أن ناصر خسرو قد وصف الجامع، الذي كان أكبر جوامع طرابلس وقتذاك، بأنه "عظيم نظيف جميل النقش... في وسطه فواره من النحاس الأصفر"، في دلالة على نظافته وبهاء نقوشه وجمال عمارته ووجود نافورة مزينة بالنحاس الأصفر بداخله، وأشار إلى موقعه في وسط المدينة، وهو أمر كان شائعاً في المدن الإسلامية، إذ عادةً ما كانت التجمعات السكانية تتركز حول المساجد الكبرى، ومما يثير الانتباه في وصفه له استخدامه لكلمة (حصين)، مما دل على الأخذ بعين الاعتبار في تصميمه متطلبات الأمن والدفاع، فقد كانت طرابلس، كغيرها من المدن الساحلية الإسلامية، عرضة لهجمات مستمرة من القوات البيزنطية برًا وغارات قراصنة الإفرنج بحرًا؛ لذلك بُني الجامع بطريقة تعزز مناعته لمواجهة القذائف التي قد تطلقها المجانيق المستخدمة من الأعداء(2).

وقد أشار المستشرق آدم متز أشار في سياق حديثه عن الطراز المعماري للقباب في الفن الإسلامي إلى تشابه كبير بين هذا الجامع وجامع أحمد بن طولون في مصر(3)، وركز بإعجاب كبير على عنصرين مميزين فيهما، هما: الفواره النحاسية وحوض الماء الرخامي الذي تعلوه القبة الكبيرة(4).

(1) سفر نامه، ص58.

(2) تدمري، تاريخ واثار، ص3.

(3) مسجد أقامه أحمد بن طولون، شيده في سنة (٢٦٣هـ) وأنفق عليه ١٢٠ ألف دينار، واهتم بالأمر الهندسية في بناءه، وغلب عليه طراز سامراء حيث المئذنة الملوية المدرجة. مجموعة مؤلفين، الموسوعة التاريخية، ج2/ ص300.

(4) الحضارة الإسلامية، ج2/ ص104.

في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وجد نقشاً كتابياً على مسجد بناه القاضي جلال الملك ابن عمار خلال فترة حكمه (464-492هـ) تعرض لأضرار جسيمة أدت إلى فقدان معظمه، وبقي منه ما يلي "بسم... آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ... يَخْشَى إِلَا اللَّهَ فَعَسَى أَوْ... تَقَرَّباً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَرَغْبَةً فِي... أَبُو الْحَسَنِ عَلِي بْنِ مُحَمَّدٍ بَن... رُبْعَ مِائَةِ وَجَرَى"⁽¹⁾، والنص في الأصل هو: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أَوْلَيْكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ"⁽²⁾، أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك تقرباً إلى الله ورغبة في ثوابه القاضي... جلال الملك أبو الحسن علي بن محمد بن عمار"⁽³⁾، ولم نقف على السنة التي تم فيها بناء المسجد عن طريق سقوط جزء كبير من النص المنقوش، ومن المحتمل أن يكون بناء هذا المعلم قد تحقق في الفترة التي شهدت تجديد مكتبة طرابلس، إذ تولى جلال الملك عملية تجديد عمارتها وتطويرها في سنة (472هـ)⁽⁴⁾.

كما شهدت طرابلس نهضة عمرانية في مجال عمارة القصور، إذ اهتم بذلك ملوك بني عمار لأنهم جعلوا منها مراكز علمية لعقد المناظرات بين الفقهاء والشعراء وتنظيم المسابقات الأدبية بهدف خلق روح التنافس الثقافي والنهوض بالفكر الإسلامي⁽⁵⁾، واهتموا بإقامة مصانع للورق والحريير والسكر ومشاريع عمرانية أخرى متنوعة مثل: السدود وقنوات الري والحصون والأسوار، ومنها نهر قاديشا، الذي سُمي لاحقاً بنهر أبو علي؛ تخليداً لإسهامات فخر الملك أبي علي ابن عمار في هذا المجال، الذي وضع خطة مبتكرة لتقليل أضرار فيضانات النهر والافادة منه عبر تنظيم مياحه وتوجيهها في أقنية ري منتظمة، مما أسهم في تحسن أوضاع طرابلس وسكانها وفتح آفاقاً جديدة للتنمية⁽⁶⁾.

(1) سالم، طرابلس الشام، ص 70 .

(2) سورة التوبة: آية 18 .

(3) تدمري، تاريخ واثار، ص 4 .

(4) ابن العديم، الانصاف والتحري، ص 50 .

(5) الاصفهاني، تاريخ دولة ال سلجوق، ص 171 .

(6) الامين، الوطن الاسلامي بن السلاجقة والصليبيين، ص 302؛ حاج عمر، المسلمون الشيعة،

ص 64.

كما شيّدوا في طرابلس حصون عديدة، أبرزها حصن انف الحجر⁽¹⁾ وحصن القالمون⁽²⁾، أضافت لها رونقاً حضارياً، وعكست عمق اهتمامهم بالجوانب الدفاعية والتطوير الشامل⁽³⁾، وامتدت إنجازاتهم العمرانية الى خارج حدود دولتهم، إذ ساهموا في بناء الجهة الشرقية من الجامع الكبير في مدينة حلب، وأكد ذلك ابن الشحنة في ذكر مسجدها وما كان بها من الجوامع بقوله: "بني فيه الجهة الشرقية القضاة... الذين كانوا اصحاب طرابلس الشام"⁽⁴⁾.

ومما تقدم يظهر أنّ طرابلس في القرن الخامس للهجرة أصبحت مركزاً عمرانياً وفكرياً متقدماً، وتميزت بكونها واحدة من أبرز المدن الإسلامية في مجال عمارة المساجد والمدارس وجودة تصاميمها، واشتهرت بتحسيناتها الدفاعية المتينة وأسواقها المزدهرة التي كانت مثار إعجابٍ بجمال تخطيطها وإتقان بنيانها.

-
- (1) هو موقع أثري وحصن تاريخي بحري يقع في قضاء الكورة بمحافظة الشمال في لبنان. سُمي بهذا الاسم نظراً لتكوينه الجغرافي الفريد المتمثل في لسان صخري يشبه "الأنف" يمتد عميقاً داخل مياه البحر الأبيض المتوسط ويُعرف حالياً باسم بلدة أنفة. الادريسي، نزهة المشتاق، ج1/ ص229.
- (2) يُعرف حالياً باسم بلدة أنفة هو موقع أثري وحصن تاريخي بحري يقع في قضاء الكورة بمحافظة الشمال في لبنان. سُمي بهذا الاسم نظراً لتكوينه الجغرافي الفريد المتمثل في لسان صخري يشبه "الأنف" يمتد عميقاً داخل مياه البحر الأبيض المتوسط. الامين، دائرة المعارف الاسلامية، ج11/ ص235.
- (3) يُعرف حالياً باسم بلدة أنفة هو موقع أثري وحصن تاريخي بحري يقع في قضاء الكورة بمحافظة الشمال في لبنان. سُمي بهذا الاسم نظراً لتكوينه الجغرافي الفريد المتمثل في لسان صخري يشبه "الأنف" يمتد عميقاً داخل مياه البحر الأبيض المتوسط. الامين، دائرة المعارف الاسلامية، ج11/ ص235.
- (4) الدر المنتخب، ص63.

المبحث الأول

الحروب البيزنطية والصليبية

تعرضت مدينة طرابلس خلال حكم بني عمار في القرن الخامس للهجرة لعدد من التحديات الخارجية التي أثرت سلباً على قدرتها على الصمود، تمثلت بالحروب البيزنطية والصليبية، وبالنتيجة كانت سبباً في سقوطها، وفيما يلي عرض بأهمها:

أولاً- الحروب البيزنطية⁽¹⁾:

سعت الدولة البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع الهجري إلى استعادة قوتها ومكانتها أمام القوى الإسلامية في الشرق، وبرزت تلك المساعي في النصف الأول من تلك الحقبة⁽²⁾ من عهد الأسرة المقدونية⁽³⁾، التي ابتدأت بتولي باسيل الأول⁽⁴⁾ عرش الإمبراطورية البيزنطية في سنة (253هـ)⁽⁵⁾، واستمرت إلى وفاة باسيل الثاني⁽⁶⁾ في عام (416هـ)⁽⁷⁾.

(1) في عام (330 ق.م). نقل الامبراطور قسطنطين الكبير عاصمة الإمبراطورية الرومانية الى مدينة بيزنطة الشرقية بعد اعتناقه الديانة المسيحية وجعلها من ديانات الدولة في روما، ولأسباب دينية كان لابد أن تشيد مدينة مسيحية الصبغة، لتكون عاصمة للإمبراطورية الشرقية بدلا من روما التي أصبحت حصنا للوثنية، لذلك نقل قسطنطين عاصمة الإمبراطورية على شواطئ البسفور في الشرق، إذ تأسست بحدود سنة (657ق.م) على يد جماعة من المستوطنين القادمين من الاغريق، يتقدمهم رجل يدعى بيزاس التي سميت باسمه، وقد تغير اسم العاصمة الجديدة الى روما الجديدة، إلا أن الرجال أثروا إطلاق لفظ قسطنطينية نسبة الى مؤسسها قسطنطين الكبير، وظلت مستوطنة بيزنطية ذات مركز تجاري هام، لأن أوربا كانت تقف خلفها، وآسيا امامها، ويحمي الماء جانبيين من جوانبها، ويحمي الجانب الثالث سور قوي لا تتحكم فيه اية مرتفعات مجاورة. ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص30.

(2) الشامي، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص46.

(3) يضم مجموعة من الابطارة الذين حكموا الامبراطورية البيزنطية من عام (253هـ)، كان أولهم باسيل الاول، وانتهى حكم هذه الأسرة في عهد نفقور الثالث في عام (473هـ)، حيث تولى الحكم في الامبراطورية البيزنطية أسرة جديدة بدأت بحكم الكسبوس كومنين. الشامي، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص51؛ عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص137.

(4) اعتلى للعرش في سنة (253هـ)، ويعد مؤسس الأسرة المقدونية، وكان متدخلاً في شؤون الكنيسة بدرجة كبيرة، واتبع سياسية دينية تختلف عن الحكام السابقين، ووصلت الامبراطورية في عصره إلى أزهى عصورها التاريخية. ينظر: عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص137- ص138.

(5) العريني، الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج1/ ص44.

(6) توج في عام (351هـ)، وقضى السنوات الأولى من حكمه تحت وصاية امه، وكان رجلاً وافر النشاط متين الخلق، قوي العزيمة، واشتهر بالإرادة الحديدية، وبلغ من الشدة مالم يحدث الا عند فئة قليلة من الناس حكم هو وأخوه قسطنطين الثامن مدة من الزمن مقدارها اثنان وخمسون عام. ينظر: العريني، الدولة البيزنطية، ص568- ص570.

(7) العريني، الدولة البيزنطية، ص569.

ففي تلك المرحلة التاريخية حققت الإمبراطورية البيزنطية انتصارات ساحقة على الأطراف الشرقية والشمالية وأصبحت تحت سيطرتها، وقضت على القرصنة في بحر الروم، مما عزز نفوذها⁽¹⁾، وعندما توفي باسيل الثاني شارف عصرها الذهبي على نهايته، لخسارتها الكثير من ممتلكاتها السابقة في الشرق، وأصبح موقع القسطنطينية⁽²⁾ في آسيا الصغرى أقل صلابة⁽³⁾.

ومن أبرز أسباب هذا التدهور، عدم قدرة الأباطرة الذين جاؤوا بعد باسيل الثاني في الاستمرار بالكفاح ضد النبلاء الإقطاعيين⁽⁴⁾، وضعف الدفاعات العسكرية، وانهيار النظام الضريبي، وتملك القادة العسكريين إقطاعيات شاسعة من الأراضي ومجموعات مسلحة من الأتباع⁽⁵⁾، وتعرض التركيب الاجتماعي والاقتصادي للإمبراطورية لتحول جوهري، إذ لم تكتف السلطة الإمبراطورية بالتوقف عن مكافحة الهيمنة الإقطاعية، بل أصبحت هي ذاتها أداة طيعة بيد تلك الطبقة الإقطاعية القوية التي تمكنت لاحقاً من فرض سيطرتها وتحقيق النصر⁽⁶⁾، فضلاً عن نشوب النزاعات بين القادة العسكريين والموظفين الإداريين، مما أحدث اضطرابات كبيرة، إذ أثار الموظفون الإداريون في العاصمة غضب القادة العسكريين، مما دفعهم إلى طلب دعم الجيوش بهدف مواجهة خصومهم داخل العاصمة نفسها⁽⁷⁾.

وزاد الأمر سوءاً تقليص الحكومة عدد الجيش بهدف الحد من نفوذ القادة العسكريين البارزين، فتسبب ذلك في اندلاع حروب داخلية جعلها تشغل عن حماية حدودها وأطرافها⁽⁸⁾،

(1) العريني، الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج1/ ص44.

(2) زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص29.

(3) عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص232.

(4) العريني، الدولة البيزنطية، ص715.

(5) ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص170.

(6) العريني، الدولة البيزنطية، ص716.

(7) مجموعة من الجند المغامرين الذين جاءوا من نورمانديا الى جنوب ايطاليا، ودخلوا في خدمة الأمراء اللومباردين حيث لم تتوفر لهم سبل الحياة في بلادهم، لأن ضياعها اكتضت بما عليها من السكان، فأروا في جنوب ايطاليا نواة لإقامة امبراطورية نورماندية في البحر المتوسط وواتتهم الفرصة بما ساد هذه الجهات من الفوضى والاضطراب، وترجع بداية ظهورهم في ايطاليا عام (408هـ)، حين اشترك جماعة منهم في الفتنة التي اثارها ضد الحكم البيزنطي، ميلو من اغنياء بارى في ابوليا، وذلك أثناء اجتيازهم البلاد لزيارة مشهد القديس ميخائيل على جبل جارجانو. العريني، الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج1/ ص50.

(8) العريني، الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج1/ ص63؛ ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص171.

إلى جانب نشوب نزاع مذهبي داخل الكنائس الشرقية أدى الى وقوعها تحت سيطرة الكنيسة الرومانية الغربية، ومهد الطريق لانتصار الصليبيين في منطقة الشرق الأدنى، فقد ساعدهم ذلك في إنشاء دولة تألف سكانها من المسيحيين الكاثوليك المعارضين للمذهب الأرثوذكسي الذي كان أتباع الإمبراطورية البيزنطية يعتنقونه⁽¹⁾، في وقت تزايد فيه خطر غزوات الشعوب الشمالية أو النورماندية في أوروبا وهجمات السلاجقة في آسيا⁽²⁾، واتسع حجم غارات السلاجقة على حدود الإمبراطورية⁽³⁾.

وعلى الرغم من الضعف الذي مرت به الدولة البيزنطية إلا أنها ظلت قوة مساهمة في إضعاف منطقة الشرق الأدنى عن طريق تمديد نفوذها نحو الشرق والجنوب على حساب القوى الإسلامية التي كانت في حالة نزاع⁽⁴⁾، إذ كانت المنطقة العربية الإسلامية منقسمة إلى كيانات سياسية صغيرة متناحرة، وساد بين حكامها إرث طويل من الشك والريبة تجاه بعضهم البعض، الأمر الذي سهل تقدم قوات الصليبيين⁽⁵⁾.

ونشطت حملاتها على الشرق الأدنى بتولي رومانوس الرابع ديوجنيس⁽⁶⁾، إذ قرر إيقاف غارات السلاجقة، الذين كانوا يتسللون إلى عمق أراضي الإمبراطورية البيزنطية ويغادرونها عبر ثلاث مناطق رئيسية، هي: ثغور شمال بلاد الشام، وثغور أعالي الجزيرة، وبلاد أرمينيا، فوضع خطة استراتيجية لغلق تلك الممرات الحيوية على ثلاث مراحل، وتولى بنفسه قيادة الحملات العسكرية⁽⁷⁾.

(1) الشامي، صلاح الدين والصليبيون، ص 51.

(2) ينظر: قلعي، صلاح الدين الايوبي قصة الصراع، ص 13- ص 17.

(3) العجلي، السلطنة السلجوقية في عصر السلطان الب أرسلان، ص 78.

(4) العريني، الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج 1/ ص 9.

(5) وهبة، تاريخ موجز الحروب الصليبية، ص 17.

(6) قائد عسكري محترف تولى السلطة في الدولة البيزنطية للأعوام (460-463هـ)، يعود اصله الى عائلة استقراطية عريقة من اسيا الصغرى كان مولعاً بالحروب مغوراً بقوته وكفاءته العسكرية ليكون الرجل المنقذ للإمبراطورية البيزنطية حين اعتلى العرش، وقد بدأ عهده بإعداد جيش على قدر من الكفاءة لكن أكثريته من العناصر المأجورة الا انه لم يحقق شيئاً للإمبراطورية، وكانت خسارته في معركة ملاذكرد كارثة للإمبراطورية ووقع الامبراطور اسيراً بيد السلاجقة. ينظر: العريني، الدولة البيزنطية، ص 832؛ عواد، الترك في العصور الوسطى، ص 49- ص 50.

(7) ربيع، دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 186؛ زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص 29.

فقد حملته الأولى في عام (461هـ) نحو أراضي إمارة حلب في الشام والجزيرة، وحقق انتصاراً على محمود بن نصر المرداسي (ت467هـ)⁽¹⁾ ومن كان معه، وبعد أن تمكن من السيطرة على عدة حصون، عاد إلى بلاده بسبب تمرد التركمان القابعين في عمق الأراضي البيزنطية⁽²⁾

وفي عام (462هـ) قاد حملته الثانية نحو بلاد الشام بجيش قوامه ثلاثمائة ألف مقاتل، ووصل إلى منطقة منبج⁽³⁾، وأضرم النار في القرى التابعة لها، وقتل عدداً كبيراً من رجالها وسبى نساءها، مما أثار فزعاً شديداً في حلب والمناطق المجاورة، ومكث هناك ستة عشر يوماً، لكنه عاد مضطراً إلى بلاده نتيجة الغلاء وشح المواد الغذائية وانتشار الوباء، الذي أودى بحياة عدد كبير من جنوده بسبب الجوع⁽⁴⁾.

وتوجه بحملته الثالثة نحو ثغور أعالي الجزيرة، ووصل إلى خلاط⁽⁵⁾، مستغلاً ضعف الأوضاع السائدة هناك وغياب السلطان "ألب أرسلان" مع جيشه في خراسان، لكن ما أن وصلت الأخبار إلى السلطان حتى بادر بجمع جيشه لغرض المواجهة، فاندلعت مواجهة بين الطرفين عند خلاط، تمكن فيها السلطان من إلحاق هزيمة ساحقة بالروم، فقتل عدد كبير منهم وفرّ الباقيون، تاركين وراءهم أعداداً كبيرة من القتلى والجرحى⁽⁶⁾، وعرض بعد ذلك السلطان على الإمبراطور رغبته في عقد هدنة، إلا أن الأخير رفض هذا العرض، قائلاً: " لا أرجع حتى أفعل ببلاد الاسلام ما فعل ببلاد الروم، وقد أنفقت الأموال العظيمة، وكيف

(1) محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الأمير عز الدولة الكلابي، صاحب حلب، ملكها عشرة اعوام، وكان شجاعاً فارساً، جواداً مرض في عام (467هـ) وتوفي على أثره، ولي بعد ابنه نصر فقتله بعض الترك بعد عام. ابن العديم، زبدة الحلب، ج2/ص467؛ ابن عماد شذرات الذهب، ج5/ص290.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج16/ص114؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج31/ص6؛ ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص186.

(3) بلدة قديمة كبيرة فسيحة الأرجاء ملتفة الاشجار مختلفة الثمار، تقع بناحية عمان بينها وبين الفرات مرحلة، وهي من بناء الروم الاول وفيها اسواق عامرة وتجارة. الحميري، الروض المعطار، ص547.

(4) ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج16/ص116؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2/ص14-ص15؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج31/ص7؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1/ص361؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5/ص259.

(5) مدينة كبيرة مشهورة ذات سور حصين بأرمينية، ذات خيرات واسعة وثمرات يانعة وسكانها من المسلمين والنصارى وبقرتها حفائر يستخرج منها الزرنيخ الاصفر والاحمر. القرماني، اخبار الدول، ج3/ص360.

(6) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص102؛ الاصفهاني، دولة آل سلجوق، ص206؛ ابن الجوزي، المنتظم ج16/ص123؛ الراوندي، راحة الصدور، ص188.

أرجع⁽¹⁾، وأعد جيشاً جديداً بلغ تعدادُه ستمائة ألف فارس، وواجه قوات المسلمين في موقع يُدعى الرهوة⁽²⁾ سنة (463هـ)، انتصر فيها السلاجقة، وتكبدت قوات البيزنطيين بخسائر فادحة في الأرواح وأُسر عدد كبير منهم، بما في ذلك الإمبراطور نفسه، وعُرفت تلك الواقعة بمعركة ملاذكرد⁽³⁾.

وعندما رأى السلطان الإمبراطور أسيراً، وبّخه بشدة، وقال له: "الم أرسل... في إمضاء الهدنة فأبيت، ألم أبعث إليك بالأمس أسألك الرجوع، فقلت: قد أنفقت الأموال... فقال: فدعني من التوبيخ والتعنيف وافعل ما تريد، فقال السلطان: فلو كان الظفر لك ما كنت تفعل بي؟ قال: القبيح، فقال: آه، صدق والله، لو قال غير هذا لكذب، هذا رجل عاقل جلد لا يجوز قتله. ثم قال له: ما تظن إلا أن أفعل بك؟ قال: أحد ثلاثة أقسام: أما الأولى فقتلي، والثاني: إشهاري في بلادك التي تحدثت بقصدها، وأما الثالث، فلا فائدة في ذكره، لأنك لا تفعله، قال: وما هو؟ قال: العفو عني، وقبول الأموال والهدنة، واصطناعي، وردّي إلى ملكي مملوكاً لك... فان قتلك لي لا يفيدك، وهم يقيمون غيري، فقال السلطان: ما نويت إلا العفو عنك فاشتر نفسك... حتى استقر الأمر على ألف ألف وخمسة آلاف دينار، وفي الهدنة على ثلاثمائة ألف دينار وستين ألف دينار في كل سنة، وأن ينفذ من عساكر الروم ما تدعو الحاجة إليه"⁽⁴⁾.

وقد أثرت هذه الواقعة بشكل عميق في القسطنطينية، فعزلت الإمبراطور وعيّنت ميخائيل السابع بدلاً منه، واندلعت نتيجة لذلك حرب أهلية بين أنصار الإمبراطور السابق ومؤيدي ميخائيل، وطلب الإمبراطور السابق الدعم من السلاجقة، لكن ميخائيل

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص102؛ ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص388؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2/ ص27

(2) قيل اسمه الزهرة، وه موضع بالصحراء بين خلاط وملاذكرد. ابن العديم، زبدة الحلب، ج2/ هامش رقم (3)، ص26.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص103؛ الفارقي، تاريخ الفارقي، ص189؛ الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق ص208؛ الراوندي، راحة الصدور؛ ص189؛ ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص389؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2/ ص28.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص103؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16/ ص126؛ ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص389، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص185؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج31/ ص13.

السابع ومؤيديه تمكنوا من القبض عليه، وسلموا عينيه، لتنتهي بذلك قصته⁽¹⁾.

وبذلك أصبحت هزيمة البيزنطيين بالقرب من ملازكرد نقطة تحول هامة في تاريخ العالم الإسلامي والتاريخ البيزنطي، فللمرة الأولى يقع الإمبراطور البيزنطي نفسه أسيراً في أيدي المسلمين، وإذا كانت معركة اليرموك⁽²⁾ هي التي حسمت مصير بلاد الشام، فإن معركة ملازكرد حددت مصير آسيا الصغرى، فقد تمكن السلاجقة الأتراك من فتح المنطقة والتوغل فيها، مما مهد الطريق تدريجياً لسقوط الدولة البيزنطية⁽³⁾، وكشفت أن الإمبراطورية البيزنطية لم تعد الحصن المنيع للعالم المسيحي الغربي أو الدرع الذي يحمي أوروبا من التوسع الإسلامي، لذلك صار الغرب بوضع جديد، جعل قادته يمهدون للحروب الصليبية للأخذ بثأرهم من المسلمين⁽⁴⁾.

ومما تقدم نلاحظ أن استمرار الدولة البيزنطية بحروبها ضد القوى الإسلامية، أثر فيها، وأضعفها عن التصدي للغزوات الخارجية، فكان ذلك عاملاً من عوامل سقوط دول إسلامية كثيرة، ومنها: الدولة العمارية في طرابلس.

ثانياً- الحروب الصليبية:

عانى العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري من اضطرابات داخلية كثيرة، أبرزها: هيمنة السلاجقة على الخلافة العباسية، وضعف الخلافة الفاطمية في مصر، والتنازع بين الخلافتين، وهو ما عبر عنه صراحة أحد المصنفين بقوله: "كان المشرق العربي والإسلامي يعيش حالة من الفوضى السياسية والعقائدية لا نظير لها، فقد كان هناك خلافتان: واحدة في بغداد، والثانية في القاهرة، وكانتا على صراع دائم، ونزاع عقائدي مستمر"⁽⁵⁾، وحتى

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص105؛ طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ص138.

(2) معركة حاسمة وقعت بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح وعددهم سبعة وعشرين الفا والجيش البيزنطي بقيادة باهان وعددهم مائتي وأربعين ألف مقاتل وقيل مائة ألف مقاتل في عام (15هـ)، على ضفاف نهر اليرموك في أرض الشام، انتهت بانتصار المسلمين، مما أسهم في ترسيخ الفتح الإسلامي لبلاد الشام ووضع حد للهيمنة البيزنطية في المنطقة. ينظر: ابن الاثير، الكامل، ج2/ ص255-258.

(3) ينظر: ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص290-291.

(4) عطا، الترك في العصور الوسطى، ص51.

(5) مجهول، الاعلام والتبيين، ص29.

بلاد الشام كانت ساحة صراع بين الفاطميين والسلاجقة، في محاولة للطرفين من فرض نفوذهما، مما جعل المنطقة برمتها غير مستقرة وضعيفة في مواجهة أي تحدي، ولاسيما الغزو الصليبي⁽¹⁾.

وهو ما دفع الفاطميين للاعتقاد بأن الميل للسلم مع الصليبيين يجنبهم الحرب، لذلك وجه الخليفة المستعلي بالله الفاطمي وزيره الأفضل بن بدر الجمالي بإرسال سفارة للتفاوض معهم، بهدف إبرام اتفاق معين، مفاده: سيطرة الصليبيين على أنطاكية واحتفاظ الفاطميين ببيت المقدس، والسماح للصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين مع ضمان حرية ممارسة شعائهم الدينية، شرط أن لا تتجاوز مدة إقامتهم شهراً واحداً ولا يدخلوا الأماكن المقدسة مدججين بالسلاح، ورحب الصليبيون بهذه المبادرة، لأنهم رأوا فيها فرصة لتفتيت القوى الإسلامية⁽²⁾، لكن سرعان ما خرقوا هذا الاتفاق وتوجهوا نحو بيت المقدس⁽³⁾، في وقت زاد فيه الفاطميون ضعفاً، فمع ظهور السلاجقة في المنطقة خسروا الكثير من ممتلكاتهم، ولم تنفع جهود بدر الجمالي لاستعادة السيطرة عليها، ولاسيما السواحل الشامية، إذ نجح تاج الدولة تنتش⁽⁴⁾ في السيطرة على حمص وعرقه، وأفامية⁽⁵⁾، وبعد مقتله عام (488هـ)، قُسمت أملاك الشام بين أبنائه: رضوان، الذي استقل بحلب، ودقاق، الذي انفرد بحكم دمشق، مما زاد من حدة الانقسام والضعف⁽⁶⁾.

وفي ذي القعدة من سنة (488هـ)، انعقد مجمع كليرمونت بحضور ثلاثمائة رجل دين مسيحي، ورئاسة البابا أوربان الثاني⁽⁷⁾، الذي كان يزور فرنسا ضمن جولة تفقدية، ألقى خطبة

(1) سرور، سياسة الفاطميين، ص 156.

(2) المعاضيدي، الحياة السياسية في بلاد الشام، ص 120.

(3) ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص 446؛ المعاضيدي، الحياة السياسية في بلاد الشام، ص 121.

(4) أبو سعيد تنتش بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، قُتل على أيدي ابن اخيه بركياروق في عام (488هـ). ابن خلكان، وفیات الاعيان، ج1/ ص 295؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج19/ ص 83؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5/ ص 153..

(5) مدينة حصينة من سواحل الشام، وكورة من كور حمص، قال أبو العلاء المعري: "لولاك لم تسلم أفامية الردى"، ويسمّيها بعضهم فامية بغير همزة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1/ ص 227.

(6) ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص 412.

(7) ولد أوربان الثاني عام (427هـ) في شايبتون سيرمان واسمه أودو، وأصبح راهباً في ديار الكلوني بفرنسا في سنة (461هـ)، والتحق بخدمة البابا المتسلط المؤمن ايماناً بتفوق البابوية على الامبراطورية. سميث، الحملة الصليبية الاولى، ص 12.

في ختامه دعا فيها المسيحيين إلى شن حملة صليبية ضد المسلمين⁽¹⁾، جاء في بعضها: "ينبغي تجريد جيوش المسيحيين في حملة لقهر المسلمين ابتغاء الحصول على التوبة الكاملة التامة"⁽²⁾، وقد استُقبل خطابه بهتافات موحدة من الحضور تعبيراً عن تأييدهم، مرددين "هكذا أراد الرب"، ولاقت دعوته قبولاً واسعاً لدى غالبية فقراء غرب أوروبا في ذلك الوقت، لأنهم رأوا فيها فرصة للهروب من الظلم الإقطاعي الذي كان يُجبرهم على العمل في الزراعة، ويثقل كاهلهم بالديون، ويستنزف أجسادهم بالعمل الشاق، كما حظيت بدعم محدود من الأمراء والنبلاء والإقطاعيين، الذين وجدوا فيها وسيلة لتحقيق مصالح سياسية واقتصادية في الشرق الإسلامي، وتجلى ذلك بشكل خاص في مشاركة المدن التجارية، مثل مدن إيطاليا، حيث صارت أساطيلها البحرية في خدمة قادة الحملات العسكرية ونقل الجنود عبر البحر إلى السواحل الشرقية، وبهذه الصورة نجحت الكنيسة في توجيه الطاقات الحربية في المجتمع الإقطاعي الأوروبي بطبقاته المختلفة، من الفلاحين إلى الملاك الكبار والأمراء، لحملهم على تحقيق أهدافها الدينية والسياسية⁽³⁾.

وهدف الحملات الصليبية التي سُميت بذلك الاسم بسبب استخدام المسيحيين إشارة الصليب على كتفهم الأيمن وفقاً لتعليمات البابا أوربان، كان بسط النفوذ الديني والسياسي ونشر المسيحية في العالم ومحاربة المسلمين الذين كانوا يسيطرون على طرق الحج المسيحي إلى فلسطين، لكنه لم يتحقق كما خططت له الكنيسة، بسبب طغيان مصالح قادة الحملات السياسية والتجارية على الأهداف الدينية⁽⁴⁾.

ولم تكن هذه الحروب سوى امتداد تاريخي للعداء القديم بين الشرق والغرب، لكنها اتخذت صفة شاملة بمشاركة الأوروبيين الفرنجة من معظم البلاد، بعدما كانت الحروب السابقة مقتصرة على مواجهات بين المسلمين والبيزنطيين في الشرق العربي، وكان لفرنسا دور مركزي في تلك الحروب، إذ كانت بمثابة القلب النابض بين الدول الأخرى المشاركة، ومنذ تلك المرحلة ارتبطت السياسة الفرنسية بمصالحها الاستعمارية في بلاد الشام⁽⁵⁾.

(1) تدمري، تاريخ طرابلس، ج 1/ ص 384.

(2) باركر، الحروب الصليبية، ص 23.

(3) تدمري، تاريخ طرابلس، ج 1/ ص 384.

(4) تدمري، تاريخ طرابلس، ج 1/ ص 385.

(5) فشر، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ق 1/ ص 181.

وكانت بلاد الشام في حينها تعاني من التفكك، حيث توزعت مدنها بين حكام وأمرأ يتربص ببعضهم البعض، في ظل خلاف مذهبي حاد بين الفاطميين الشيعة في مصر والسلجوقيين السنة في العراق، الذي تحول إلى مواجهات عسكرية متكررة، وصارت بلاد الشام ساحة لها، مما أدى إلى إنهاكها، في وقت بدأت فيه طلائع جيوش الصليبيين التي وحدتها العوامل الدينية والاقتصادية تغزو أراضيها، مستغلين حالة الصراع بين الفاطميين والسلاجقة، الذين رأوا في وصول الصليبيين فرصة لتحقيق مصالحهم الذاتية، إما بالقضاء على خصومهم أو تقليص خطرهم، مما مهد الطريق للصليبيين للسيطرة على بلاد الشام واحتلال السواحل بأكملها، والاستيلاء على بيت المقدس؛ محققين ما عجزت عنه حملات البيزنطيين التي انطلقت منذ الفتح الإسلامي⁽¹⁾، ومرت الحملات الصليبية على طرابلس بثلاث مراحل، هي:

1- الحملة الصليبية الأولى على طرابلس (492هـ):

بدأت في سنة (491هـ)، وقادها مجموعة من القادة الأوروبيين البارزين، مثل: كونت قبرماندوهيج الكبير، الذي كان أصغر أبناء هنري الأول ملك فرنسا وشقيق الملك فيليب الأول ملكها الجديد⁽²⁾، وجودفروي دي بويون دوق اللورين الأدنى⁽³⁾، وأخوه بلدوين⁽⁴⁾، وبوهموند روبرت جويسكار⁽⁵⁾، وابن اخته تنكريد⁽⁶⁾، وريموند دي تولوز الرابع، كونت دي تولوز⁽⁷⁾ الذي

(1) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص386.

(2) فيليب الأول ابن الملك هنري الأول ملك فرنسا، من ملوك الأسرة الكابيتية الذين حكموا فرنسا في القرن الحادي عشر الميلادي، تولى الحكم في سنة (1060م)، وهو صغير السن بعد وفاة والده، واستمر حكمه حتى سنة (1108م)، وعاصر بدايات الحملات الصليبية. رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية، ج1/ ص109.

(3) انحدر من بيت شرلمان، وولى وظيفة كبيرة لدوق اللورين الأدنى، واشتهر بالتقوى والشجاعة، وكان أول من دخل بيت المقدس من الأمراء، وأصبح حاكماً لمملكة بيت المقدس اللاتينية، وتولى الحكم فيه سنتين. العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج1/ ص272.

(4) كان أكثر ثقافة من أخيه، وقد أسس أول الإمارات الصليبية في الشرق وهي إمارة الرها، وأصبح ملكاً لمملكة بيت المقدس. توديبوس، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص68.

(5) بوهيمند هو ابن روبرت جويسكار النورماندي، توارث عن أبيه الشجاعة، وكان يعمل باقتطاع ملفات الجيش من النورمال، وأصبح أمير انطاكية بعد تعويضه بها. عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص28.

(6) شارك مع خاله بوهمند النورماندي في قيادة الحملة إلى الشرق ووصل إلى القسطنطينية مع الحملة، توفي في سنة (506هـ). حماد، تبادل الأسرى المسلمين والصليبيين، ص57.

(7) كان أحد فرسان القديس بطرس التابع للبابا جريغوري السابع، وسبق له أن حارب المسلمين في إسبانيا، وهو أول من تقدم إلى الحملة بعد خطاب الدعوة مباشرة، وكان عمره ستون سنة، وقد أقسم أنه سيقضي بقية عمره في الشرق. ارستروغ، الحروب المقدسة، ص207.

تميز جيشه بجاهزيته العالية من حيث العدد والسلاح⁽¹⁾، وكان أقوى وأضخم الجيوش التي شاركت في الحملة الصليبية الأولى التي وصلت إلى الشام بعد مغادرتها فلسطين⁽²⁾، وهو أول أمراء أوروبا الذين أبدوا اهتمامهم بالمشاركة في الحملات الصليبية، إذ سعى لتعزيز مكانته وفرض قيادته على طائفة الأمراء العلمانيين، وفي سبيل ذلك، تنازل عن جزء كبير من أراضيه لدير سان جيل واستضاف البابا أوربان الثاني في تولوز⁽³⁾، ليناقدش معه الجهود اللازمة لدعم الحملة، فأرسل البابا بناءً على مشورته مندوبين إلى جنوة بهدف طلب الدعم البحري لنقل الجنود والمؤن والمعدات اللازمة للحملة⁽⁴⁾.

مرت الحملة بأول انطلاقتها بالقسطنطينية⁽⁵⁾، حتى وصلت إلى مدينة نيقية⁽⁶⁾ التي سقطت في يد الصليبيين بعد أن استردوها من السلاجقة في سنة (489هـ)، وتوجهت نحو أنطاكية، وفي الطريق وقعت معركة بين الصليبيين والسلاجقة، انتهت بانتصار الجيش الصليبي، فانقسم المشاركون في الحملة بعد ذلك على قسمين، توجه القسم الأول نحو شرق آسيا الصغرى للقيام بعمليات أخرى، والقسم الثاني الذي شكل غالبية الجيش الصليبي أكمل مسيرته نحو أنطاكية، تمهيداً للوصول إلى بيت المقدس⁽⁷⁾،

فسيطروا على مدينة أنطاكية في سنة (491هـ)، ساعدهم في ذلك خيانة أحد قادة حامية المدينة⁽⁸⁾، وواصلوا تقدمهم للاستيلاء على بلدة الروج⁽⁹⁾، ثم مدينة البارة⁽¹⁰⁾.

(1) فشر، تاريخ أوربا العصور الوسطى، ق1/ ص182.

(2) رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية، ج1/ ص483.

(3) مدينة تقع في جنوب فرنسا على نهر الغارون، وهي من أقدم المدن الفرنسية وأكثرها أهمية تاريخية، وقد عُرفت في العصور الوسطى كمركز سياسي وتجاري مهم. طقوش، تاريخ الحروب الصليبية، ص56.

(4) ينظر: رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية، ج1/ ص165- ص167.

(5) الحميري، الروض المعطار، ص471. ينظر ملحق رقم (8)

(6) نيقية عاصمة السلاجقة الروم خدمها قلع أرسلان زمن الحملة الصليبية الأولى، تقع على مسافة قريبة من خليج نيقوميديا وقد اشتهرت بحصانتها ومئات أسوارها والبحيرة في جنوبها، ويرجع إنشاؤها إلى عام (356ق.م). يوسف، الإسلام والمسيحية، ص22.

(7) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص386.

(8) توفيق، مملكة بيت المقدس، ص5.

(9) كورة مشهورة في غرب حلب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3/ ص76.

(10) بلدة وكورة في نواحي حلب وبها حصن وهي ذات بساتين ويسمون بها زاوية البارة. ياقوت الحموي، معجم البلدان ج1/ ص76

واجتمع قادتهم في أنطاكية لمناقشة المستجدات، ولاسيما بعد بروز الخلافات بين ريموند وبوهموند، فقرروا المضي قدماً نحو بيت المقدس، وتوجهت جيوشهم إلى معرة النعمان⁽¹⁾، التي أبدت مقاومة مُشْرِفة استمرت نحو أسبوعين، سقطت بعدها، وقاموا بأعمال وحشية من قتل وتعذيب⁽²⁾، واستمر زحفهم تحت قيادة ريموند الصنجيلي، فاستولوا على مدينة كفرطاب، ثم قرروا عند شيزر⁽³⁾ اعتماد طريق داخلي نحو بيت المقدس بناءً على اقتراح تانكرد، مخالفين رأي ريموند الذي فضّل الطريق الساحلي للحصول على الإمدادات عبر البحر، فمرت الحملة عبر قلعة مصياف⁽⁴⁾ في أوائل سنة (492هـ)، واستولت على بعرين⁽⁵⁾، ثم رفنيه⁽⁶⁾، ثم مرقية⁽⁷⁾.

فوصلت الحملة إلى طرابلس في سنة (492هـ)، واستقبل ريموند رسل فخر الملك بن عمار، الذي سعى لتجنب خطر الحملة على إمارته وتفاذي القتال عن طريق التفاوض، فنقل الرسل رغبة أميرهم في التشاور بشأن التدابير اللازمة لعبور الحملة بسلام عبر إمارته، وعرضوا أن تُرفع أعلام تولوز على أسوار المدينة⁽⁸⁾، فوافق ريموند على ذلك ليختصر الوقت ويضمن استمرار تقدّم الحملة نحو القدس، وأرسل بعثة للتفاوض حول شروط الاتفاقية، وصلت إلى طرابلس مع وقت انشغال المزارعين بحصد المحاصيل الزراعية كالبقوليات والقمح وغيرها⁽⁹⁾.

فحين دخل الوفد المدينة وتجول في أسواقها، أذهلهم ما رأوه من ثروة عظيمة وعمارة جميلة، فنقلوا ذلك عند عودتهم إلى ريموند⁽¹⁰⁾، ونصحوه بالتعامل بصرامة مع أمير المدينة،

(1) من المناطق التي تقع قرب دابق في الشمال. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1/ ص 433.

(2) علي، مختصر تاريخ العرب، ص 287.

(3) قلعة تشمل على كورة في الشام قرب المعرة بينها يوم واحد وهي من كور حمص. ياقوت الحموي معجم البلدان، ج 5/ ص 324.

(4) مصياف حصن مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامي قرب طرابلس، يقع في جبال اللاذقية، شهد معارك عديدة، وكان يعرف قديماً بمصياد لكثرة الصيد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5/ ص 144.

(5) بعرين هكذا عند العامة، وهي بارين بكسر الراء، مدينة حسنة بين حلب حماة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1/ ص 452.

(6) كورة ومدينة من أعمال حمص. البغدادي، مرصد الاطلاع، ج 2/ ص 63.

(7) بلدة وقلعة حصينة تشمل على ساحل بحر الشام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5/ ص 108.

(8) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج 1/ ص 380.

(9) ينظر: مجهول، اعمال الفرنجة، ص 112- ص 113.

(10) عاشور، الحروب الصليبية الاولى، ص 220.

مؤكدین أنه لن یتردد فی قبول الاتفاقية حفاظاً على سلام إمارته واستقرارها⁽¹⁾، لضمان امتثال الأمير لمطالبهم، واقترحوا علیه مهاجمة منطقة عرقة كوسيلة ضغط إضافية، ولتفادي اتهام الصليبيين بنكثهم الاتفاق المبدئي مع ابن عمار، أطلقوا شائعة مفادها: أن ريموند قد صرح بعدم قبول أي صلح مع أمير طرابلس إلا إذا اعتنق المسيحية⁽²⁾، فأخذ ريموند بنصيحة مستشاريه وتحرك بجيوشه نحو أنطرطوس الواقعة ضمن حدود إمارة بني عمار، ثم حاصر مدينة عرقة، حتى وصل إلى المدينة، فسارع فخر الملك إلى مراسلته من جديد في محاولة لثنيه عن مهاجمة المدينة، وعرض عليه اتفاقية سلام تضمنت دفع مبلغ مالي كتعويض، وعبر عن حسن نواياه بإرسال عشر جياذ وأربعة بغال وبعض المال⁽³⁾، وفي الوقت نفسه نفذ مناورة برفع الأعلام الصليبية فوق أسوار طرابلس وبعض المواقع الأخرى التابعة لإمارته⁽⁴⁾، في وقت كان فيه سكان عرقة يعملون بجد واجتهاد على تعزيز حصن المدينة ويظهرون شجاعة استثنائية في الدفاع عنها⁽⁵⁾.

واستمرت غارات الصليبيين على المناطق القريبة من طرابلس، وكانوا يهاجمون الرعاة والمزارعين والتجار الوافدين إلى المدينة، ويصلون النهر الذي يبعد أربعة كيلومترات فقط عنها، فخرج ذات يوم أربعة عشر فارساً صليبياً في غارة سريعة اتجاه طرابلس، وصادفوا مجموعة من الترك بلغ عددهم ستين، ينقلون الرجال والحيوانات والبضائع، فباغتوهم وقتلوا منهم ستة رجال منهم واستولوا على ما بحوزتهم⁽⁶⁾.

وشدد ريموند بحصار عرقة، لكن أهلها استبسلوا في الدفاع عنها، ولم يكن لديه ما يكفي من القوات لتطويق جميع جهات المدينة، لذلك طلب من المحاصرين لجلة أن يسرعوا إليه، وقد وجد معارضة في ذلك من قبل تانكرد الذي رأى أن حصار المدينة والتوقف عند الحصون الأخرى مضيعة للوقت، وعلى الجيش أن يسير مباشرة إلى بيت المقدس⁽⁷⁾، لكنه وافق على مضض، ووجه المرابطين عند جبلة بالالتحاق بالقوات المحاصرة لمدينة عرقة، في وقت شق فيه مجموعة من الصليبيين هجوماً على ربض طرابلس، حيث "وجدوا خارج المدينة

(1) رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية، ج1/ص381.

(2) مجهول، أعمال الفرنجة، ص109.

(3) المصدر نفسه، ص106.

(4) عاشور، الحركة الصليبية، ج1/ص130.

(5) مجهول، أعمال الفرنجة، ص110.

(6) المصدر نفسه، ص110.

(7) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص391.

جماعة من الترك والعرب والشرقيين... فحملوهم على الفرار وقتلوا فئة كبيرة من اشراف البلد، واستمر القتل في الكفرة وتدفقت الدماء حتى اصطبغت المياه التي تغذي المدينة، والابار باللون الاحمر القاني، وعمهم الحزن والأسى واشتد الذعر بالباقيين⁽¹⁾.

واستمروا في محاصرة مدينة عرقة وحاولوا مراراً اختراق أسوارها من دون جدوى على الرغم من الدعم الذي تلقاه من السفن الإنجليزية والجنوية التي زودته بالذخيرة والمواد الغذائية⁽²⁾، ومع استنزاف قواهم وانحسار عزيمتهم على مواصلة الحصار، حاول ريموند تحفيزهم باستعانتته برواية نقلها فلاح صليبي يُدعى بطرس بارثولميوس، زعم فيها أن السيد المسيح والقديسين بطرس وأندرياس قد ظهروا له وشجعوه على القيام بهجوم جديد على المدينة⁽³⁾، لكن قوبلت محاولته هذه بالتشكيك، إذ لم يقتنع غالبية الجنود بصحتها⁽⁴⁾، بل وشككوا في مصداقية ما سماه بالحربة المقدسة⁽⁵⁾ التي كان قد زعم انه اكتشفها في أنطاكية⁽⁶⁾، فبذل جهداً كبيراً لإقناعهم، مستعيناً بمجموعة من القساوسة الذين أكدوا صحة ما روج له من قصص وملاحم دينية⁽⁷⁾.

وبعد حصار استمر أكثر من أربعة أشهر⁽⁸⁾، اضطر ريموند إلى رفعه؛ لاستنزاف قوى مقاتليه من دون جدوى، مما سبب له إحباطاً دفعه للانسحاب نحو طرابلس، ذكر الذهبي بعض التفاصيل بخصوص هذا الأمر: "حكي لي أن سبب أخذ الفرنج لها أن ابن صنجيل جرى له أمر أوجب خروجه عن بلاده، فركب البحر ولجج فيه، وتوقفت عليه الريح، ثم رماه الموج إلى الساحل، فنزل بساحل طرابلس، فسير إليه ابن عمار يسأله عن أمره، فأخبره بأنه نزل يستريح ويتزود،... واستولى على بر طرابلس، ولم يزل مصابراً لها وكلما له يقوى ويكثر جمعه، ويضعف أهل البلد، ولا ينجد ابن عمار أحد، ثم حصل الاتفاق على أنه يخرج منها بجميع ماله إلى عرقة، فخرج إليها، وأقام بها مدة ثم فارقها، وقوي شأن الفرنج بالساحل. ثم صلح أمر ابن صنجيل في بلاده التي بالبحر"⁽⁹⁾.

- (1) ينظر: مجهول، اعمال الفرنجة، ص111- ص112.
- (2) ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص467؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص112.
- (3) رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية، ج1/ ص385.
- (4) باركر، الحروب الصليبية، ص44.
- (5) يُقصد بالحرية المقدسة، الحرية التي اخترقت جنب السيد المسيح (عليه السلام)، وذكر ابن الأثير ان قصة العثور عليها في انطاكية لم تكن سوى عملية مبتدعة. الكامل، ج8/ ص419؛ وينظر: رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية، ج1/ ص348- ص349.
- (6) الكامل، ج8/ ص420؛ وينظر: رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية، ج1/ ص348- ص349.
- (7) ينظر: رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية، ج1/ ص385- ص386.
- (8) ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص419.
- (9) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51/ ص26،

وهكذا نزلت القوات الصليبية عند طرابلس في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ذو الحجة سنة (492هـ)⁽¹⁾، وزعم مصنف كتاب أعمال الفرنجة أن ريموند ذكر طبيعة التنازلات التي قدمها له أمير طرابلس بهدف إبعاد أذى الحرب عن امارته، بقوله: "سلمنا أميرها أكثر من ثلثمائة حاج كانوا في أسره، وإعطانا خمس عشرة ألف قطعة ذهبية، وخمس عشرة هدية غالية القيمة، وأمدنا أيضاً ب ذخيرة كبيرة من الجياد والحمير، وشتى أنواع المحاصيل التي أغنت جميع جند المسيح، واتفق مع زعمائنا على أن يتنصر ويتسلم أرضه منهم اذا هم استطاعوا الظهور على خليفة مصر في الحرب التي أعدها لهم واذا تمكنوا من امتلاك بيت المقدس"⁽²⁾.

والواقع ان هذه الرواية لا يمكن قبولها؛ لأنها أحادية المصدر، ومحتواها يتناقض مع ما ذكرته المصادر العربية، ومن ذلك وصف ابن الأثير لفخر الملك بـ: "ظهر من ابن عمار صبر عظيم، وشجاعة ورأي سديد"⁽³⁾، وجهاده لمدة طويلة ضد الصليبيين⁽⁴⁾، وموضوع تنصره -إن صح - فهو لا يخرج عن كونه مناورة سياسية لإبعاد خطر الصليبيين عن امارته في ظل عدم وجود داعم له، فحتى الدولة الفاطمية الشيعية كانت مكتوفة اليدين تجاههم، معتبرة وجودهم فرصة للقضاء على أعدائهم السلاجقة⁽⁵⁾، في وقت حرص هو فيه على امارته وجعل منها قلعة صامدة بوجه كل التحديات.

وصل الصليبيون إلى أسوار بيت المقدس في عام (492هـ)، وكان افتخار الدولة حاكم المدينة من قبل الدولة الفاطمية قد اتخذ جميع التدابير لمواجهة الهجوم المتوقع، فعمد إلى تسميم آبار المياه وقطع مواردها، وأخفى المواشي وطرد جميع المسيحيين لشعوره بالخطر الذي قد يشكله تعاطفهم مع المهاجمين، وقرر خوض القتال ورفض الاستسلام⁽⁶⁾.

فقسم الصليبيون قواتهم على مجموعات لتطويق المدينة من جميع منافذها، بهدف منع المسلمين من التواصل مع الخارج، وتولى جودفري قيادة القوات في الجهة الشمالية الغربية من المدينة، حيث امتدت قواته حتى باب يافا، وانضمت إليه وحدات تنكرد، وتمركز ريموند كونت

(1) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ ص393.

(2) مجهول، أعمال الفرنجة، ص113.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص527.

(4) المصدر نفسه، ج8/ ص526.

(5) عاشور، الحركة الصليبية، ج1/ ص235.

(6) المرجع نفسه، ج1/ ص241؛ العريني، الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج1/ ص267.

صنجيل جنوباً لبعض الوقت لكنه سرعان ما انتقل مع جنوده إلى ناحية جبل صهيون التي اتخذها قاعدة له، وفي الاتجاه المقابل، وقف روبرت دوق نورماندي وجانبه روبرت كونت فلاندر مقابل باب دمشق، بينما ظلت الجهة الشرقية خالية من المهاجمين الصليبيين⁽¹⁾.

وشددوا في الحصار على المدافعين داخل أسوار المدينة، وكثفوا هجوماتهم بالمنجنيق، لكنهم واجهوا مقاومة شجاعة، أدت إلى نقص ذخائرهم وشح مياههم في وقت كانت فيه درجات الحرارة عالية، وقد استغل المدافعون هذه الظروف وشنوا هجمات مباغطة وسريعة على الصليبيين اربكت قواتهم وأضعفت معنوياتهم⁽²⁾، فقرر الصليبيون بناء برجين من أخشاب أسقف المنازل المدمرة، لتجاوز أسوار المدينة، وشنوا هجوماً باستخدامهما، فتمكن المسلمون من إحراق البرج الأول باستخدام السهام المشتعلة، لكن الصليبيين واصلوا الضغط باستخدام البرج الثاني، ودخلوا المدينة عبر الأسوار، وفتحوا الأبواب من الداخل بعد حصار استمر أربعين يوماً، وتدفقوا داخل المدينة بكثافة في يوم الجمعة، الثاني والعشرين من شعبان سنة (492هـ)⁽³⁾.

فنشروا القتل والدمار بلا هوادة، مستهدفين المسلمين بمختلف الأعمار والأجناس من دون تمييز أو رحمة، وعندما احتموا بالمسجد الأقصى بحثاً عن الأمان، اقتحموا المسجد وارتكبوا بداخله مجزرة دموية مروعة تجاوزت كل الحدود، وقال ابن تغري في وصفها: "هرب الناس إلى الصخرة والأقصى واجتمعوا بها فهجموا عليهم وقتلوا في الحرم مائة ألف وسبوا مثلهم وقتلوا الشيوخ والعجائز وسبوا النساء وأخذوا من الصخرة والأقصى سبعين قنديلاً منها عشرون ذهباً في كل قنديل ألف مثقال ومنها خمسون فضة في كل قنديل ثلاثة آلاف وستمئة درهم بالشامي وأخذوا تنورا من فضة زنته أربعون رطلاً بالشامي وأخذوا من الأموال ما لا يحصى"⁽⁴⁾.

ووصفها مؤلف مجهول بقوله: "جرت مذبحة مروعة فكان رجالنا يخوضون حتى كعوبهم في دماء القتلى"⁽⁵⁾، وقال الشارترى: "في معبد سليمان جرت مذبحة بين المسلمين، أجهزت على حوالي عشرة آلاف منهم، ولو كنت هناك فأن قدمك حتى كاحلها ستتلتخ بالدماء لم يسمح لواحد من المسلمين بالبقاء حياً حتى النساء والاطفال والشيوخ لم ينجوا

(1) مجهول، اعمال الفرنجة، ص114- ص115

(2) حبشي، الحرب الصليبية الاولى، ص174

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص136- ص137؛

(4) النجوم الزاهرة، ج5/ ص149.

(5) اعمال الفرنجة، ص 118- ص119

من الذبح⁽¹⁾، وبالأطار نفسه قال الصوري: "لم تأخذ الصليبيون الرحمة بالمسلمين فشهدت المدينة مذبحه فظيعة الشناعة، وكان الدم المسفوك مخيفاً، حتى ان المنتصرين انفسهم ساورهم الاحساس بالخوف وشعروا بالنتقز... وكان من المستحيل ان يطالع المرء كثرة القتلى دون ان يستولي عليه الفرع، فقد كانت الاشلاء البشرية في كل ناحية، وغطت الأرض دماء المذبوحين، ولم تكن مطالعة الجثث التي فارقتها رؤوسها ورؤية الاعضاء المبتورة المبعثرة في كل الأرجاء هي وحدها أثارت الرعب في نفوس من شاهدوها"⁽²⁾.

ولم يقتصر الصليبيون على القتل والتدمير، بل شمل تحويل جميع المساجد إلى كنائس، وأبرزها تحويل مسجد قبة الصخرة إلى كنيسة لاتينية، أطلقوا عليها اسم (معبد السيد)، واستخدموا المسجد الأقصى الذي تعرّض لدمار كبير لأغراضهم الخاصة، وأطلقوا عليه تسمية (معبد سليمان)⁽³⁾.

يتضح مما تقدم من أعمال حجم تعصب الصليبيين وبغضهم تجاه المسلمين ومساجدهم، وهو على النقيض تماماً من نهج المسلمين المتسامح الذي اتبعوه مع كنائس المسيحيين، إذ عاش النصارى وسطهم بهدوء وسلام، ومارسوا شعائرهم الدينية بحرية وأمان⁽⁴⁾، واتخذوا قراراً بتعيين الدوق جودفري أميراً على البلاد، وأرنولف مالكورون⁽⁵⁾ بطريكاً⁽⁶⁾ لها⁽⁷⁾.

وبعد استقرار الأمور في بيت المقدس تحت سيطرتهم، توجهت أنظارهم نحو السيطرة على مدن فلسطين الأخرى، ولم يواجهوا صعوبة في ذلك، إذ إن سقوط بيت المقدس أثار حالة من الذعر بين سكان القرى والمدن المجاورة، فضلاً عن افتقار تلك المدن إلى وسائل الدفاع

(1) تاريخ الحملة الى بيت المقدس، ص 137.

(2) الحروب الصليبية، ج 2/ ص 126- ص 127.

(3) زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص 123.

(4) ينظر: ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص 149- ص 150.

(5) رجل دين فرنسي بارز في الحملة الصليبية الأولى، عُيّن كأول بطريك لاتيني للقدس عام (492هـ)، وكان مرافقاً لروبرت النورماندي، واشترك بالحملة الصليبية بصحبة أدو أوف بوي شقيق وليم الفاتح. البيشاوي، الممتلكات، ص 107 هامش 2.

(6) منصب ديني مسيحي ولقب يُطلق في المسيحية على رئيس رؤساء الأساقفة على أقطار معينة أو في طائفة من الطوائف وهو من الألفاظ التي لها علاقة بالدرجات والرتب الدينية عند النصارى، وقد ذهب علماء اللغة إلى أن البطرك هو مقدم النصارى. الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ص 246.

(7) مجهول، أعمال الفرنجة، ص 120.

الكافية، فكانت نابلس أولى المدن التي سقطت بعد القدس، حيث سلمها سكانها من دون مقاومة، فدخلها تتكرر في سنة (492هـ) وعين عليها حاكماً بأمره⁽¹⁾.

ومما تقدم نلاحظ كيف استنزفت الحملة الصليبية الأولى دول المسلمين، ومنها دولة بني عمار في طرابلس، ولأسيما أن الصليبيين كانوا بأول انطلاقتهم مدعومين من الكنيسة والمجتمع الغربي، فالمسلمون فكانوا في حالة كبيرة من التمزق والخلافات الداخلية، فحققت الحملة الكثير من أهدافها، وأهمها: الاستيلاء على بيت المقدس، ليكون الطريق للسيطرة على طرابلس وغيرها من مدن ودول السلام أكثر يسراً أمامهم.

2- الحملة الصليبية الثانية على طرابلس (495هـ):

أسهم ريموند الصنجيلي في الاستيلاء على أنطاكية، لكن بوهيمند استحوذ عليها لنفسه، ودخل معرة النعمان، إلا أنه تخلى عنها نتيجة الضغط، وسيطر على أنطرسوس وحاصر عرفة، لكنه أجبر من قادة الحملة الصليبية على تركها، والانضمام إليهم في زحفهم نحو بيت المقدس، وتكرر الأمر ذاته في أماكن أخرى منها عسقلان⁽²⁾، وأرسوف⁽³⁾، في فلسطين⁽⁴⁾.

إذ كان هذا الرجل صاحب طموح كبير لكن حظه قليل، مما دفعه إلى التفكير بتأسيس إمارة خاصة به تسيطر على الطريق الساحلي والطريق الداخلي الذي يربط بيت المقدس عبر وادي العاصي، مع اختيار مدينة حمص لتكون عاصمته، وركّز اهتمامه على استيلاء المدن الساحلية، وهو هدف لم يكن تحقيقه ممكناً إلا بمساعدة أسطول جنوة⁽⁵⁾.

وفي سنة (495هـ) جاءت الحملة اللومباردية لتشكل فرصة ثمينة له لتأسيس إمارته في طرابلس، إذ انطلقت هذه الحملة من إيطاليا بثلاث موجات، لكنها تعرضت للهزيمة في آسيا الصغرى باستثناء مجموعة صغيرة، استغلها هو للسيطرة على مدينة أنطرسوس التي كانت

(1) مجهول، أعمال الفرنجة، ص120؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج1/ ص254

(2) مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويقال لها عروس الشام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4/ ص122.

(3) من مدن بلاد الشام الساحلية بين قيسارية ويافا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1/ ص192.

(4) طقوش، تاريخ الفاطميين، ص449.

(5) رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2/ ص95.

تابعة لبنو عمار في العام نفسه⁽¹⁾، وفرض حصاراً برياً وبحرياً على المدينة لغرض السيطرة عليها⁽²⁾، قال أبو الفداء: "سار صنجيل إلى أنطرطوس ففتحها، وقتل من بها من المسلمين"⁽³⁾، فاضطر فخر الملك إلى طلب الدعم من المسلمين لمواجهة الصليبيين، حيث لجأ إلى ملك دمشق دقاق وأمير حمص جناح الدولة⁽⁴⁾، فاستجابا لطلبه، وتحركت جيوشهما نحو أنطرطوس، وانضمت إلى قواته هناك، وواجهوا الجيش الصليبي في معركة حاسمة، إلا أنهم انهزموا وتكبدوا خسائر فادحة⁽⁵⁾، ومن ثم تحولت المدينة إلى قاعدة عسكرية متقدمة لعملياته ضد طرابلس، وأصبحت النواة الأولى لتحقيق طموحه في تأسيس إمارته الصليبية في بلاد الشام⁽⁶⁾.

اتجه بعدها نحو طرابلس وفرض حصاراً عليها في سنة (495هـ)⁽⁷⁾، في جمع قليل⁽⁸⁾ لا يزيد على ثلاثمائة رجل⁽⁹⁾، وعندما وصل الصليبيون إلى مشارف طرابلس، أدرك فخر الملك أهمية الدعوة إلى تحالف إسلامي لمواجهة الخطر الصليبي، وأيقن أن إمكانية التصدي لهم قائمة بسبب قلة أعدادهم⁽¹⁰⁾، لذا قال: "من الصواب أن يعاجل صنجيل، إذ هو في هذه العدة القريبة"⁽¹¹⁾، وفي السياق نفسه قال النويري: "مضى صنجيل مهزوماً في ثلاثمائة، فوصل إلى الشام، فأرسل فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس إلى الأمير جناح الدولة

(1) الصوري، الحروب الصليبية، ج2/ ص228؛ عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص40.

(2) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص405.

(3) ينظر: المختصر، ج2/ ص33-34؛ اسماعيل، تاريخ السلاجقة، ص213-214؛ يني، تاريخ سوريا، ص307.

(4) اسمه الحسين بن ملاعب، كان مجاهداً وشجاعاً يباشر الحروب بنفسه، توفي في سنة (495هـ). الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10/ ص521؛ الصفي، الوافي بالوفيات، ج13/ ص50.

(5) مرآة الزمان، ج1/ ص385؛ علي، خطط الشام، ج1/ ص257.

(6) علي، خطط الشام، ج1/ ص258.

(7) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص140؛ ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص473؛ الذهبي، دول الإسلام، ج1/ ص431؛ تاريخ الإسلام، ج10/ ص521؛ مجهول، الاعلام والتبيين، ص67.

(8) بعد فشل ريموند الصنجيلي في أن يكون ملكاً لبيت المقدس التجأ إلى القسطنطينية لمقابلة الإمبراطور البيزنطي كومنين والتفاهم معه، وبينما كان هناك وصلت الحملة الصليبية الثانية (حملة المباردين) فاقترح عليه الإمبراطور أن يترأسها، وبعد فشل هذه الحملة استغل بقايا القوات الصليبية وتوجه إلى الشام فالتقى بعساكر قلج أرسلان وخسر الصليبيون أمام السلاجقة لذلك بقي معه عدد قليل توجه بهم إلى طرابلس. ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص473؛ الزين، تاريخ طرابلس، ص88-89.

(9) ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص473.

(10) المصدر نفسه، ج8/ ص473.

(11) الكامل، ج8/ ص473.

بحمص وإلى الملك دقاق بدمشق يقول: من الصّواب معالجة صنجيل إذ هو في العدد اليسير⁽¹⁾.

فبادر بالتواصل مع الأمير ياخز⁽²⁾ في حمص، والملك دقاق بن تتش في دمشق، فاستجابا لطلبه وأرسلا له أكثر من ألفي مقاتل، واجتمع الجميع عند بوابة المدينة طرابلس⁽³⁾، وعندما شاهد ريموند الصنجيلي صفوف المسلمين، قرر تنظيم قواته عبر تقسيمها على أربع فرق⁽⁴⁾، قال ابن الأثير: "فأخرج مائة من عسكره إلى أهل طرابلس، ومائة إلى عسكر دمشق وخمسين إلى عسكر حمص، وبقي هو في خمسين، فأما عسكر حمص فانهم انكسروا من المشاهدة وولوا منهزمين، وتبعهم عسكر دمشق، وأما أهل طرابلس فانهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم، فلما شاهد ذلك صنجيل حمل في المائتين الباقية فكسروا أهل طرابلس، وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل، ونازل صنجيل طرابلس وحصرها"⁽⁵⁾.

والمأمل في هذه الرواية يلحظ أن فيها مبالغة، إذ يصعب تصديق أن مائة من الصليبيين تفوقوا على ألفين من جنود دمشق، وأن خمسين آخرين هزموا جيش حمص، ناهيك عن مائتين انتصروا على قوات طرابلس وحاصروا المدينة، خاصة أن جيوش المسلمين كانت معروفة بتفوقها العددي، فمن اللافت أن فقط نجدات دمشق التي أرسلت إلى طرابلس بلغت ألفي مقاتل، هذا عدا قوات حمص وطرابلس نفسها، فهل يعقل أن يتمكن ثلاثمائة فقط من الصليبيين من هزيمة هذا الجمع الكبير؟ فضلاً عن ذلك، يبدو أن هناك مبالغة مفرطة في تقدير عدد القتلى بين صفوف المسلمين، فهو يتناقض مع ما ذكرته بعض المصادر التاريخية الأخرى⁽⁶⁾، ووصول الجيش الفاطمي لدعم بنو عمار في معركتهم ضد الصليبيين في سنة (495هـ)، ومواجهة قوات دمشق وحمص⁽⁷⁾، قال صاحب كتاب الاعلام والتبيين: "في سنة خمس وتسعين واربعمائة نازل الفرنج طرابلس الشام، فتوجه لنصرتها عسكر مصر، وعسكر

(1) نهاية الأرب، ج28/ص261.

(2) كان أميراً على حمص، وقد تملكها بعد موت جناح الدولة في سنة (495هـ). ابن الأثير، الكامل، ج8/ص473.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص473.

(4) النويري، نهاية الأرب، ج28/ص168.

(5) الكامل، ج8/ص473.

(6) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص141؛ مجهول، الاعلام والتبيين، ص67.

(7) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص141.

دمشق وحمص، فبرز لهم بلودين صاحب القدس، فقتلوا معظم فرسانه، وانهزم وثلاثة أنفس⁽¹⁾، ثم عاد عسكر دمشق فكشفوا عن طرابلس⁽²⁾.

وعلى الرغم من تمكن ريموند الصنجيلي من تحقيق انتصار على القوات الإسلامية خارج مدينة طرابلس، إلا أنه لم ينجح في إقناع المدافعين عن المدينة بفتح أبوابها، على الرغم من وصول تعزيزات من النصارى وأهل الجبل في لبنان لدعمه، لأن قوات طرابلس تصدت بشجاعة، حتى تمكنت من قتل ثلاثمائة رجل منهم⁽³⁾؛ فتعذر عليه دخول المدينة، واختار مصالحة فخر الملك مقابل المال والخيول، ثم انسحب متوجّهاً إلى أنطربوس في سنة (495هـ)⁽⁴⁾.

ومما تقدم نلاحظ أن الحملة الصليبية الثانية قد استهدفت طرابلس؛ فكانت وجهاً لوجه مع الدولة العمارية، ومع استبسال بنو عمار في الدفاع عن مدينتهم، واجبارهم للصليبيين بالحكمة والشجاعة على قبول المصالحة، إلا أن هجماتهم استنزفت قوى بنو عمار وأثرت في الأحوال العامة لمجتمع طرابلس، مما كان ايذاناً بضعف مقاومتهم وامكانية استلاء بنو عمار عليهم في وقت لاحق.

3- الحملة الصليبية الثالثة على طرابلس وبداية الحصار الاقتصادي (495-497هـ):

عندما استقر ريموند الصنجيلي في قاعدته الجديدة بمدينة أنطربوس منتظراً الفرصة المناسبة لاستئناف القتال مع أهل طرابلس، شن في أثناء ذلك هجوماً على حصن الأكراد، الذي كان يتميز بموقعه الاستراتيجي المثل على المنطقة الممتدة بين أنطربوس وطرابلس من جهة وحمص من جهة أخرى، فسيطر عليه في سنة (493هـ)، إلا أن أمير حمص سرعان ما تمكن من استرداده⁽⁵⁾.

وواصل جهوده للاستيلاء على طرابلس، واستمر بالضغط عليها بشن غارات مفاجئة ومحاصرتها، وكان تأثير ذلك على طرابلس غير كبير؛ بفضل ميناؤها المفتوح الذي أتاح لها

(1) اختبى بعد هزيمته في اجمة قصب، فطرح المسلمون فيها النار فأصيب، وكان هذا من أسباب موته فيما بعد. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 141.

(2) مجهول، ص 7.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج 8/ ص 473؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28/ ص 168.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج 8/ ص 474؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28/ ص 169.

(5) عاشور، جهاد المسلمين، ص 140.

استمرار تدفق المواد الغذائية إليها، فدعم ذلك قدرتها على الصمود⁽¹⁾، وعزز سياسة فخر الملك الناجحة في احتواء المواقف، وجهوده المستمرة التي اتسمت بالإصرار والتقاني من دون كلل أو استسلام⁽²⁾، وفي سنة (496هـ) "كان صنجيل يحاصر مدينة طرابلس الشام والمواد تأتيها، وبها فخر الملك ابن عمار، وكان يرسل أصحابه في المراكب يغيرون على البلاد التي بيد الفرنج ويقتلون من وجدوا، وقصد بذلك أن يخلو السواد ممن يزرع لتقل المواد من الفرنج، فيرحلوا عنه"⁽³⁾.

فقد كانت مهمته ذات طبيعة مزدوجة، جمعت بين الجانب الدفاعي والهجوم في آن واحد، فمن جهة تصدى لمحاولات الصليبيين المحاصرين لاجتياح مدينته بشراسة، ومن جهة أخرى كان يشن هجمات مضادة لاستعادة المدن والمناطق التي وقعت تحت سيطرتهم.

وفي الوقت الذي كانت فيه طرابلس تقاوم الحصار الصليبي، وجدت نفسها تواجه حصاراً عسكرياً من قبل الفاطميين بقيادة شرف المعالي الملك حسين بن الأفضل⁽⁴⁾، الذي أرسله والده الأفضل في سنة (496هـ)، لتوجيه ضربة انتقامية ضد الفرنج بعد أن ألحقت قواتهم الهزيمة بجيشه في تبنا⁽⁵⁾ في سنة (494هـ)⁽⁶⁾، فخرج بالعساكر في البر نحو فلسطين، مدعوماً بأسطول بحري لتعزيز الموقف، ودارت معركة قرب الرملة في شهر رمضان من سنة (496هـ)، انتهت بهزيمة الفرنج وقتل العديد منهم وانتصار القوات الإسلامية⁽⁷⁾، مما حفّز شرف المعالي على متابعة تقدمه شمالاً حتى وصل طرابلس، وطلب من حاكمها فخر الملك أن يسلمها من دون مقاومة، إلا أن الأخير رفض وأغلق الأبواب في وجهه، فحاصرها شرف المعالي بعساكره مدة طويلة، اضطر بعدها إلى الانسحاب على أثر مهاجمة الصليبيين لعسقلان وغيرها من مدن الاسلام⁽⁸⁾.

وفي شهر رجب من سنة (497هـ) وصلت السفن البحرية التابعة لجنوة إلى ميناء اللاذقية، وبلغ عددها قرابة سبعين سفينة، مشحونة بالتجار والجناد والحجاج، فاغتم ريموند

(1) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص405؛ سالم، طرابلس الشام، ص93.

(2) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص405.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص490.

(4) المصدر نفسه، ج8/ ص511.

(5) بلدة بحوران من أعمال دمشق. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2/ ص364.

(6) المقرئ، اتعاظ الحنفاء، ج3/ ص26.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص511.

(8) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص506؛ سالم، طرابلس الشام، ص93.

الصنجيلي تلك الفرصة، واستعان بهم لفرض حصار مُحكم على طرابلس من البر والبحر⁽¹⁾، قال ابن القلانسي: "ان صنجيل المنازل لطرابلس استنجد بهم على طرابلس في مضايقتها، والمعونة على ملكها وانهم وصلوا اليه فاجتمعوا معه على منازلها ومضايقتها فقاتلوا أياماً ورحلوا عنها"⁽²⁾، لكنهم واجهوا مقاومة شرسة، وإن عبّر بعض المؤرخين⁽³⁾ عن سبب ارتحالهم بعدم وجود المطعم فيها، وهو أمر عجيب، فكيف لم يجدوا مطمعا في طرابلس وقد استعانوا بالعدد والعدة القادمة من السفن، وحاربوها أياما من دون جدوى، ثم بعد ذلك حاولوا الاستيلاء على هذا البلد؟ أليس هذا يعني وجود المطعم؟ أليس هذا يعني أن المقاومة الطرابلسية جعلتهم ينسحبون؟ نعم، بعضهم لم يحلّ له أن يشير إلى مقاومة الدولة العمارية، وعلى كل حال اضطروا الى رفع الحصار والتوجه نحو مدينة جبيل التي تمكنوا من السيطرة عليها⁽⁴⁾.

ومع نجاح الصنجيلي في الاستيلاء على أنطرسوس وجبيل في الجنوب، استطاع بناء الحدود الأولى لإمارته، إلا أن النتيجة جاءت لصالح المسلمين، إذ نجحت قوات طرابلس في دحر القوات الصليبية والتصدي لأعنف هجماتها، مما حال دون تمكنهم من الوصول إلى المدينة⁽⁵⁾.

فتوجّه الصنجيلي نحو الجنوب، حيث هاجم مدينة جبيل الساحلية التي كانت تابعة لإمارة بنو عمار، ونجحت قواته في إخضاع المدينة لسيطرته، وبذلك تمكن من إحكام قبضته على طرابلس من جهتي الشمال والجنوب، عبر سيطرته على أنطرسوس وجبيل، ولم يستطع أهل جبيل الصمود أمام قواته البرية المدعومة من أسطول جنوة القوي الذي كان مسيطراً على البحر، فاستسلموا⁽⁶⁾، وقد روي عن ذلك: "قاتلوا عليها قتالاً شديداً، فلما رأى أهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أماناً وسلموا إليهم"⁽⁷⁾.

(1) نوار، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي، ص 247.

(2) ذيل تاريخ دمشق، ص 143؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8/ ص 495؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28/ ص 169.

(3) عاشور، الحركة الصليبية، ص 359.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج 8/ ص 495.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج 8/ ص 496.

(6) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 143؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 16/ ص 185؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 5/ ص 215.

(7) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 143؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8/ ص 495؛ النويري، نهاية الأرب، ج 28/ ص 169. وقد ذكرت المصادر الأنفة: لم تف الفرنج لهم بالأمان، وأخذوا أموالهم واستنقذوها بالعقوبات وأنواع العذاب.

فتم الاتفاق على السماح لمن يرغب من أهل جبيل بمغادرة المدينة بالخروج مع أمواله وممتلكاته، بينما الذين يختارون البقاء فيها يدفعون الجزية للصليبيين⁽¹⁾، فأحكم الصنجيلي بذلك سيطرته عليها⁽²⁾ في الرابع من رجب سنة (497هـ)، وكافأ رجال الاسطول الجنوبي على دعمهم له، بمنحهم ثلث المدينة⁽³⁾، لكنه سرعان ما نقض الاتفاق، ففرض ضرائب باهظة على سكانها وصادر أموالهم وأوقع بوجوههم العذاب⁽⁴⁾.

وبعد استيلاء الصليبيين على مدينة جبيل، وجد فخر الملك نفسه معزولاً تماماً عن المدن المجاورة، حيث جُردت طرابلس من جميع المناطق التابعة لها، وهو أمر أثر فيها لكن ليس بصورة مطلقة؛ لأنها كانت مُحصنة بشكل قوي، وعزز ذلك موقعها الطبيعي، فالبحر يُحيط بها من ثلاثة جوانب، ويحميها من الجهة الشرقية سور من حجر⁽⁵⁾.

وقد أشار أكثر من مؤرخ إلى هذا الأمر، ففي البداية يشير ابن عاشور في كتاب الحركة الصليبية، بأن ريموند شرع في حصار طرابلس فوراً، وأقبل لمساعدته المسيحيون من الجهات القريبة مثل الجبل والسواد، ولكن يبدو أن ريموند سرعان ما أدرك صعوبة المهمة التي تنتظره، وأن طرابلس ليس بالسهولة التي يظنها⁽⁶⁾.

وفي السياق نفسه، يذكر المصدر السابق تحصن طرابلس، وأنها آخر مدينة سقطت في تلك الجهة من البقاع الإسلامية، حيث قال: وبلاستيلاء على انطرطوس في الشمال وجبيل في الجنوب تم وضع الإطار الخارجي لإمارة طرابلس الصليبية، ولم يبق سوى الاستيلاء على العاصمة الطبيعية لتلك الإمارة، وهي مدينة طرابلس ذاتها، ولكن هذه المدينة كانت محصنة تحصيناً طبيعياً يجعل من الصعب على ريموند انتزاعها، إذ إنها قائمة على

(1) عاشور، الحركة الصليبية، ج1/ص359؛ نوار، العدوان الصليبي، ص248.

(2) العظيمي، تاريخ حلب، ص362؛ أبو الفداء، المختصر، ج2/ص35؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5/ص215؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج3/ص404؛ مجهول، الاعلام والتبيين، ص68.

(3) نوار، العدوان الصليبي، ص248؛ محمد، المجتمع الإسلامي، ص44؛ سالم، طرابلس الشام، ص94.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص143؛ ابن الأثير، الكامل، ج8/ص496؛ النويري، نهاية الأرب، ج28/ص169.

(5) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ص408.

(6) عاشور، الحركة الصليبية، ص359.

شبه جزيرة داخلية في البحر، مما مكن صاحبها ابن عمار من الحصول على ما يحتاج إليه من مؤن عن طريق البحر في حالة حصار مدينته برا⁽¹⁾.

قال الإدريسي: مدينة طرابلس الشام مدينة عظيمة، عليها سور من حجر منيع، ولها رساتيق وأكوار وضياح جليلة، وبها من شجر الزيتون والكروم وقصب السكر وأنواع الفواكه وضروب الغلات الشيء الكثير، والوارد والصادر إليها كثير والبحر يأخذها من ثلاثة أوجه، وهي معقل من معاقل الشام، مقصود إليها بالأمتعة وضروب الأموال وصنوف التجارات، ويضاف إليها عدة حصون وقلاع معمورة داخلية في أعمالها، مثل: أنف الحجر المتقدم ذكرها، وحصن القلمون، وحصن أبي العدس وأرطوسيه⁽²⁾.

لجا الصنجيلي عند نهر المدينة على بعد ثلاثة كيلومترات منها، فسارع في بناء (قلعة) حصن حربي فوق التلة الغربية المشرفة على النهر التي عرفت بتلة الحجاج⁽³⁾، أطلق عليه اسم (حصن صنجيلي) أو (حصن صنجيل)⁽⁴⁾، مما سهل له فرصة الإشراف على المدينة، وصار مركزاً عسكرياً مثالياً لحصارها، وأسهم في تعزيز السيطرة البرية عليها، والتحكم في الطرق الرئيسية المؤدية إليها، مما قطع الإمدادات عنها براً، وقد ساعده البيزنطيون في عملية بناء هذا الحصن، إذ أمدوه بمواد البناء والحرفيين المهرة⁽⁵⁾، كما أنشأ ربح⁽⁶⁾ أسفل الحصن؛ ليكون مقراً لإقامة جنوده، مما أتاح له التأهب لاحقاً لفرض الحصار على المدينة⁽⁷⁾، قال ابن الأثير: "بنى بالقرب منها حصناً وبنى تحته ربحاً وأقام مراصداً لها، ومنتظراً وجود فرصة فيها"⁽⁸⁾، وشحن الحصن بالرجال والسلاح⁽⁹⁾. وهكذا -حسب بعض الكتاب- أصبح موقف ابن عمار خطيراً، ولم يعد أمامه طريق للاتصال بالعالم الخارجي سوى في حين تكاتف

(1) المرجع نفسه، ص 360.

(2) نزهة المشتاق، ج 1/ ص 373.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 10/ ص 526.

(4) أبو الفداء، المختصر في تاريخ البشر، ج 2/ ص 221.

(5) رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية، ج 2/ ص 99؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج 1/ ص 360؛

حومد، تاريخ الجهاد لطرده الغزاة الصليبيين، ج 1/ ص 137.

(6) الربض هو الحي أو الضاحية، والمقصود بها هنا المنطقة السكنية الجديدة التي استحدثت. مجموعة

مؤلفين، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص 118.

(7) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج 1/ ص 408.

(8) الكامل، ج 8/ ص 526؛ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج 4/ ق 3/ ص 265؛ النويري، نهاية

الأرب، ج 28/ ص 170.

(9) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 10/ ص 526.

المسيحيون المحليون -من المواردة وغيرهم- مع ريموند لإحكام الحصار المفروض على طرابلس⁽¹⁾.

ولكن لم يفلح الصنجيلي بفتح طرابلس، وهلك قبل ذلك، بل بدا الدعم الصليبي البحري لهذا الحصن ضعيفاً، وغنى بنو عمار وقوة أسطولهم البحري بقي تأثير هذا الحصن محدوداً، إلا أنه شكل جرس انذار جعل فخر الملك يبحث عن الفرص لتعزيز موقفه الدفاعي⁽²⁾، فوجد في غياب الصنجيلي في شهر ذي الحجة من سنة (497هـ) فرصة لتنظيم صفوف مقاتليه وشن هجمات دفاعية ضد القوات الصليبية أسفرت عن نتائج طيبة على رأسها تدمير الحصن والاستلاء على ممتلكاته⁽³⁾.

وقد وصف ابن القلانسي هذه الحادثة بقوله: "قتل من به، ونهب ما فيه، وأحرق وأخرب، وأخذ منه السلاح والمال والديباج والفضة الشيء الكثير، وعاد [أي: فخر الملك ابن عمار] إلى طرابلس سالماً غانماً في التاسع عشر من ذي الحجة"⁽⁴⁾، والذهبي بقوله: فخرج صاحب طرابلس ابن عمار في ذي الحجة، فهاجم أهل الحصن وملكه، وقتل كل من فيه، وهدم بعضه، ودخل البلد بالغنائم منصوراً. وكان بطلاً، شجاعاً، مهيئاً، برز إلى الإفرنج مرات، ويُنصر عليهم، بذل وسعه في الجهاد⁽⁵⁾.

وقد كان لهذه الواقعة تأثير كبير في نفوس الصليبيين، لذلك وافق الصنجيلي على إبرام هدنة مع فخر الملك، تضمنت شروط الأخير في أن تُترك له المناطق المحيطة بطرابلس، مقابل عدم المساس بالإمدادات وعدم عرقلة حركة المسافرين من وإلى المدينة⁽⁶⁾، قال ابن تغري بردي: "يكون لصنجيل ملك الفرنج ظاهر البلد، والا يقطع الميرة عنها وان يكون داخل البلد لابن عمار"⁽⁷⁾.

فجاء الصنجيلي بعد ذلك ليتفقد الحصن بعد الهجوم، فوقف "على بعض سقوفه المحترقة، ومعه جماعته، فانخسف بهم، فمرض صنجيل من ذلك عشرة أيام ومات وحمل

(1) عاشور، الحركة الصليبية، ج1/ ص360.

(2) نوار، العدوان الصليبي، ص261.

(3) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ ص411.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص146.

(5) تاريخ الإسلام، ج34/ ص61.

(6) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج12/ ق3/ ص251.

(7) النجوم الزاهرة، ج5/ ص187؛ وينظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج1/ ص361.

إلى القدس ودفن فيه⁽¹⁾، وذلك في الرابع من جمادي الاول سنة (498هـ)⁽²⁾، وكان لموته تأثير كبير في زيادة صمود أهل طرابلس في مواجهة الغزاة الصليبيين، وأسهمت في رفع معنوياتهم، ومنحت فخر الملك فرصة لإعادة تقييم الأوضاع واستجماع قوته بعد الضغوط الكبيرة التي مارسها الصنجيلي على طرابلس⁽³⁾.

وقد خلفه ابن خاله وليم جوردان⁽⁴⁾ في قيادة القوات الصليبية التي كانت تحاصر طرابلس، واستمر بذلك، حيث حافظ على علاقاته الجيدة مع الإمبراطورية البيزنطية، وبفضل تلك العلاقات استمرت الإمدادات من اللاذقية⁽⁵⁾، وهو ما بينه ابن الأثير بقوله: "ثم أن ملك الروم أمر أصحابه باللاذقية ليحملوا الميرة إلى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس فحملوها في البحر"⁽⁶⁾، في وقت لم يتوان فيه فخر الملك عن مهاجمة تلك الامدادات، ليتواجه الطرفين في معركة قوية في سنة (499هـ)، انتهت بسيطرة اسطول بنو عمار على قطعة من الجيش البيزنطي، والاستيلاء عليها، واقتيادها إلى ميناء طرابلس، وأسر من كانوا على متنها⁽⁷⁾.

في تلك الأثناء، كثّف الصليبيون حصارهم على المدينة، وشدّدوا الخناق عليها، مما أدى إلى قطع وصول الإمدادات البرية إليها، فواجه أهلها معاناة شديدة بسبب هذا الحصار، حيث ارتفعت أسعار المواد الغذائية بشكل كبير⁽⁸⁾، حتى بلغ سعر رطل⁽⁹⁾ التمر ديناراً واحداً

(1) ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص526؛ أبو الفداء، المختصر، ج2/ ص39؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10/ ص528.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص526؛ أبو الفداء، المختصر، ج2/ ص39؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10/ ص528.

(3) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ ص412.

(4) عندما توفي ريموند الصنجيلي كان ابنه الأكبر برتراند يتولى حكم إمارة تولوز الفرنسية، ولم يكن من الممكن انتظار حضوره إلى طرابلس فضلاً عن أنه لم يكن ابنه الشرعي، مما جعل حقه في وراثة أملاك أبيه في الشام موضع نزاع، وكان من الطبيعي أن يختار الصليبيون قائداً لهم لديه الكفاءة والخبرة ليواصل سياسة ريموند، فاختاروا وليم جوردان المعروف في المصادر العربية بالسرداني. ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج4/ ق3/ ص265؛ رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2/ ص102.

(5) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص413.

(6) الكامل، ج8/ ص526.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص527؛ تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص413؛ الزين، تاريخ طرابلس، ص95؛ نوار، العدوان الصليبي، ص263.

(8) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص413.

من الذهب⁽¹⁾، وساءت حالة الأهالي حتى "اشتد الغلاء... وأكلوا الجيف، ثم بعثوا إلى مصر في البحر، واستنجدوا بعساكرها ويشكوا من الجوع والغلاء والبلاء"⁽²⁾، فوصلتهم إمدادات عبر البحر من مصر، لكنها لم تكن كافية لتلبية احتياجاتهم⁽³⁾، وقد وصف ابن الأثير هذا الحال بقوله: "لم تزل الحرب بين أهل طرابلس والفرنج خمس سنين إلى هذا الوقت، فعدمت الاقوات به، وخاف أهله على نفوسهم وأولادهم وحرملهم، فجلا الفقراء وافترق الأغنياء، وظهر من ابن عمار صبر عظيم وشجاعة ورأي سديد"⁽⁴⁾.

ومع تطور الأحداث، اضطر فخر الملك لطلب المساعدة من قوى محلية لدعم استمرار زخم المعركة وتعزيز قوته للحفاظ على المكاسب والإنجازات التي تحققت سابقاً، ولا سيما أن القوات الصليبية كانت في طور التجهيز وإعادة التنظيم، إلى جانب استمرار تدفق المساعدات والإمدادات عبر البر والبحر، فصار من الضروري أن يلجأ إلى حُكام بلاد الشام والجزيرة لـ"اعانتته بمن يصل إليه من العساكر لكشف غمته وتفريج كربته"⁽⁵⁾.

اذ استتجد بسقمان بن ارتق⁽⁶⁾ صاحب ديار بكر⁽⁷⁾، وجكرمش⁽⁸⁾ صاحب الموصل⁽⁹⁾، وفخر الملوك رضوان⁽¹⁰⁾ صاحب حلب، فاتفق الأميران سقمان وجكرمش "على الجهاد في المشركين ونصرة المسلمين"⁽¹¹⁾.

(9) الرطل بكسر الراء وفتحها وكسر الراء أفصح، وهو معيار يوزن به، وللعلماء في مقداره ثلاثة أقوال: أرجحها الأول بأنه مائة درهم وثمانية وعشرون درهما وأربعة أسباع درهم، والثاني: مائة وثمانية وعشرون.، والثالث مائة وثلاثون. عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ص 156.

(1) رنسيم، تاريخ الحروب، ج 2/ ص 102.

(2) مجهول، الأعلام والتبيين، ص 69.

(3) تدمري، تاريخ طرابلس، ج 1/ ص 414.

(4) الكامل، ج 8/ ص 527.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 146.

(6) سقمان بن أرتق بن أكسب التركماني، ولي هو وأخوه ايلغازي امرة القدس بعد أبيهما في سنة (484هـ)، وحاصرهم الأفضل الجمالي وأخذها منهم، فتوجه إلى الجزيرة، وسيطر سقمان على ديار بكر، وأسس الإمارة الأرتقية هناك، توفي في سنة (498هـ). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1/ ص 104؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 10/ ص 528؛ سير أعلام النبلاء، ج 19/ ص 222.

(7) ديار بكر بلاد كبيرة واسعة تمتد من غرب نهر دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2/ ص 494.

(8) شمس الدين جكرمش، كان أحد مماليك السلطان السلجوقي ملكشاه، تولى حكم الموصل في سنة (495هـ) واستمرت ولايته حتى سنة (500هـ) عندما حاصره الأمير جاولي بالموصل وأسره، ثم توفي في العام نفسه. ابن الأثير، الكامل، ج 8/ ص 535؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 10/ ص 522.

ولم توضح المصادر التاريخية كيفية استجابة جكرمش صاحب حلب لنجدة فخر الملك، إذ لا يرد ذكر واضح لموقفه في هذا السياق، وإن كان صراعه مع رضوان صاحب حلب قد شغله عن ذلك⁽¹⁾، في وقت لم يحاول فيه فخر الملك طلب المساعدة من الفاطميين، لأنهم كانوا بزعامة الوزير الأفضل الجمالي يتطلعون لاستعادة السيطرة على طرابلس⁽²⁾، كما أنه لم يطلب الدعم من طغتكين أتابك دمشق وحلب، بسبب مرضه، ومعاناة أمارته من هجمات الصليبيين المتكررة، فضلاً عن حالة عدم الاستقرار في علاقتهما، إذ كانت تتناوب بين صلح وخلاف⁽³⁾.

وعلى الرغم من الظروف المادية الصعبة التي كانت تمر بها طرابلس، قدم فخر الملك دعماً مالياً لسقمان بن ارتق، بهدف تشجيعه على نصرته⁽⁴⁾، وكان دعماً مجزياً بحسب قول ابن القلانسي: "بذل له مالاً جزيلاً على معونته ونصرته"⁽⁵⁾، واستعد فعلاً للخروج، لكن وصلته رسالة من طغتكين حاكم دمشق، أبلغه فيها بشدة مرضه وطلب منه الحضور لتسلم دمشق قبل أن تقع في قبضة الصليبيين، فانطلق نحو دمشق ليتسلمها، لكنه توفي في الطريق في شهر صفر سنة (498هـ)⁽⁶⁾.

أما فخر الملوك رضوان حاكم حلب، فقد حشد قوة كبيرة وخرج على رأسها في شهر رجب من السنة نفسها متوجهاً نحو طرابلس، لكنه اصطدم بالصليبيين الذين ألحقوا به هزيمة ثقيلة، حيث قتل نحو ثلاثة آلاف من جنوده⁽⁷⁾.

(9) الموصل مدينة قديمة مشهورة في العراق، وهي إحدى قواعد بلاد الإسلام على طرف نهر دجلة بالجانب الغربي، سميت موصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق أو لأنها وصلت بين نهري دجلة والفرات. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5/ص223؛ القزويني، آثار البلاد، ص461؛ الحميري، الروض المعطار، ص563.

(10) رضوان بن السلطان السلجوقي تنش الذي استقل في حلب سنة (486هـ) وتوفي في سنة (507هـ). الصفدي، الوافي بالوفيات، ج14/ص87.

(11) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص146.

(1) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص530.

(2) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ص414.

(3) المرجع نفسه، ج1/ص415.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص527.

(5) ذيل تاريخ دمشق، ص146.

(6) المصدر نفسه، ص146.

(7) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص148.

وهكذا أُغلق الباب أمام فخر الملك للحصول على دعم خارجي، ولم يجد خياراً سوى الاعتماد على سكان المدينة أنفسهم، وضمن الإمكانيات المحدودة المتاحة لهم، فبدأ بتنفيذ إجراءات اقتصادية حازمة وقاسية، منها: مصادرة أموال الأغنياء وتوزيعها على الفقراء، وتوزيع المواد الغذائية على الجنود والمحتاجين، ممولاً ذلك بفرض ضرائب استثنائية على السكان⁽¹⁾، وأنشأ صندوقاً للجهاد، ومولّه من اقتطاع نسبة محددة من أموال السكان⁽²⁾.

وبذلك حاول تجهيز المدينة للاستمرار بصمودها أمام التحديات القادمة، لكن هذه المحاولات تسببت في إثارة حفيظة بعض ضعاف النفوس من السكان، ومن ذلك فرار اثنين منهم لمعسكر الصليبيين وانضمامهما إلى صفوفهم وفشي أسرار تحركات الجيش ونقاط ضعفه، والأماكن التي تصل منها المؤن والأقوات إلى طرابلس لهم⁽³⁾، مما كان له آثار سلبية ذكرها ابن الأثير بقوله: "ذكروا له انه تأتيه الميرة من عرقة والجبل، فجعل الفرنج جمعاً على ذلك الجانب يحفظه من دخول شيء الى البلد"⁽⁴⁾.

وحتى لا تتكرر الخيانات التي أضرت كثيراً بطرابلس، عرض فخر الملك على الفرنجة المال مقابل تسليمهما، فقبل بالرفض، فلجأ إلى خطة محكمة للتخلص منهما، باختراق صفوف أعدائه والوصول إليهما و"قتلهما غيلة"⁽⁵⁾، ودلّ هذا على حزمه وحسن تدبيره وشجاعته في اتخاذ القرارات، وساعد أهل طرابلس على استمرار صمودهم امتلاك غالبيتهم تحفاً نادرة ومجوهرات ثمينة، فباع الكثير منهم ممتلكاتهم هذه لسد حاجاتهم الأساسية⁽⁶⁾، قال ابن الأثير: "باع أهلها من الخلي والأواني الغريبة ما لا حد عليه، حتى بيع كل مئة درهم نقرة"⁽⁷⁾ بدينار⁽⁸⁾، وهكذا بقيت المدينة على درجة عالية من القوة، وتمكن أسطولها البحري من الاستيلاء على سفينة مَحْملة بالمؤن والإمدادات قادمة من جزيرة قبرص⁽⁹⁾ البيزنطية وامارة

(1) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص527.

(2) عاشور، جهاد المسلمين، ص141.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص527؛ رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2/ص103.

(4) الكامل، ج8/ص527.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص527؛ رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2/ص103؛ تدمري،

تاريخ طرابلس، ج1/ص416؛ سالم، طرابلس الشام، ص100.

(6) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10/ص531.

(7) النقرة القطعة المذابة من الذهب والفضة. ابن منظور، لسان العرب، ج.../ص336.

(8) الكامل، ج8/ص527.

(9) جزيرة تقع على البحر المتوسط على ساحل بلاد الشام. أبو الفداء، تقويم البلدان، ص195.

انطاكية وجزيرة البندقية⁽¹⁾ في سنة (500هـ)⁽²⁾، مما زاد من عزيمتهم وقوة ارادتهم، وساهم في استمرار صمودهم لثلاث سنوات إضافية⁽³⁾.

وهكذا واصلت المدينة صمودها أمام حصار الصليبيين بفضل إصرار فخر الملك وصلابة إيمان أهلها، وعدم قدرة الصليبيين على تأمين اسطولهم البحري⁽⁴⁾، لكن مع اشتداد ضغط الحصار وطول مدته بدأ اليأس يأخذ مأخذه من الطرابلسيين من فك هذا الحصار ووصول النجادات والامدادات لهم⁽⁵⁾، كاتب فخر الملك ابن عمار السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه السلجوقي⁽⁶⁾ ووصف له "عظيم ما ارتكبه الأفرنج من الفساد في البلاد وتملك المعازل والحصون بالشام والساحل والفتك في المسلمين ومضايقة ثغر طرابلس والاستغاثة اليه والاستصراخ والحض على تدارك الناس بالمعونة"⁽⁷⁾، فاستجاب السلطان وأرسل جيشاً كبيراً من الأتراك بقيادة جاولي سقاوة، لكنه لم ينجح في مهمته⁽⁸⁾، كما كاتب الأمير صدقة بن مزيد⁽⁹⁾ في بغداد، وجكرمش صاحب الموصل، لينهضوا إلى حرب الصليبيين، لكن كما قال الذهبي: "فتثقل ذلك على المكاتبين، ونكلوا عن الجهاد، وأقبلوا على حظوظ الأنفس، فلا قوة إلا بالله"⁽¹⁰⁾.

- (1) البندقية جزيرة تقع شرق بلاد اللنبردية على طرف خليج يسمى جون البنادقة في إيطاليا. أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 211.
- (2) تدمري، تاريخ طرابلس، ج 1/ ص 417؛ نوار، العدوان الصليبي، ص 265.
- (3) ابن الأثير، الكامل، ج 8/ ص 527.
- (4) رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية، ج 2/ ص 103.
- (5) ذيل تاريخ دمشق، ص 160.
- (6) محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان، أحد ملوك السلاجقة، لما توفي والده اقتسم المملكة مع أخوته بركياروق وسنجر، ودخل بغداد وخطب له في جامع بغداد في سنة (495هـ). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3/ ص 37-38؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 5/ ص 42.
- (7) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 156؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 10/ ص 533.
- (8) أمير سلجوقي توجه إلى العراق بأمر السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه بعدما أقطعه الموصل وديار بكر والجزيرة (500-502هـ) وتوفي في سنة (510هـ). ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج 8/ ص 102-103، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 10/ ص 657؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 11/ ص 33.
- (9) صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد سيف الدولة بن بهاء الدولة الاسدي صاحب الحلة، بناها سنة (495هـ)، وأسكن فيها أهله وعساكره، وتوفي في سنة (501هـ). الذهبي، العبر، ج 2/ ص 382؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 16/ ص 171؛ الزركلي، الاعلام، ج 3/ ص 203.
- (10) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 156؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 10/ ص 533.

ونتيجة لتفاقم الوضع، قرر فخر الملك بن عمار، صاحب طرابلس الشام، في سنة (501هـ) التوجه نحو بغداد، بهدف استنفار القوات السلجوقية لتخفيف الضغط الذي تمارسه القوات الصليبية على طرابلس، فأرسل في شهر شعبان من سنة (501هـ)⁽¹⁾ رسالة إلى الأمير ارتق بن عبد الرزاق، أحد أمراء دمشق، للتنسيق معه حول إمكانية مروره عبر دمشق في طريقه إلى بغداد، فاستجاب الأمير ارتق، وفي أثناء ذلك انشغل فخر الملك بالتحضيرات الضرورية لضمان استقرار الأوضاع في طرابلس قبل مغادرته، ومنها: تعيينه أبو المناقب نائباً يتولى شؤون الحكم في طرابلس لحين عودته من مهمته، وتكليف عمه سعد الدولة فتیان بن الأغر بترتيب شؤون الجنود على البر والبحر، وصرف رواتب ست أشهر مقدماً كإجراء احترازي لمواجهة أي طارئ، وتوصيته للقادة بالحفاظ على المهام والمسؤوليات الموكلة إليه، واستحلفهم قبل يرحل إلى بغداد⁽²⁾.

وسار فخر الملك بن عمار عن طريق البحر إلى بيروت التي كانت بيد الفاطميين في ذلك الوقت⁽³⁾ ومعه خمسمائة فارس وراجل وبرفته هدايا وتحف أعدها ليقدمها إلى الخليفة العباسي المستظهر (487-512هـ)، وعندما وصل إلى دمشق، استقبله حاكمها بحفاوة بالغة وأبدى احتراماً بالغاً له⁽⁴⁾، واجتمع معه واتفقا على أن يمر بدمشق بصحبته⁽⁵⁾، قال ابن شداد: "فأكرمه وسير معه ولده تاج الملوك بوري"⁽⁶⁾، وبذلك حصد ثمرة سياسته الحكيمة التي اتبعها مع طغتكين وابنه سابقاً، حينما أكرم تاج الملوك بوري وأرجعه إلى والده سالماً غانماً، فحفظ طغتكين ذلك الفضل وأكرمه وتناهى في احترامه⁽⁷⁾، وقد وصف ابن القلانسي ذلك بقوله: "حمل إليه أمراء العسكرية ومقدموه من الخيل والبغال والجمال وغير ذلك ما أمكنهم حمله واتحافه به"⁽⁸⁾، ودعاه إلى دخول دمشق والاقامة فيها بعض الوقت بقصد الراحة، فأقام عنده يوماً واحداً، فأقام له طغتكين مأدبة جليلة واحتفى به غاية الاحتفاء⁽⁹⁾.

(1) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص557.

(2) المصدر نفسه، ج8/ص558.

(3) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج2/ص150؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج12/ص247.

(4) ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج8/ص558؛ ابن ميسر، اخبار، ج2/ص52-53.

(5) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص426.

(6) الأعلام الخطيرة، ج2/ص150.

(7) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص426.

(8) ذيل تاريخ دمشق، ص160.

(9) الكامل، ج8/ص558.

حتى أن طغتكين عزم على مرافقة فخر الملك إلى بغداد، لكنه عدل عن قراره؛ خشية الوشاية به عند السلطان، وخشية أن تواجهه دمشق ما تواجهه طرابلس مع فخر الملك، وعلى الرغم من ذلك، فإنه أرسل ابنه تاج الملك بوري معه برفقة بعثة محملة بالهدايا النفيسة من الخيول والأقمشة الفاخرة لتقديمها للسلطان⁽¹⁾، وعين أبو النجم هبة الله بن محمد بن بديع⁽²⁾ مشرفاً على المهمة، ليتولى دور الوسيط بينه وبين السلطان⁽³⁾.

ثم واصل برفقة تاج الملوك بوري مسيرته إلى بغداد مُحمّلين بالهدايا والتُحف⁽⁴⁾، و"اجتاز في طريقه بحلب"⁽⁵⁾، فوصل إلى بغداد في رمضان سنة (501هـ)، ولقي ترحيباً كبيراً من الخليفة العباسي المستظهر بالله (487-512هـ) والسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه، وصفه ابن الأثير بقوله: "لما وصل إلى بغداد أمر السلطان كافة الأمراء بتلقيه وإكرامه... فلما دخل على السلطان أجلسه وأكرمه وأقبل عليه بحديثه، وسير الخليفة خواصه، وجماعة أرباب المناصب فلقوه، وأنزله الخليفة وأجرى عليه الجراية العظيمة، وكذلك أيضاً فعل السلطان وفعل معه ما لم يفعل مع الملوك الذين معهم أمثاله، وهذا جميعه ثمرة الجهاد في الدنيا ولأجر الآخرة أكبر"⁽⁶⁾.

وبالمقابل قدم فخر الملك الهدايا التي حملها معه للسلطان السلجوقي بعد لقائه به، وبدأ معه المحادثات، وصور له حقيقة أوضاع طرابلس ومعاناة أهلها من حصار الصليبيين، وملتمساً منه النجدة والنصرة فوعده خيراً⁽⁷⁾، ثم ذهب بعدها إلى دار الخلافة والتقى بالخليفة العباسي وقدم إليه ما حمله معه من هدايا، وحادثه بالموضوع نفسه فلقى استجابة كبيرة منه⁽⁸⁾.

وبناء على هذا أمر السلطان السلجوقي أكابر الأمراء بالتهيؤ للمسير مع فخر الملك لدعمه ضد الصليبيين، على أن يتوجهوا قبل ذلك إلى الموصل لانتزاعها من يد جاولي سقاوة، ثم يسبغون بعدها إلى طرابلس، فبقي فخر الملك في بغداد منتظراً عودة الجيش من الموصل

(1) ابن القلانسي، ذيل اريخ دمشق، ص160؛ ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص558 .

(2) لم اجد له ترجمه في المصادر التي بين ايدينا.

(3) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص427.

(4) ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص161 .

(5) ابن العديم، بغية الطلب، ج10/ ص4532 .

(6) الكامل، ج8/ ص558؛ وينظر: ابن العديم، بغية الطلب، ج10/ ص4532-4533 .

(7) ابن العديم، بغية الطلب، ج10/ ص4532؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص43.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص559؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج10/ ص4532 .

لكن من دون جدوى، فذهبت آماله ادراج الرياح، وقرر العودة الى دمشق في طريقه الى طرابلس في منتصف شهر محرم من سنة (502هـ)، فأقام بها أياماً، ثم غيّر مساره بعد ورود أخبار سيطرة الصليبيين على طرابلس⁽¹⁾، فتوجه من دمشق مع بعض عساكره إلى جبلة⁽²⁾.

وبقي في جبلة واتخذها فخر الملك قاعدة جديدة لإمارته بعد أن فقد السيطرة على طرابلس، حيث اجتذب إليها الشعراء واحتفى بهم⁽³⁾، وخلال إقامته فيها، لم يتوقف عن إرسال الجيوش لشن الغارات ضد الإفرنج، خاصة أولئك المتمركزين في اللاذقية، الذين بدورهم كانوا يردون بغارات مضادة⁽⁴⁾.

وعند وصول تانكرد الفرنجي إلى جبلة، كانت المدينة تعاني نقصاً كبيراً في المؤن، مما جعل مقاومتها لفترة طويلة أمراً بعيد المنال، رغم ذلك أبدى أهلها شجاعة غير عادية في الدفاع عن مدينتهم، الأمر الذي دفع تانكرد إلى عرض الأمان على فخر الملك. أدرك فخر الملك أنه لن يتمكن من الحصول على الدعم من القوى الإسلامية المجاورة، فقبل عرض تانكرد وسلم المدينة بلا قتال، ليغادرها بسلام. "وقد وعده في إحسان النظر والإقطاع"⁽⁵⁾. وبهذا الحدث انتهى سقوط آخر مدينة كانت تشكل حدود إمارة بني عمار الشمالية الساحلية في يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة 503 هجري⁽⁶⁾.

ومما تقدم تبين أن ما قدمه فخر الملك في سبيل الحفاظ على إمارته ومواجهة الصليبيين كان مدعاة فخر واعتزاز، فعلى الرغم من عدم تكافؤ القوة والعدد، إلا أنه شكّل بفضل حكمته وإرادته الصلبة وإيمانه بالقضية عائناً أمام حشود الصليبيين التي كانت في أزهى فتراتهما على المستويات كافة، ليرسم بذلك قصة صمود وتضحية استثنائية.

ثالثاً- تحالف القوى الخارجية:

- (1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص161.
- (2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج12/ ق3/ ص260؛ ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص559.
- (3) منهم: عبدالمحسن بن صدفة بن عبدالله بن حديد، وأبو المواهب المعري، ابن الوردي، خريدة القصر، قسم بلاد الشام، ج2/ ص119.
- (4) ابن منقذ، الاعتبار، ص96.
- (5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص164.
- (6) ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص579؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص164.

لم يكن البيزنطيون والصليبيون لوحدهما في مواجهة المسلمين، لأنهما أدركا أن المواجهة على انفراد مع المسلمين نتيجته الهزيمة؛ لذلك سعيًا مع قوى أوروبية وغربية أخرى إلى عقد تحالفات عسكرية وإبرام اتفاقيات تعاون في المجالات المختلفة؛ بهدف نشر المسيحية والتخلص من الإسلام والاستيلاء على أراضيه والاستحواذ على خيراتها، وهو أمر انطبق تماماً على طرابلس التي كانت في حينذاك تتمتع بخير وفير، وأهلها أهل خير وعلم ودين.

ومن الأمثلة على ذلك، ما قدمه الأسطول الجنوبي لريموند الصنجيلي من خدمات جليلة لتأسيس إمارة طرابلس الصليبية، إذ ساهم بقوة في حصار جبيل وطرابلس؛ ومقابل ذلك منحهم ريموند ثلث مدينة جبيل التي تحولت لاحقاً إلى مستعمرة خاصة بهم⁽¹⁾، كما استفاد برتراند بن ريموند⁽²⁾ من دعمهم، فزار مدينتهم في أثناء توجهه إلى طرابلس، وأبرم معهم اتفاقية تعاون، مفادها: مساعدتهم له على المستوى البحري لغرض إحكام الحصار على طرابلس مقابل حصولهم على امتيازات تجارية بعد احتلالهم لها⁽³⁾.

وفي الإطار نفسه، أرسلت أوروبا دعماً كبيراً لتعزيز الحصار الصليبي البري على طرابلس، وتمثل هذا الدعم بأرسال أسطول كبير يحتوي على العديد من العساكر والإمدادات والمؤن، مما عزز من قوة الغزاة المتواجدين على الأراضي العربية، وخلال هذه الفترة⁽⁴⁾.

وفي شهر شعبان من سنة (502هـ) توحدت القوى الصليبية بتحالف واحد، بهدف تشديد الحصار على طرابلس لغرض الاستيلاء عليها، وضم هذا التحالف أربعة آلاف فارس من بروفنس⁽⁵⁾ قدموا برفقة برتراند، وعدد كبير من الجنود الذين وصلوا على متن عشرين سفينة فرنسية، وخمسمائة فارس وعدد كبير من الرجال تحت قيادة بلدوين ملك القدس⁽⁶⁾، وسبعمئة فارس ماهراً ومتدرباً تحت قيادة تانكرد، وعدد آخر من المقاتلين تحت قيادة

(1) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص406.

(2) هو أمير صليبي بارز من العصور الوسطى، وهو الابن الأكبر لريموند الرابع (ريموند الصنجيلي). ورث إمارة طرابلس عام 1105م ليصبح حاكمها الفعلي، وقاد حملات للاستقرار وتوسيع النفوذ في بلاد الشام. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 165.

(3) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص407.

(4) المرجع نفسه، ج1/ص407.

(5) نسبة إلى بروفنس، ولاية في الجنوب الشرقي من فرنسا، يحدها شمالاً دوفيني، وشرقاً فينيسين وجبال الألب، وجنوباً البحر المتوسط، وغرباً لנגدوك، وكانت قسماً من البلاد التي سماها الرومان بروفنشيا. البستاني، دائرة المعارف، ج5/ص391.

(6) رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2/ص111.

جوسلين⁽¹⁾ أمير قلعة تل باشر⁽²⁾، فضلاً عن عدد كبير من المسيحيين الذين أخرجهم فخر الملك من طرابلس ضماناً لأمنها⁽³⁾.

ومما تقدم يظهر أن التحديات الخارجية المتمثلة بالحروب البيزنطية، ومن ثم الحروب الصليبية، والتحالفات الغربية، كانت قد أنهكت قوى طرابلس، على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها حكامها، معززاً ذلك بعظم موقع طرابلس وكثرة خيراتها.

(1) جوسلين دي كورتيناى وهو فارس صليبي وقائد عسكري بارز، عُرف كأمر لقلعة تل باشر الاستراتيجية (شمال سوريا) قبل أن يصبح كونت (أمير) الرها، ابن القلانسي، ذيل، ص 167

(2) قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب، بينها وبين حلب يومان، وأهلها نصارى أرمن، ولها ربض وأسواق، وهي عامرة أهلة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 40.

(3) ابن القلانسي، ذيل، ص 163؛ ابن الاثير، الكامل، ج 10/ ص 488؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 5/ ص 180.

المبحث الثاني

ضعف دعم الدول الإسلامية وانقلاب أبو المناقب

لم تكن التحديات الخارجية المتمثلة بالحروب البيزنطينية والحروب الصليبية وتحالف قوى الغرب المسيحية لوحدها المسؤولة عن سقوط دولة بني العمار في طرابلس، إنما كانت مواقف الدول الإسلامية المتباينة وغير الايجابية وحالة الضعف والتفكك التي تعيشها آنذاك، سبباً كبيراً أدى الى ضعف بني عمار، فجاء انقلاب أبي المناقب ليعلن اسدال الستار على هذه الدولة الشيعية التي تركت تاريخاً مشرقاً من الجهاد والمقاومة والعلم والثقافة، وفيما يلي عرض بذلك:

أولاً- ضعف دعم الدولة العباسية والقوى الإسلامية التابعة لها:

كانت الخلافة العباسية في القرن الخامس للهجرة تعيش حالة من الفوضى والتفكك بسبب الثورات والاضطرابات المذهبية التي نشرت الذعر والخراب بين المسلمين في أرجاء البلاد⁽¹⁾، ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي بقوله: "في شهر ذي الحجة من عام 478هـ ثارت الفتن بين أهل الكرخ والسنة، واحرق شطر من الكرخ، ومن باب البصرة... وقتل هاشمياً فعبّر أهل باب البصرة الى الديوان، ورجموا المتعيشين في الحريم، وغلقوا الدكاكين"⁽²⁾.

وعلى مستوى علاقتها مع الخلافة الفاطمية في مصر، فقد كانت تعيش حالة صراع مستمر معها، مما جعل مصر وبلاد الشام مسرحاً لتلك الصراعات، وزادت حدة هذه الصراعات حينما حاولت الدولة الفاطمية توسعة نفوذها على حساب الدولة العباسية، وزاد على ذلك، سعي الخلافة الفاطمية الى نشر التشيع في المناطق التي تحت نفوذها، مما أسهم في ظهور فتن جديدة في المنطقة، وصارت بلاد الشام ساحة للصراعات المذهبية والسياسية⁽³⁾.

ويُحسب للسلاجقة توحيد دويلات المشرق الإسلامي تحت رايتهم، فقد اتسع سلطانهم في عهد ألب أرسلان السلجوقي، الذي اشتهر بفتوحاته الواسعة في آسيا الصغرى وانتصاره الباهر على إمبراطور الروم أرومانوس ديوجونيس في معركة ملاذكرد (463هـ)⁽⁴⁾، إلا أن هذه العظمة لم تدم طويلاً، فمع وفاة السلطان ملكشاه السلجوقي عام (485هـ)، دب الانقسام في

(1) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ ص448

(2) المنتظم، ج9/ ص15.

(3) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص448.

(4) ينظر: الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، ص120- ص121؛ حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص59- ص61.

صفوف البيت السلجوقي، فأدى إلى تلاشي وحدة دولتهم التي كانت تمتد على مساحة شاسعة من الأرض⁽¹⁾.

ومعلوم أن أحد أبرز أسباب زوال حكم بنو عمار هو ضعف المسلمين في الشرق الأدنى في أثناء القرن الخامس للهجري، إذ أدى الصراع العباسي- الفاطمي إلى صدام فكري وصراع روحي، خلق انقسامات سياسية ودينية واجتماعية، عمقت العداء والكراهية بين المسلمين، ولاسيما بين بغداد والقاهرة، فأثرت تلك النزاعات والانقسامات بشكل مباشر في وحدة الصف الإسلامي، ولاسيما في الشرق الأدنى، مما مهد الطريق أمام الصليبيين لاحتلال الشام بسهولة نسبية، وأدى إلى تراجع قوة الدولة الفاطمية بصورة تدريجية، مما ساعد الصليبيين على بسط سيطرتهم على ممتلكاتها⁽²⁾.

وبدا في الوقت الذي سيطرت فيه الدولة السلجوقية على أغلب السواحل الشامية، ورسخت نفوذها في دمشق وحمص وعرقه وأفامية، أن قوتها وزخمها سيحبطان أية محاولات للتأثير في مسيرتها، فدفع هذا المشهد بالفاطميين إلى التراجع أمامهم، وظن الجميع أن بلاد الشام أصبحت في موقع قوة يمكنها مواجهة أي عدوان خارجي، لكن هذا التصور سرعان ما تبدد مع الزحف الصليبي الذي اجتاحت أراضي الشام، وشكل معازل صليبية في مناطق عديدة من دون مقاومة من السلاجقة أو الفاطميين أو الإمارات والدويلات الإسلامية التي كانت تتمتع باستقلال ذاتي، مثل: بنو منقذ في شيراز وبنو مرداس في حلب وبنو عقيل في مدينة صور⁽³⁾.

فلو أن القوى الإسلامية في المنطقة أدركت خطورة الوضع وتخلت عن خلافاتها ووحدت صفوفها أمام العدوان الصليبي، لربما تجنبت بلاد الشام الدمار الهائل أو على الأقل قصرت وجود الصليبيين في المشرق العربي، فحكّام هذه الدول يتحملون مسؤولية عدم الاستجابة لمناشدات فخر الملك، وحتى بعد مجيئه بنفسه إلى السلطان، محملاً بالهدايا

(1) ينظر: الراوندي، راحة الصدور، ص126- ص127؛ البنداري، مختصر تواريخ آل سلجوق، ص48.

(2) ينظر: تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص448- ص449.

(3) الشيخ، الامارات العربية في بلاد الشام، ص7.

الكثيرة، وشارحاً له تفاصيل ما تمر به امارته، لم يحصل تحرك حقيقي وجاد لنجدته⁽¹⁾، مبررين ذلك بانشغال جيوشهم بالقضاء على ثورة الموصل⁽²⁾.

وقد ذكر أن الإمبراطور البيزنطي أرسل الى السلطان يستحثه على التحرك ضد الصليبيين؛ لما سيكون من التقاعس عن مواجهتهم من اثار وخيمة على المسلمين في المعمورة، وهو أمر جعل أهل حلب يوجهون لومهم وانتقادهم للسلطان، وتمثل ذلك بقولهم له: "أما تتقي الله تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حمية منك للإسلام، حتى أرسل إليك في جهادهم"⁽³⁾.

كما انتقد الشاعر الجويني (ت586هـ)⁽⁴⁾ هذا الموقف في قصيدة، نصها⁽⁵⁾:

كم من فحول ملوك غودروا وهم خوف الفرنجة ولدان ونسوان
استصرخت بملكشاه طرابلس فخام عنها وصمت منه آذان
هَذَا وَكَمْ مَلِكٌ مِنْ بَعْدِهِ نَظَرَ الْإِسْلَامَ يَطْوِي وَيَحْوِي وَهُوَ سَكَرَانُ

ومثلت هذه الأبيات نداءً نابضاً من عمق الزمن الذي سبق سقوط طرابلس الشام في سنة (502هـ)، فهي ليست مجرد تعبير شعري يعكس الحزن والأسى، بل وثيقة تاريخية مختصرة سلطت الضوء بوضوح على الأسباب التي مهدت لهذا الحدث الجلل، فعند التمعن في معاني الأبيات ضمن سياق الأحداث التاريخية، يمكن أن نرى أنها كشفت عن سلسلة من العوامل الداخلية التي أضعفت طرابلس وجعلتها عرضة للهزيمة أمام الحصار الصليبي.

ففي البيت الأول وصف الشاعر الظرف بقوله:

كم من فحول ملوك غودروا وهم *** خوف الفرنجة ولدان ونسوان

وفيه تصوير مؤثر لحالة الضعف والانكسار النفسي التي كانت تطغى على الأمة الإسلامية في تلك الحقبة، وكيف أن الثقة بالقيادات الإسلامية قد تزعزعت، حيث ساد الخوف

(1) ابن الأثير، الكامل، ج8/ص458.

(2) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص448.

(3) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص449.

(4) فخر الكتاب أبو علي الحسن بن علي الجويني المقيم بمصر من أهل بغداد. أبو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، ج3/ص369.

(5) أبو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، ج3/ص370.

من الصليبيين وألقى بثقله على الجميع، من عامة الشعب وحتى الملوك، وهذا التصوير كشف أن أحد الأسباب الجوهرية في سقوط طرابلس، هو غياب القيادة الموحدة وإنهيار الهيبة العسكرية والسياسية، الذي أدى إلى تعدد القوى المتنازعة وضعف المواجهة.

وبرز في البيت الثاني:

استصرخت بملكشاه طرابلس *** فخام عنها وصمت منه آذان

العزلة السياسية التي وجدت طرابلس نفسها رهينة لها، فعلى الرغم من ثقلها العلمي والاقتصادي، إلا أن افتقارها للدعم الخارجي كان شديد الوطأة عليها، لذلك وجه الشاعر نقده إلى السلطان السلجوقي بصفته رمز للسلطة المركزية الكبرى التي كان من المفترض أن تتدخل لنصرة المدن الإسلامية، وصوّر بعمق انقسام القوى الإسلامية، ما أدى إلى قتال كل مدينة بمفردها ضد التهديد الصليبي، وهو ما حدث بالفعل أثناء الحصار الطويل لطرابلس.

وكتّف في البيت الثالث:

هذا وكم ملك من بعده نظر *** الإسلام يُطوى ويُحوى وهو سكران

انتقاده للحكام المسلمين الذين غرقوا في الملذات والمكاسب الشخصية والغفلة والاستخفاف بالخطر الداهم، تاركين الخطر الخارجي الصليبي يتمدد من دون مقاومة موحدة أو تخطيط استراتيجي، فأدى هذا التهاون السياسي والافتقار إلى التحرك الجماعي إلى إضعاف المدن الإسلامية واحدة تلو الأخرى، وفتح الطريق أمام سقوط طرابلس بشكل مأساوي.

ثانياً- ضعف دعم الدولة الفاطمية والقوى الإسلامية التابعة لها:

إذا كنا قد ألقينا باللوم على السلاجقة بسبب تقاعسهم بالدفاع عن طرابلس، فإن الدولة الفاطمية تتحمل الوزر الأكبر من الانتقاد، بسبب موقفهم المُحبط تجاه تلك الأحداث، فقد انعدم الدعم من الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله (495-524هـ) ورجالات دولته⁽¹⁾، فلم يكثرثوا بالهجوم الصليبي على بلاد الشام، بل رحبوا به، معتقدين أنه سيوفر دعماً لهم في

(1) ينظر: تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ ص449- ص450.

صراعهم مع السلاجقة، حتى وصل الأمر بهم إلى حد إرسال رسلهم إلى قادة الصليبيين في أنطاكية لمشاركتهم فرحتهم باستيلائهم عليها، وتعبيراً عن شماتتهم بخصومهم السلاجقة⁽¹⁾.

وشخص ابن الأثير موقفهم غير الايجابي من طرابلس، فحينما تشدد الصليبيون في حصارهم لطرابلس من بداية شهر شعبان وحتى الحادي عشر من ذي الحجة من سنة (502هـ)⁽²⁾، تباطأت السلطات الفاطمية في إرسال النجدة والإمدادات الضرورية، ولم تصل أي مساعدات فعلية منهم، وهو ما أثر سلباً في ديمومة الصمود⁽³⁾.

فلم تصل إلى طرابلس سوى البعثة الأولى التي تسلّمتها، وهي ضعيفة من حيث كمية المؤونة والعدد والعدة⁽⁴⁾، وأشار ابن تغري بردي إلى أن الأسطول الفاطمي توجه لدعم المدينة، إلا أن الفرنج تمكنوا في عدة مناسبات من المنع وإعادتهم إلى مصر، وفي الأخير نجح الأسطول بالوصول إلى مياه طرابلس، لكن هذا التحرك جاء متأخراً، إذ كانت طرابلس قد وقعت بالفعل تحت سيطرة الفرنج في تلك المدة⁽⁵⁾، وألقي اليوم على الفاطميين بثلاثة أمور: "الاول: من تقاعسهم عن المسير في تلك المدة الطويلة، والثاني: لضعف العسكر الذي أرسلوه مع اسطول مصر، ولو كان لعسكر الاسطول قوة لدفع الفرنج من البحر عن البلد على حسب الحال، والثالث: لم لا خرج الوزير الافضل بن امير الجيوش بالعساكر المصرية كما كان فعل والده بدر الجمالي في أوائل الأمر"⁽⁶⁾.

وهنا وجب القول انه لم يكن هناك خلافة فاطمية عند الهجوم الصليبي على بلاد الشام، بل كان هناك جماليون، وهو ما بيّنه المقرئزي بقوله: "تحكم في مصر بحكم الملوك، ولم يبق للمستنصر معه أمر، واستبدت بالأمور، وكانت مدة أيامه بمصر احدى وعشرين سنة، وهو أول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر"⁽⁷⁾، و"استتاب ولده الأفضل وجعله ولي عهداً"⁽⁸⁾، بتسمية ابنه ولياً للعهد، استكمالاً لوضع أسس النظام الملكي الجديد،

(1) كرد علي، خطط الشام، ج1/ ص307.

(2) ابن القلانسي، ذيل، ص163؛ ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص578؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5/ ص179.

(3) الكامل، ج8/ ص578.

(4) ابن القلانسي، ذيل، ص163؛ ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص578.

(5) النجوم الزاهرة، ج5/ ص179.

(6) النجوم الزاهرة، ج5/ ص179.

(7) السلوك، ج1/ ص207.

(8) المقرئزي، السلوك، ج1/ ص210.

مستبدلاً بذلك الحكم الفاطمي الذي انهار، بالدولة الجمالية، التي كانت تتحمل مسؤولية الصراع مع القوى الإسلامية والتقاعس عن نصره طرابلس⁽¹⁾.

وما تقدم من شواهد وأمثلة توضح أن الدولة الفاطمية لم تنجد دولة بني عمار الشيعية، بل إنها رحبت بالصلبيين، معتقدة أن هجماتهم ستعزز من قوتهم، وتضعف الإمارات والدول الإسلامية الأخرى، ما أدى إلى ضعف المقاومة الإسلامية، واثابة الفرصة للصلبيين بالتوغل داخل أراضي المسلمين، واستلائهم على كبريات مدنهم.

ثالثاً- انقلاب ابن عمه أبي المناقب واسدال الستار على دولة بنو عمار:

كان لحركة أبي المناقب بن عمار الانقلابية أثراً في انهيار مقاومة طرابلس، ففي الوقت الذي كانت فيه تتعرض لضغوط شديدة من الحصار الخارجي، وهي بأمر الحاجة إلى الوحدة والتماسك الداخلي، جاءت حركته هذه، لتفتح المجال أمام الانقسامات، مما أدى إلى عدم عودة فخر الملك، صاحب قصة الصمود أمام المد الصليبي منذ عام (492هـ)، ولو قُدر له العودة إلى طرابلس بعد سفره إلى بغداد، ربما قاومت المدينة مدة أطول، لكن عصف ابن عمه وخليفته المؤقت بحكمه في حركة انقلابية انتهت بإدخال طرابلس تحت سيطرة الدولة الفاطمية في سنة (501هـ)، ولم تعرف معنى الاستقرار بعد ذلك ولغاية استيلاء الصليبيين عليها في سنة (502هـ)⁽²⁾.

فالوالي الفاطمي تاج العجم⁽³⁾ الذي كُلف بإدارة شؤونها حاول عصيان الأفضل في سنة (501هـ)، وانتهى ذلك بالقبض عليه في نفس السنة⁽⁴⁾، والوالي الآخر شرف الدولة بن أبي الطيب الدمشقي⁽⁵⁾، لم يحظ بقبول أهالي طرابلس، الذين سعوا للتخلص منه، بسبب طول مدة الحصار الذي ضاقت منه صدورهم، وقام بالقبض على أصحاب فخر الملك وحريمه وسيرهم إلى مصر⁽⁶⁾.

(1) المصدر نفسه، ج1/ص211.

(2) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص453.

(3) من أكابر مماليك بدر الجمالي، سيره الأفضل في سنة (460هـ)، قائداً لأسطول بحري لمقاتلة الصليبيين عند سواحل فلسطين. المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج3/ص33.

(4) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص432.

(5) لم اجد له ترجمة في المصادر المتوافرة بين أيدينا.

(6) تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص432.

وهناك روايات مختلفة حول تفاصيل هذه الحركة الانقلابية، فقد ذكر ابن القلانسي في رواية ان فخر الملك عين ابن عمه أبا المناقب على طرابلس نائباً عنه "فأظهر عنه الخلاف له والعصيان عليه ونادى بشعار الأفضل بن أمير الجيوش بمصر"⁽¹⁾، لكنه أشار في رواية ثانية أن أهل طرابلس هم من تواصلوا مع الأفضل ودعوه لإرسال من يتولى إدارة المدينة، كما في نصها: "انفذ اهل طرابلس الى الأفضل بمصر يلتمسون منه أنفاذ وإل يصل اليهم في البحر ومعه الغلة والميرة في المراكب لتسلم اليه البلد فوصل اليهم سرف الدولة بن أبي الطيب الدمشقي"⁽²⁾.

وقال ابن الأثير (ت630هـ) في رواية نصها: "أظهر ابن عمه الخلاف له، والعصيان عليه، ونادى بشعار المصريين"⁽³⁾، لكنه قال في موقع آخر: "أما أهل طرابلس راسلوا الى الأفضل بمصر يلتمسون منه واليا يكون عندهم ومعه الميرة في البحر، فسير إليهم شرف الدولة بن أبي الطيب والياً"⁽⁴⁾، مما يُشير إلى أنه استند إلى روايتي سلفه ابن القلانسي.

وقال ابن ميسر (ت677هـ): "تافق أبو المناقب بن عمار على ابن عمه فخر الملك، ونادى بشعار الأفضل، وسير اليه أن يحضر لتسليم طرابلس، فسير اليه الأفضل الأمير شرف الدولة بن ابي الخطيب، فلما وصلها نقل حريم فخر الدولة بن عمار وأولاده وأمواله وذخائره الى مصر"⁽⁵⁾.

وأورد ابن شداد (ت684هـ) رواية مفصلة عن الانقلاب، نصها: "جلس أبو المناقب في بعض الأيام في مجلسه، وعنده وجوه أهل أطرابلس، فخلط في كلامه فنهاء سعد الدولة، فصاح، وقال: لا يا سيدي لا يا سيدي، ثم جرد سيفه وضرب سعد الدولة فقتله، وانهزم من كان في المجلس، فقطع سعد الدولة إرباً إرباً، وقام من المجلس، وصعد إلى السور، وجعل يصفق يابطيه ويهنبط، فقام أهل البلد وقبضوا عليه، واعتقلوه، ونادوا بشعار الأفضل ابن

(1) ذيل تاريخ دمشق، ص161.

(2) المصدر نفسه، ص161.

(3) الكامل، ج8/ ص558.

(4) المصدر نفسه، ج8/ ص560.

(5) المنتقى من اخبار مصر، ص78.

أمير الجيوش⁽¹⁾، وهذه الرواية تُفيد أن أهل طرابلس هم من تولوا زمام المبادرة في طلب استعادة الحكم الفاطمي، من دون أن يكون لأبي المناقب دور في هذا الأمر.

في المقابل، تبنى ابن الفرات (ت807هـ) رواية مغايرة، إذ أفاد بأن أبا المناقب هو من رفع شعار الأفضل وأرسل إليه طالباً القدوم لتسلم مدينة طرابلس، واستجابة لذلك بعث الأفضل الأمير شرف الدولة بن أبي الخطيب، الذي قام بنقل حريم فخر الملك إلى مصر بعد وصوله⁽²⁾.

وذكر المقرئ (ت845هـ) حول الموضوع نفسه رواية نصها: "لما سمع الأفضل أن أهل الثغر نادوا بشعاره، سير إليهم شرف الدولة ابن أبي الطيب ومقدم الاسطول، وأمره بأخذ المركب التي على دمياط وعسقلان وصور معه إلى الثغر المذكور نصرة للمسلمين، فلما وصل إليه وجد الفرنج قد ملكوا الجوسق معرب الكلمة الفارسية كوسك ومعناها القصر، وأمهلوا المسلمين، فانفذ من كان بها وحمل في المراكب من أراد الخروج منهم بأهاليهم وأموالهم"⁽³⁾

ومما تقدم من روايات يظهر أن هناك تناقضاً واختلافاً في عرض أحداث الانقلاب، والأرجح: أن أبا المناقب أعلن معارضته لفخر الملك، وتواصل مع الأفضل، الذي كان شريكاً للخليفة الفاطمي، وعندما اعترض سعد الدولة على موقفه هذا، أمر بقتله، وعندما بلغ الخبر فخر الملك، أصدر أوامره لأتباعه بالقبض على أبي المناقب، لكن من دون جدوى، فأهل طرابلس كانوا يميلون إلى فكرة إعادة الولاء للخلافة الفاطمية، لأنهم فقدوا الأمل في الحصول على دعم من الخلافة العباسية، وأدركوا أنهم باتوا معزولين في مواجهة عدد كبير من الأعداء، فاضطروا إلى التفكير بالاستسلام، وطلبوا من الحاكم الفاطمي ابن أبي الطيب أن يُسلم المدينة إلى الملك بلدوين الأول والأمير برتراند⁽⁴⁾، مقابل أن يتم ضمان عدم الاعتداء على حياة من يرغب منهم في مغادرة المدينة، والتعهد بحماية ممتلكات من يختار البقاء فيها⁽⁵⁾، فقبل الملك بالدوين بتلك الشروط، ودخل الصليبيون طرابلس في سنة (502هـ)،

(1) الاغلاق، ج2/ ص109- ص110.

(2) ينظر: تاريخ ابن الفرات، ج8/ ص77- ص78.

(3) اتعاظ الحنفا، ج3/ ص42- ص43.

(4) ابن الاثير، الكامل، ج8/ ص577؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5/ ص178.

(5) ابن القلانسي، ذيل، ص164؛ المقرئ، اتعاظ، ج3/ ص44.

والتزموا بشروط الاتفاق المسبق، وغادر القائد الفاطمي ابن أبي الطيب المدينة برفقة مجموعة من رجاله⁽¹⁾.

ومع التزام بلدوين وجنوده بشرط حماية ممتلكات أهالي طرابلس، عاث القادمون الجدد بالمدينة خراباً، وسلبوا الممتلكات الخاصة والعامة⁽²⁾.

ولابن شداد رأي في أعمال القتل والتخريب التي حصلت، مفاده: أن بعض جنود طرابلس الذين أعطوا الأمان تعجلوا في مغادرة المدينة، ونزلوا إلى البر قبل أن يتم تثبيت شروط الأمان بشكل كامل، فاستغل الصليبيون تلك الفرصة، ودخلوا عبر المكان الذي خرج منه الجنود، وقام بعضهم بقتل السكان ونهب الممتلكات العامة والخاصة⁽³⁾.

وذكر ابن الفرات أن أحد كهنة الصليبيين دخل المكتبة فوجدها مليئة بالكُتب، ويبدو أنه تجول في القاعة المخصصة للمصاحف الشريفة، وفي أثناء ذلك تصفح إحدى النسخ ليجد أنها نسخة من القرآن الكريم، ثم كرر الأمر مع نسخة أخرى فتبين أنها أيضاً من القرآن، واستمر كذلك حتى تصفح عشرين نسخة، فكانت كلها من القرآن الكريم، وبسبب جهله، استنتج أن كامل محتويات المكتبة تقتصر على المصاحف أو التفاسير فقط، مما أثار غضبه وزاد من حدة روحه الصليبية، فقال: "هذه مكتبة مملوءة بالمصاحف أو التفاسير، احرقوها وهكذا تم تنفيذ أمره بإحراق المكتبة بشكل كامل"⁽⁴⁾، وأمر بإشعال النيران فيها، فتم ذلك والتهمت جميع الكتب⁽⁵⁾.

وقد تباينت آراء المؤرخين بشأن تحديد السنة التي سقطت فيها طرابلس؛ فقد أشار بعضهم إلى أن ذلك كان في عام (502هـ)⁽⁶⁾، بينما ذهب آخرون إلى أن سقوطها كان في

(1) ابن الاثير، الكامل، ج8/ص578.

(2) المصدر نفسه، ج8/ص579.

(3) الاعلاق الخطيرة، ج2/ص111.

(4) تاريخ ابن فرات، ص321. وفي هذا الخصوص قيل انه كان بها 50 ألف من نسخ المصحف الشريف وثمانون ألف نسخة من كتب التفسير. ينظر: حمادة، المكتبات في الاسلام، ص132؛ الجندي، الجامع في اخبار ابي علاء المعري وآثاره، ج1/ص202؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج5/ص180.

(5) ابن القلانسي، ذيل، ص163؛ ابن شداد، الاعلاق، ج2/ص11؛ السلامي، مختصر التواريخ، ص277.

(6) ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص163؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص364؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج2/ص150؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5/ص220؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج2/ص170.

سنة (503هـ)⁽¹⁾، كما تباينت اراء الباحثين كذلك، فقد أشار بعضهم إلى أن سقوطها كان في السادس والعشرين من ذو القعدة سنة (502هـ)⁽²⁾، وفريق آخر قال: إنه ذلك كان في الثاني عشرة من ذو الحجة سنة (502هـ)⁽³⁾، وفريق ثالث ذهب إلى أنه كان في الثاني من ذو الحجة سنة (503هـ)⁽⁴⁾.

وفي بداية الصيف "نزل الإفرنج بمجموعهم وحشدتهم على طرابلس - كما يقول ابن القلانسي - وشرعوا في قتالها... وأسندوا أبراجهم إلى السور... فشد الإفرنج القتال عليها وهجموها من الأبراج، فملكوها بالسيف يوم الإثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من السنة 502هـ"⁽⁵⁾، قال أمين معلوف: "الموافق للثاني عشر من تموز/ يولية 1109م، وبعد ألفي يوم من المقاومة خربت مدينة المصوغات والمكتبات والبحارة البواسل القضية المثقفين على يد محاربي الغرب، ونهبت مئة ألف مجلد التي كانت في "دار العلم"⁽⁶⁾.

وهذا النص يشير بشكل واضح أن أهل طرابلس قد قاوموا الغزاة طيلة ألفي يوم من الاعتداءات، كما وصف مدينة طرابلس التي كانت في ظل الدولة العمارية بأوصاف لا تكون إلا في دولة مستقرة أمنياً، ومزدهرة اقتصادياً، عامرة بالعلم والعلماء والمكتبات، وهذا يكشف حكمة وأنصاف قيادات هذا البلد.

وأعقب سقوط طرابلس سقوط مدن ساحل بلاد الشام الأخرى⁽⁷⁾، وتبع هذا انهيار كامل للمقاومة الإسلامية⁽⁸⁾.

وعن مصير فخر الملك فقد انتقل بعد ذلك الى شيزر، وأكرمه صاحبها الأمير سلطان بن علي بن منقذ الكناني وسأله ان يُقيم عنده فلم يفعل⁽⁹⁾، ومن ثم انتقل الى دمشق، وهو ما

(1) ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص578؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج4/ ص356؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2/ ص19؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج16/ ص207؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج4/ ص6.

(2) عاشور، الحركة، ج1/ ص372؛ الحريري، اخبار السنية في الحروب الصليبية، ص51؛ بروكلمان، في تاريخ الشعوب الإسلامية، ج2/ ص218.

(3) فيليب حتي، لبنان، ص355؛ عاشور، الحركة، ج1/ ص372.

(4) الحريري، الاخبار، ص51.

(5) ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص111- ص112.

(6) أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص.

(7) مثل بيروت وصيدا وبانياس. ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5/ ص220- ص221.

(8) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5/ ص179.

(9) ابن الأثير، الكامل، ج8/ ص579.

بينه ابن الأثير بقوله: "سار الى دمشق، فأنزله ظفكتين صاحبها، وأجزل له في الحمل والعطية، وأقطعه أعمال الزبداني⁽¹⁾ وهو عمل كبير من اعمال دمشق، وكان ذلك في المحرم سنة اثنتين وخمسمائة"⁽²⁾.

ثم أصبح وزيراً للسلطان السلجوقي مسعود بن ملكشاه⁽³⁾ في الموصل سنة (509هـ)، واستمر بعمله هذا حتى سنة (513هـ)، اذ عزله السلطان مسعود عنها⁽⁴⁾، ثم انتقل إلى مصر في سنة (516هـ) وطلب الأمان من الأمر بأحكام الله الفاطمي (495-524هـ) فمنحه الأمان وأكرمه وأحسن اليه وأسكنه داراً وأمر بتوفير كافة المستلزمات اليه⁽⁵⁾، وبقي كذلك حتى وفاته بين سنتي (516هـ) و(517هـ)⁽⁶⁾.

مما سبق يتبين أن سقوط طرابلس لم يكن نتيجة تقاعس أهلها، بل على العكس، فقد دافعوا عنها بشجاعة وشراسة، لكن القوى الإسلامية في بلاد الشام والخلافة العباسية، لم تقدم الدعم لها، فظلت تواجه لوحدها ضغط الصليبيين وحصارهم، حتى انهارت قواهم ونفذت مؤنهم، فسلموا مدينتهم الى الدولة الفاطمية ومن ثم الى الصليبيين مقابل شروط نصت على حفظهم وحفظ أموالهم.

(1) الزبداني قرية تقع بين دمشق وبعليبك. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3/ص130 .

(2) الكامل، ج8/ص579-ص580 .

(3) هو ابو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي الملقب غياث الدين، احد ملوك السلاجقة في الموصل، توفي في سنة (547هـ). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/ص101-ص102؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج11/ص475 .

(4) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج11/ص8؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5/ص53 .

(5) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج2/ص192.

(6) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج39/ص333؛ تدمري، تاريخ طرابلس، ج1/ص461 .

الخاتمة

في ختام رسالتنا الموسومة (الاحوال العامة للدولة العمارية في طرابلس 462-502هـ) نُجمل نتائج البحث وتوصياته في النقاط المهمة الآتية:

1- انحدر بنو عمار من أصول عربية، واعتنقوا المذهب الشيعي الامامي الاثنى عشري، وقد ترك هذا الانتماء أثراً واضحاً في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في طرابلس الشام في أثناء فترة حكمهم، وأدت هذه الاسرة دوراً بارزاً في بلاد الشام.

2- على الرغم من وجود آراء مشككة في نسبهم واعتبارهم من أصل كتامي ينتمي للبربر، فإن ما تم التوصل إليه يُرجح انتماءهم العربي، وارتباطهم بالقبائل الكتامية، يُفسّر برغبة تلك القبائل في الهيمنة الإقليمية، حيث وجدت في بني عمار وسيلة لتحقيق ذلك الطموح.

3- أسهمت أسرة بني عمار بشكل كبير في تأسيس وتثبيت دعائم الدولة الفاطمية واستمرارها في منطقة شمال إفريقيا وحوض بحر الروم، ولعبت دوراً محورياً من خلال قيادتها للجيش الفاطمي في العديد من الحملات، سواء لقمع التمردات وحركات العصيان أو لفتح مناطق جديدة وتعزيز النفوذ الفاطمي فيها، إلى جانب تميزها بالقوة والعزيمة، واشتهرت ببراعتها في القيادة، وتمثل ذلك بوضوح في إخماد فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد في سنة (333هـ) وفي مواجهة حركة أبي خزر الزناتي سنة (358هـ).

4- حقق بنو عمار دوراً سياسياً بارزاً ضمن الدولة الفاطمية قبل أن يعلنوا استقلالهم في طرابلس سنة (462هـ)، اذ استطاعوا تحقيق نفوذ إداري وسياسي مهد الطريق لتأسيس دولتهم المستقل.

5- نال بنو عمار ثقة الفاطميين بشكل واضح، وتجلّى ذلك في دورهم البارز في قضايا ولاية العهد، وتأثيرهم الكبير نتيجة لأمانتهم ومكانتهم الرفيعة لدى الفاطميين، بدليل وصاية الحاكم بأمر الله الفاطمي ومبايعة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي.

6- على الرغم من الإنجازات التي حققتها هذه الأسرة، إلا أن تطلعاتها الكبرى كانت تتجه نحو إنشاء إمارة مستقلة عن كل من الدولتين العباسية والفاطمية، وتمكنوا من تحقيق هذا الهدف بذكاء، مستفيدين من حالة الاضطرابات والصراعات التي كانت تشهدها منطقة بلاد الشام آنذاك، واستطاعوا تأسيس إمارة مستقلة في طرابلس بقيت بمنأى عن تلك الاضطرابات والصراعات.

7- كان لبني عمار أثرٌ بارز ومؤثر في الصعيدين السياسي والعسكري، فضلاً عن جهودهم الجهادية في مواجهة الغزو الصليبي، فقد كانوا في طليعة المقاومة العربية الإسلامية، ووقفوا بحزم أمام توسعات هذا الغزو، الذي أخفق في اختراق صمودهم المستمر، وعلى الرغم من سقوط العديد من المدن الإسلامية تحت ضربات الصليبيين، نجحوا في الحفاظ على مقاومة طرابلس لمدة عشر سنوات تحت حكمهم، وأصبحت طرابلس رمزاً للصمود والتحدى ضد الغزو الصليبي بفضل جهود قياداتها وتصميمهم على التصدي لهذا التهديد.

8- حقق بنو عمار إنجازات حضارية بارزة، لعل أبرزها تفوقهم في مجالات الإدارة عبر تقلدهم مناصب هامة في الدولة الفاطمية، مثل الوزارة والقضاء وديوان الإنشاء، ومن خلال هذه المناصب، أسهموا بشكل كبير في دعم الدولة وتعزيز بنيتها الإدارية، إلى جانب ذلك، تركوا بصمة ملحوظة في المجال الاقتصادي بفضل اهتمامهم بتطوير الزراعة والصناعة والتجارة.

9- حقق بنو عمار في الجانب الثقافي، دور ريادي في تعزيز الحركة العلمية، حيث جمعوا عدداً كبيراً من العلماء من مختلف التخصصات، مما جعل مدينة طرابلس وجهة رئيسية لطلاب العلم الذين جاءوا إليها من شتى أنحاء العالم، وأسّسوا دار العلم في طرابلس، التي اشتهرت بغناها بالمؤلفات النفيسة والنادرة، وبفضل ذلك تحولت طرابلس إلى مركز علمي مرموق يُضاهي المدن الإسلامية الكبرى في ذلك العصر.

10- إنّ الموقع الجغرافي المتميز لمدينة طرابلس جعلها نقطة وصل استراتيجية بين مصر وبلاد الشام، وعزز استمرار انتقال التأثيرات السياسية والاقتصادية والثقافية عليها، فضلاً عن ذلك تصدت المدينة للتحديات السياسية والعسكرية التي فرضتها ظروف تلك الحقبة على المنطقة.

11- حافظت الدولة العمارية على مستوى من الاستقرار السياسي والإداري على الرغم من الظروف الإقليمية الصعبة، اذ تميزت تلك الفترة بالنزاعات المتكررة بين القوى الإسلامية والحملات الصليبية.

12- كان لبني عمار دور كبير في مقاومة الحملات الصليبية، اذ أظهرت مدينة طرابلس صموداً استثنائياً في وجه الحصار الصليبي الذي استمر نحو عشر سنوات، مما عكس التنظيم المحكم للمنظومة العسكرية والإدارية في الدولة العمارية، الا أنّ عدم تكافؤ القوى بين قوات

مدينة طرابلس من جهة والصليبيين من جهة أخرى، وتوقف الامدادات من الدول الإسلامية المجاورة لطرابلس أدى بالتالي الى استسلام المدينة للصليبيين.

13- استفادت طرابلس من موقعها الجغرافي المطل على البحر وعلاقاتها التجارية النشطة مع مدن حوض البحر المتوسط في نشاطها التجاري، فكان ذلك سبباً في ازدهار هذا القطاع، الذي أسهم في ازدهار العمران وتوسع الحركة التجارية في المدينة.

14- اهتم بنو عمار بالعلم والثقافة، وتجلى ذلك بإنشاء مكتبة دار العلم في طرابلس، كانت واحدة من أبرز المراكز العلمية والثقافية في بلاد الشام خلال القرن الخامس الهجري.

15- كان للتنوع السكاني والاجتماعي الكبير في طرابلس دور في تعزيز الازدهار الثقافي والاقتصادي للمدينة، ما جعلها مركزاً حضارياً بارزاً في المنطقة وواحدة من أهم مدن بلاد الشام.

وخرجت هذه الرسالة بالتوصيات الآتية:

1- التركيز على دراسة تاريخ الدولة العمارية بوصفها إحدى الإمارات الإسلامية الشيعية البارزة في بلاد الشام، وتثميناً لدورها السياسي والحضاري المهم، ولاسيما في التصدي للحمالات الصليبية.

2- دراسة وتحقيق المصادر والمخطوطات المتعلقة بتاريخ طرابلس الشام وحكم بني عمار، لما تحويه من تفاصيل تُسهم في إيضاح العديد من الجوانب التاريخية التي ظلت غامضة.

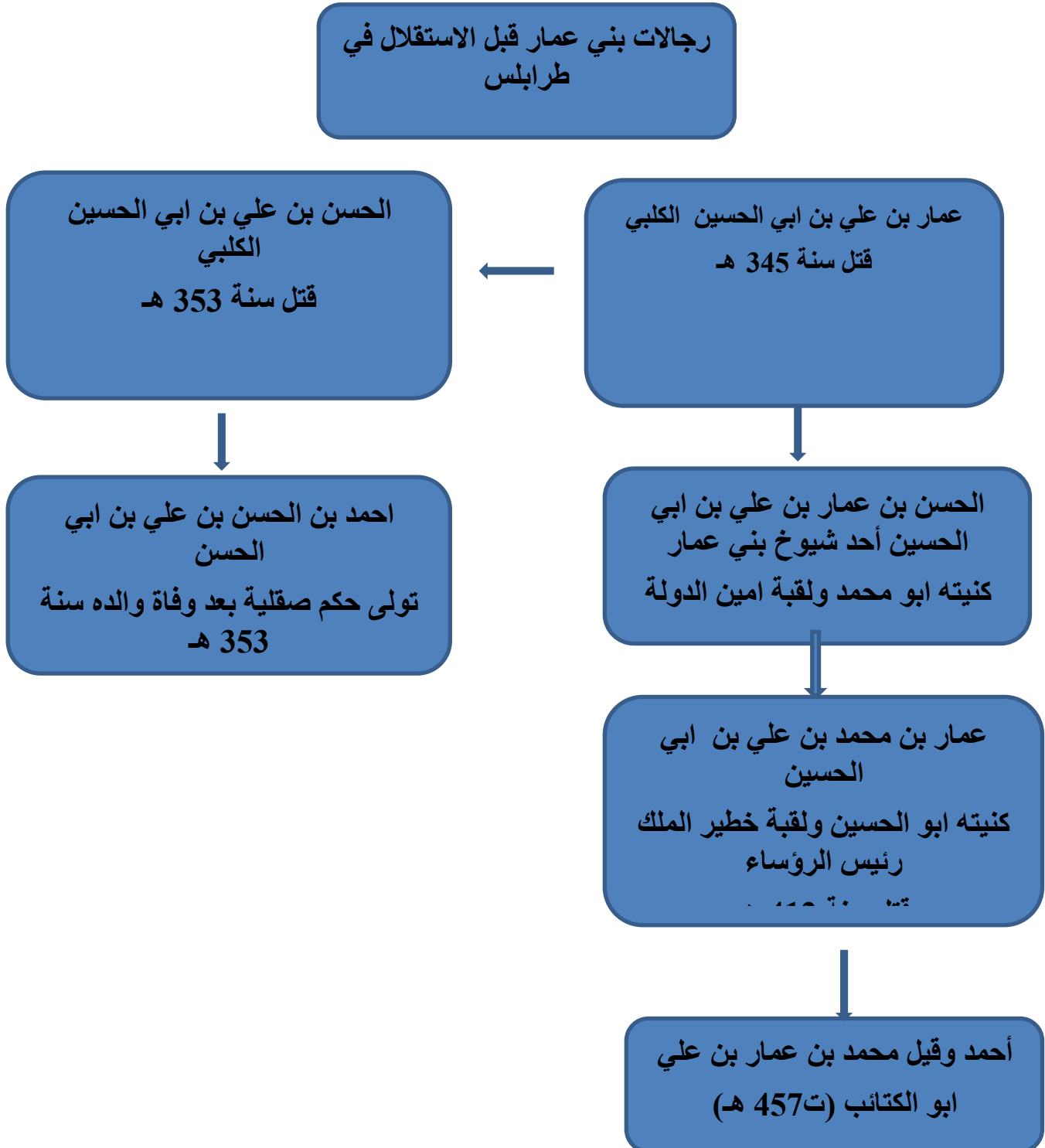
3- البحث على إجراء دراسات أكاديمية مُعمقة حول الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والحضارية للدولة العمارية، ولاسيما ما تعلق بدار العلم ودورها الرائد على الساحة العلمية الإسلامية.

4- الدعوة إلى إعداد دراسات مقارنة بين الدولة العمارية الشيعية والإمارات الإسلامية المعاصرة لها في بلاد الشام، لاستكشاف أوجه التشابه والاختلاف في النظم السياسية والإدارية والجوانب الحضارية.

5- حث وزارة التربية وكذلك وزارة التعليم العالي لتحديث المناهج والمفردات الدراسية فيما يخص مادة التاريخ الإسلامي، لتشمل الدولة العمارية، مما يتيح للجيل الناشئ الاطلاع على منجزات هذه الدولة وتجربتها السياسية والعسكرية وشجاعة القائمين عليها.

ملحق رقم (1)

رجال بني عمار



ملحق رقم (2)

جدول بولاية وقادة وقضاة طرابلس منذ الفتح العربي الى سقوطها

الوالي أو القائد أو القاضي	تاريخ الولاية	الخليفة المعاصر	الدولة
الوالي سحيم بن المهاجر	حوالي ٦٥ هـ - ٨٦ هـ.	عبد الملك بن مروان	الأموية
القائد سحيم بن المهاجر	٨٦ - ٩٦ هـ.	الوليد بن عبد الملك	الأموية
القائد أبو مسلم الثقفي	حوالي ١٠٠ هـ.	عمر بن عبد العزيز	الأموية
القاضي عبيد الله بن القاسم الهمداني	حوالي منتصف القرن ٣ هـ.	المستعين بالله	العباسية
؟ ابن الوراق	المنتصف الثاني من القرن ٣ هـ.	؟	العباسية
الوالي زرافة الحاجب	المنتصف الثاني من القرن ٣ هـ.	؟	العباسية
أمير البحر ليو الطرابلسي	حوالي ٢٩٢ - ٣١٣ هـ.	المكتفي بالله	العباسية
الوالي عبيد الله بن خراسان الطرابلسي	حوالي ٣٢٥ - ٣٣٠ هـ.	كافور	الإخشيدية
الوالي إسحاق بن إبراهيم بن كبلغ	٣٣٣ - ٣٥٠ هـ.	كافور	الإخشيدية
الوالي أحمد بن تحرير الأرغلي	حوالي ٣٥٠ - ٣٥٧ هـ.	كافور	الإخشيدية
الوالي والقائد ريان الخادم	٣٦٣ - حوالي ٣٧٠ هـ.	المعز لدين الله	الفاطمية
القائد نزال الغوري الكتامي	٣٧٠ - ٣٨١ هـ.	العزیز بالله	الفاطمية
القائد المظهر بن نزال الكتامي	٣٨١ - ٣٨٥ هـ.	العزیز بالله	الفاطمية
القائد جيش بن محمد بن الصمصامة	٣٨٥ هـ.	العزیز بالله	الفاطمية
القائد علي بن جعفر بن فلاح	أول ٣٨٦ هـ.	الحاكم بأمر الله	الفاطمية

(1) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ص708

ملحق رقم (3)

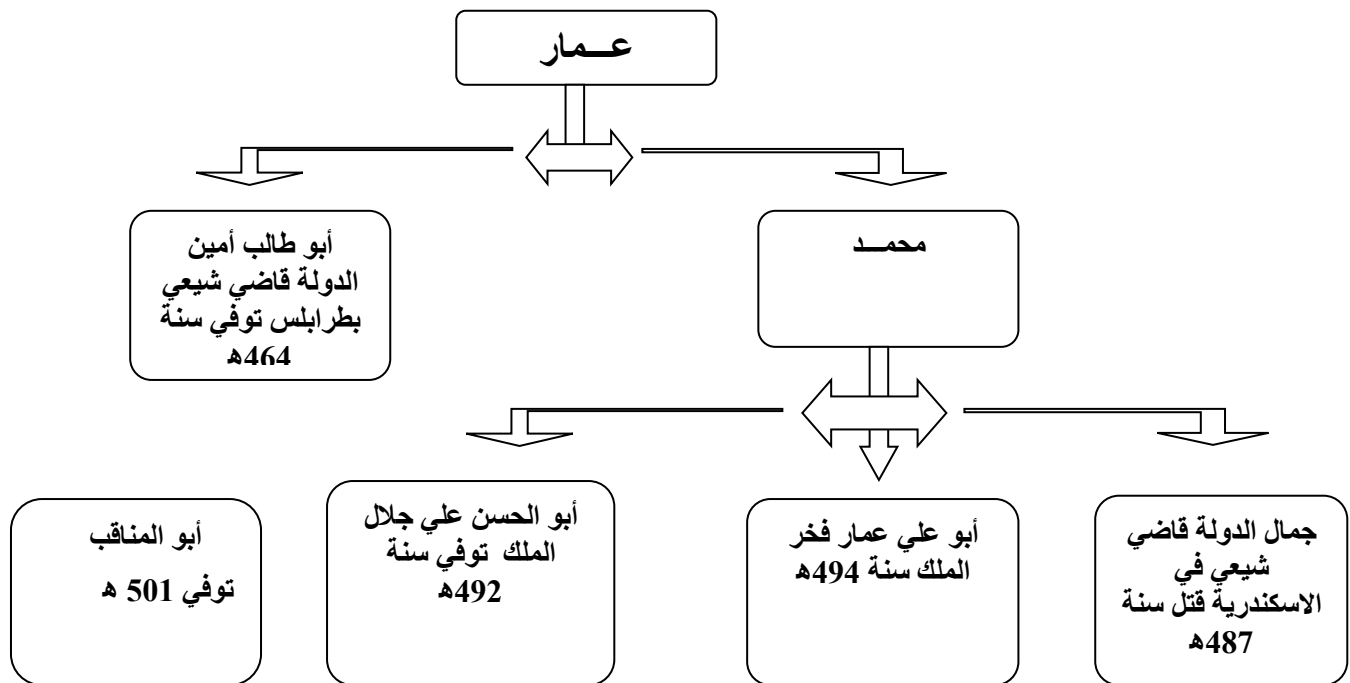
جدول بولاة وقادة طرابلس في الخلافة الفاطمية

الدولة	الخليفة المعاصر	تاريخ الولاية	الوالي أو القائد أو القاضي
الفاطمية	الحاكم بأمر الله	٣٨٦ هـ.	الأمير عز الدولة نعيم التنوخي
الفاطمية	الحاكم بأمر الله	٣٨٧ هـ.	القائد ميسور الخادم الصقلي
الفاطمية	الحاكم بأمر الله	قبل ٣٨٥ - ٤٠٢ هـ.	القاضي علي بن عبد الواحد بن حيدرة
الفاطمية	الحاكم بأمر الله	٤٠٠ - ٤٠٧ هـ.	القائد أبو سعادة
الفاطمية	الحاكم بأمر الله	٤٠٢ - حول ٤٠٥ هـ.	القاضي الحسين بن علي بن حيدرة
الفاطمية	الحاكم بأمر الله	حول ٤٠٥ هـ. - ؟	القاضي هبة الله بن علي بن حيدرة
الفاطمية	الحاكم بأمر الله	٤٠٧ - ؟	مختار الدولة محمد بن نزال الكتامي
الفاطمية	ست الملوك والظاهر	؟ - ٤١٥ هـ.	ناصر الدولة حسين بن حمدان
الفاطمية	الظاهر والمستنصر بالله	٤١٥ - ٤٢٤ هـ.	مختار الدولة محمد بن نزال الكتامي
الفاطمية	المستنصر بالله	؟ -	الرئيس أبو طالب محمد بن أحمد بن عمار
الفاطمية	المستنصر بالله	؟ - ٤٥٧ هـ.	بنو أبي الفتح
الفاطمية	المستنصر بالله	؟ - ٤٦٤ هـ.	القاضي أمين الدولة ابن عمار
الفاطمية	المستنصر والمستعلي بالله	٤٦٤ - ٤٩٢ هـ.	القاضي جلال الملك ابن عمار
الفاطمية	المستعلي والأمر بأحكام الله	٤٩٢ - ٥٠١ هـ.	القاضي فخر الملك ابن عمار
الفاطمية	الأمر بأحكام الله	٥٠١ هـ.	أبو المناقب ابن عمار
الفاطمية	الأمر بأحكام الله	٥٠١ هـ.	تاج المعجم
الفاطمية	الأمر بأحكام الله	٥٠١ - ٥٠٢ هـ.	ابن أبي الطيب الدمشقي

(1) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج 1/ص 708

ملحق رقم (4)

اسرة بنو عمار في "معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي" (1)



(1) زامباور، معجم الانساب، ج1/ ص160

ملحق رقم (5)

حدود إمارة بني عمار



(1) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ ص357

ملحق رقم (6)

دينار فاطمي ضرب في سنة (463هـ)



- وجه أول -

نُقش في وسطه:

مَعَدَّ

عبد الله وولده

الإمام أبو تميم

المستنصر بالله

أمير المؤمنين

ويحيط به النص التارفي:

بسم الله الرحمن الرحيم. ضرب هذا الدينار بطرابلس سنة ١١١
(ثلاث؟) وستين وأربعممايا.

(وجه ثانٍ) نُقش في وسطه:

علي

لا إله إلا الله

وحده لا شريك له

محمد رسول الله

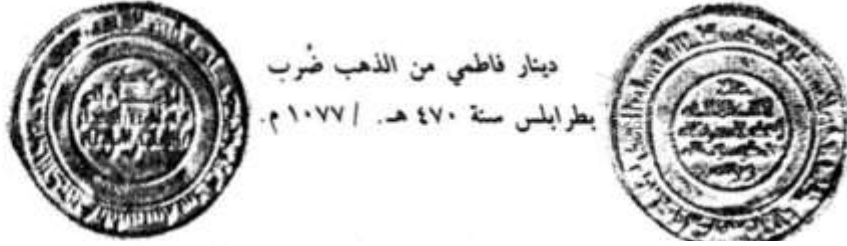
وولي الله

يحيط به النص: محمد رسول الله أرسله «باهدى ودين الحق ليظهره على
الذين كلّه ولو كره المشركون» (٣٥).

(1) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ص353

ملحق رقم (7)

دينار فاطمي من الذهب ضرب بطرابلس سنة (470هـ)



(وجه أول) نُقش عليه :

مَعَدَّ
الإمام أبو
تميم المستنصر
بِالله أمير المؤمنين

ويحيط به النصّ التاريخي :

بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بطرابلس سنة سبعين
وأربعماية

(وجه ثانٍ) :

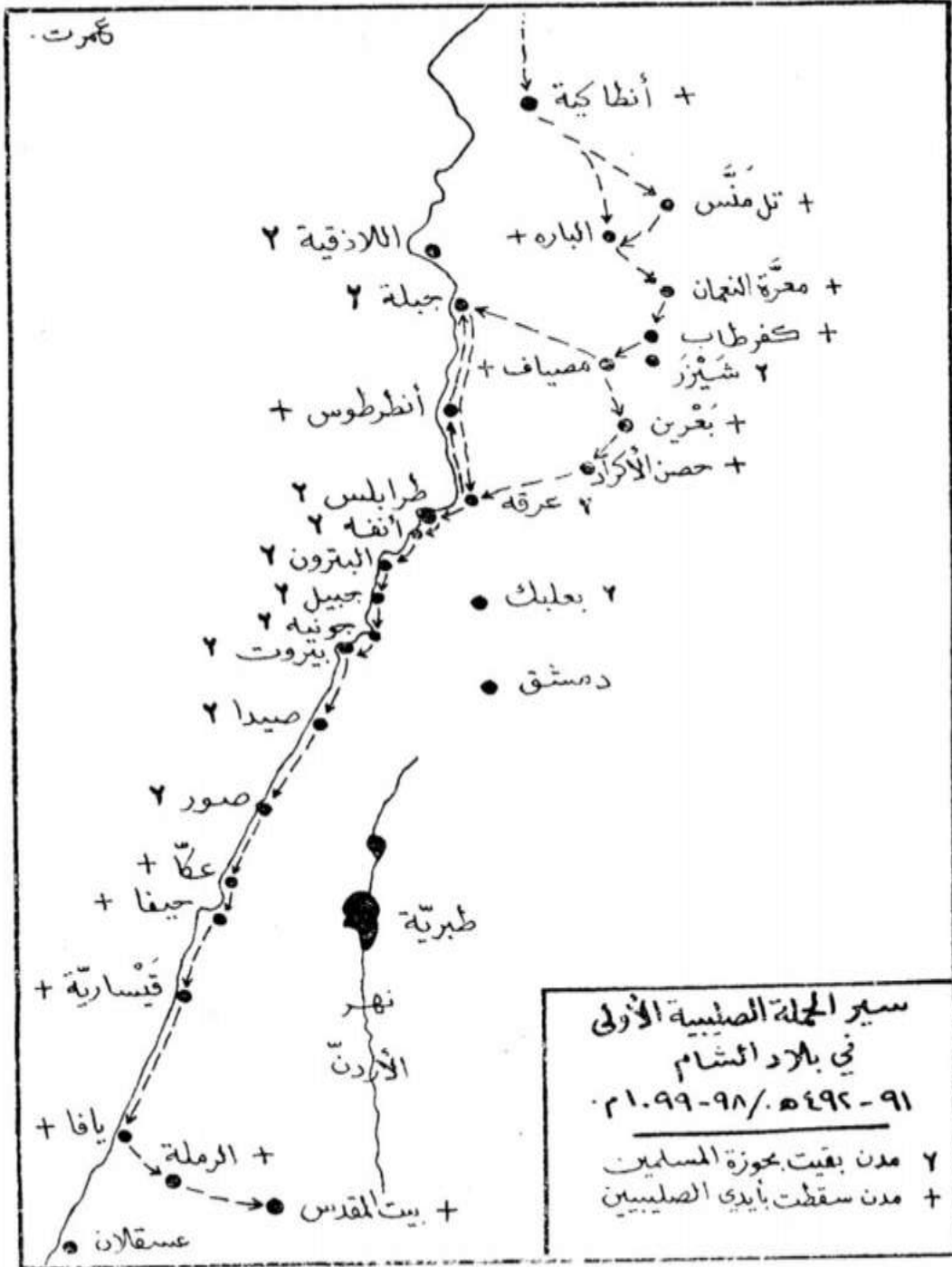
علي
لا إله إلا الله
وحده لا شريك له
محمد رسول الله
وليّ الله

يحيط به : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون.

(1) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ص368

ملحق رقم (8)

خط سير رحلة الحملة الصليبية



(1) تدمري، تاريخ طرابلس السياسي، ج1/ ص389

• قائمة المصادر والمراجع

خير ما نفتتح به القرآن الكريم .

أولاً- المصادر الأولية:

- الابشيهي، شهاب الدين، محمد بن أحمد بن أبي الفتح (ت ٨٥٢هـ/ 1442م):
- 1- المستطرف في كل فنّ مستظرف، تحقيق: سعيد محمد اللحام، ط1، عالم الكتب، (بيروت- ١٤١٩ هـ)
- ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي الجزري (ت ٦٣٠هـ/ 1233م):
- 2- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، (بيروت- ١٤١٧هـ/ ١٩٩7م):
- 3- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ط1، دار إحياء التراث العربي، (بيروت -١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) .
- الادريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله الحسني (ت ٥٦٠هـ/ 1164م):
- 4- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، (بيروت-١٤٠٩ هـ) .
- الأزهرى، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ/ 980م):
- 5- تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، (بيروت-٢٠٠١م)
- الاصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ/ 1038م):
- 6- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العالمية (بيروت- 2007م)
- الأصبهاني، أبو عبد الله، محمد بن محمد صفي الدين (ت ٥٩٧هـ/ 1200م):
- 7- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام)، تحقيق شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، (دمشق - 1968 م) .
- 8- تاريخ دولة ال سلجوق، تقديم يحيى مراد، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت-2004م)
- 9- الفتح القسي في الفتح القدسي المشهور بحروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس، ط1، دار المنار، (دم- ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م)
- الاصطخري، ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت 346هـ/ 957م):
- 10- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال ومحمد شفيق غربال، دار القلم، (القاهرة - 1958م).

- الاصمعي، عبد الملك بن قريب (ت217هـ/833م):
- 11- تاريخ العرب قبل الاسلام، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط1، دار الوراق، (بيروت- د.ت)
- الافندي، عبد الله الأصبهاني (ت1130هـ/1718م):
- 12- تعلية أمل الأمل، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط1، مؤسسة التاريخ العربي، (بيروت- 2010).
- 13- رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط1، مؤسسة التاريخ العربي، (بيروت-2010م) .
- الأنصاري، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا (ت٩٢٦هـ/1520م):
- 14- الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: د. مازن المبارك ط1، دار الفكر المعاصر (بيروت-١٤١١م)
- الانطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت٤٥٨هـ/1065م):
- 15- تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتخا، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، (لبنان-١٩٩٠م) .
- ابن ايبك الدواداري، ابو بكر بن عبد الله (ت736هـ/1336م):
- 16- كنز الدرر وجامع الغرر الدرّة المضية في اخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، (القاهرة -1961م).
- البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل (ت256هـ/869م):
- 17- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المشهور بصحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، المطبعة الكبرى الأميرية، (مصر-١٣١١ هـ) .
- ابن البراج، عبد العزيز الطرابلسي (ت481هـ/1088م):
- 19- جواهر الفقه، تحقيق: إبراهيم بهادري، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم-1411هـ) .
- 19- شرح جمل العلم والعمل، تقديم وتصحيح وتعليق: كاظم مديرسانه جي، جامعة مشهد، (مشهد-1974) .
- 20- المذهب، تحقيق: مؤسسة سيد الشهداء العلمية، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم-1406هـ) .
- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي (ت779هـ/1377م):
- 21- تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار المشهور برحلة ابن بطوطة، شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، ط2، دار الكتب العلمية، (بيروت-2003م)

- البغدادي، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت429هـ/1037م):
- 22- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم عقائد الفرق الاسلامية وآراء كبار اعلامها، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، (مصر - د.ت).
- البغدادي، عبدالقادر بن عمر (ت1093هـ/1682م):
- 23- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط4، مكتبة الخانجي، (القاهرة-1997م)
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ/1094م):
- 24- المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي، (د.م - 1992م) .
- البلاذري، ابو العباس احمد بن جابر (ت279هـ/892م):
- 25- فتوح البلدان، تحقيق عبد الله انيس الطباع، مؤسسة المعارف، (بيروت-1407هـ/1987م)
- البلوي، ابو محمد عبد الله بن محمد المدني (ت330هـ/942م):
- 26- سيرة احمد بن طولون، تحقيق: محمد كرد علي، المكتبة العربية، (دمشق-1939م) .
- البيروني، محمد بن احمد ابو الريحان (ت440هـ/1048م):
- 27- الاثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق، ادورد سخاو، مطبعة برلين (ليبنغ-1923م)
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت279هـ/893م):
- 28- الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل المعروف بجامع الترمذي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت-1983).
- التطيلي، بنيامين بن يونه (ت596هـ/1200م):
- 29- رحلة بنيامين التطيلي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الله، ط2، المجمع الثقافي (ابوظبي - 1423هـ/2002م)
- ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف (ت874هـ/1470م):
- 30- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر (القاهرة-1963م).
- التهامي، ابو الحسن علي بن محمد بن نهد (ت416هـ/1025م):

- 31- ديوان ابو الحسن التهامي، تحقيق: محمد زهير الشاويش، ط2، المكتب الاسلامي، (دمشق - 1964م)
- التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي (ت ١١٥٨هـ/1745م):
- 32- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، ترجمة، د. عبد الله الخالدي، ط1، مكتبة لبنان، (بيروت-١٩٩٦م).
- الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/869م):
- 33- البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط1، مكتبة الخانجي، (القاهرة-2003م).
- 34- رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (القاهرة-١٣٨٤هـ/١٩٦٤ م).
- ابن جبير ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكناي الاندلسي (ت614هـ/1217م):
- 35- تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار المعروفة برحلة ابن جبير، دار صادر(بيروت - 1384هـ/1964م)
- الجرجاني، علي بن محمد الحسيني (ت816هـ/1413م):
- 36- التعريفات، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية (بيروت - 2009م) .
- الجوزي، ابو علي منصور العزيزي (ت 390هـ/999م):
- 37- سيرة الاستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطمية، تحقيق: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، (مصر-د.ت).
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ/1200م):
- 38- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤١٢هـ/١٩٩٢م) .
- 39- تلبيس ابليس، تحقيق: دار القلم، ط1، دار القلم للطباعة والنشر(بيروت-1403هـ/1983م)
- الجوهري، اسماعيل بن حماد (ت393هـ/1002م):
- 40- الصحاح تاريخ اللغة العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفو، ط2، دار العلم للملايين، (بيروت-1979).
- حاجي خليفة، مصطفى عبد الله المعروف بكاتب جلبي وباجي خليفة (ت١٠٦٧هـ/1656م):
- 41- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت - 2008).

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي بن محمد (ت852هـ/1448م):
- 42- لسان الميزان، ط2، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت-1971م).
- 43- رفع الاصر عن قضاة مصر، تحقيق علي محمد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، (القاهرة-1998م)
- ابن ابي الحديد، أبو حامد عبدالحميد بن هبة الله (ت656هـ/1258م):
- 44- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل، ط1، دار الجليل (بيروت-1407هـ/1987م)
- ابن حزم، ابو محمد علي بن ابي احمد بن سعيد الاندلسي، (ت456هـ/1064م):
- 45- جمهرة انساب العرب، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، ط1، دار المعارف (القاهرة- 1962م) .
- الحلبي، السيد حمزة بن علي بن زهرة (ت585هـ/1189م):
- 46- غنية النزوع الى علمي الاصول والفروع، تحقيق الشيخ ابراهيم البهادري، ط1، مؤسسة الامام الصادق (ع) (قم-1417هـ)
- ابن حماد، محمد بن علي بن حماد الصنهاجي (ت٦٢٨هـ/1231م):
- 47- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، (القاهرة- د.ت).
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت727هـ/1326م):
- 48- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، مطابع دار السراج، (بيروت-1980م) .
- ابن حنبل، ابو عبد الله، احمد (ت241هـ/855م):
- 49- فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله، محمد عباس، ط1، مؤسسة الرسالة، (بيروت - 1983).
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي (ت بعد٣٦٧هـ/977م):
- 50- صورة الارض، دار صادر، أفست ليدن، (بيروت-١٩٣٨م) .
- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٢٨٠هـ/893م):
- 51- المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن (بيروت-١٨٨٩م) .
- ابن الخطيب، لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن احمد (ت776هـ/1374م):

- 52- كتاب اعمال الاعلام القسم الثالث تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق احمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكنانى، دار الكتاب، (الدار البيضاء-1964م).
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/1070م):
- 53- تاريخ بغداد مدينة السلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٤١٧هـ/١٩٩٧م) .
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1405م):
- 54-العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، ط1، دار الفكر، (بيروت-1981م).
- 55- مقدمة ابن خلدون، شرحها وائل حافظ خلف، دار الكتب العلمية، (بيروت-2013م)
- ابن خلكان، ابو عباس شمس الدين احمد (ت681هـ/1282م):
- 56- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت-1990م) .
- خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت ٢٤٠هـ/841م):
- 57- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، ط2، دار القلم، مؤسسة الرسالة، (بيروت-١٣٩٧هـ)
- ابن الخياط، ابو عبد الله احمد بن محمد بن علي التغلبي (ت517هـ/1118م):
- 58- ديوان ابن الخياط ، تحقيق خليل مردم بك، المطبعة الهاشمية، (دمشق-1958م).
- ابن دريد، أبو بكر، محمد بن الحسن، ألابزدي (ت321هـ/932م):
- 59- جمهرة اللغة، تحقيق، رمزي منير البعلكي، ط1، دار العلم للملايين، (بيروت-1987م).
- ابن الدقاق، محمد بن أبي بكر بن محمود بن إبراهيم (ت738هـ/1339م):
- 60- الحكم والغايات في تعبير المنامات ،مكتبة الجامعة الأردنية (عمان- د.ت).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/1347م):
- 61- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، (بيروت-١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- 62- سير أعلام النبلاء، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، (بيروت -2007م) .

- 63- العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دائرة المطبوعات والنشر، (الكويت-1960م).
- 64- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، (بيروت-2008م)
- الرازي، الشيخ ابي حاتم أحمد بن حمدان (ت322هـ/933م):
- 65- الزينة في الكلمات الاسلامية العربية، عارضه بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني، ط2، (القاهرة-1957م)
- الراوندي، محمد بن علي بن سليمان (ت599هـ/1202م):
- 66- راحة الصدور واية السرور، تحقيق ابراهيم امين الشواربي واخرون، المجلس الاعلى للثقافة، (القاهرة-2005م)
- ابن رسته، ابو علي احمد بن عمر (ت290هـ/903م):
- 67- الاعلاق النفيسة، مطابع بريل، (لیدن-1891م).
- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله (ت٧٩٤هـ/1397م):
- 68- إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، ط4، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (القاهرة-١٤١٦هـ/١٩٩٦م)
- الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمرو (ت 538هـ/1144م):
- 69- اساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، (لبنان - 1982م) .
- ابن زولاق، ابو محمد الحسن بن ابراهيم (ت387هـ/997م):
- 70- فضائل مصر واخبارها وخواصها، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الاسرة، (مصر-1999م).
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت654هـ/1256م):
- 71- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: زاهر اسحق واخرون، ط1، دار الرسالة العالمية، (دمشق - ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) .
- السخاوي، الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/1497م):

- 72- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التورخ، تحقيق: سالم بن غتر بن سالم الظفيري، ط1، دار الصمعي للنشر والتوزيع، (الرياض - ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م).
- ابن سعد، أحمد بن سعد بن منيع (ت230هـ/844م):
- 72- الطبقات الكبرى، دار صادر، (بيروت - د.ت)
- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت٥٦٢هـ/1166م):
- 73- الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى وآخرون، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م).
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى (ت٤٥٨هـ/1065م):
- 74- المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط1، دار إحياء التراث العربي، (بيروت - ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت911هـ/1505م):
- 75- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت - 1997م).
- 76- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق، أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طبية، (د.م - د.ت).
- 77- الشماخي في علم التاريخ، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب (د.م - د.ت)
- أبو شجاع، محمد بن الحسين الروذراوي (ت488هـ/1096م):
- 78- ذيل تجارب الأمم، شركة التمدن الصناعية، (مصر - 1916م).
- ابن الشحنة، أبو الفضل محمد بن محمد (ت882هـ/1477م):
- 79- الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي، (دمشق - 1984م).
- ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت684هـ/1285م):
- 80- الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق - 1991م).
- ابن شهر آشوب، أبو عبد الله محمد بن علي (ت588هـ/1192م):

- 81- معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة واسماء المصنفين منهم قديما وحديثاً، تحقيق مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث (قم- د.ت).
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ/1153م):
- 82- الملل والنحل، صححه وعلق عليه: الاستاذ احمد فهمي محمد، ط2، دار الكتب العلمية، (بيروت- 1992م).
- شيخ الربوة، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي طالب (ت 727هـ/1326م):
- 83-نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، (بغداد- 1963م).
- الصابئ، أبو الحسن هلال بن المحسن (ت 448هـ/1056م):
- 84- رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، ط3، دار الرائد العربي، (بيروت-1986م).
- الصابي، ثابت بن سنان (ت 365هـ/975م):
- 85- تاريخ اخبار القرامطة، تحقيق سهيل زكار، ط2، مؤسسة الرسالة، (بيروت- 1971م).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/1363م):
- 86- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، (بيروت-1420هـ/2000م) .
- السوري، وليم (ت 581هـ/1185م):
- 87- الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دم-1992م).
- ابن الصيرفي، ابو القاسم علي بن منجب (ت 542هـ/1147م):
- 88- القانون في ديوان الرسائل، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط1، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة-1990م) .
- 89- الاشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط1، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة-1990م) .
- ابن طاووس، رضي الدين القاسم علي بن موسى بن جعفر (ت 668هـ/1269م):
- 90- اقبال الاعمال نهض بمشروعه الشيخ محمد الآخوندي، ط2، دار الكتب الاسلامية (طهران- 1349هـ).
- الطبراني، سليمان بن احمد بن ايوب (ت 360هـ/970م):

- 91- المعجم الاوسط، تحقيق: إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، (السعودية-1995م).
- الطبرسي، أبو علي، الفضل بن الحسن (ت548هـ/1444م):
- 92- مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: لجنة من العلماء، ط1، مؤسسة الاعلمي، (بيروت- 1415هـ)
- الطبرسي، أبو منصور، احمد بن علي بن ابي طالب (ت560هـ/1164م):
- 94- الاحتجاج، تحقيق: محمد باقر الخراسان، دار النعمان للطباعة والنشر، (النجف-1966م).
- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت310هـ/922م):
- 96- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف(مصر- 1387هـ/1967م).
- 97- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط تعليقاته، محمود شاكر، (بيروت-2001م).
- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت709هـ/1390م):
- 98- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، ط1، دار القلم العربي، (بيروت-1997م).
- الطوسي، محمد بن الحسن بن علي (ت460هـ/1068م):
- 99- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، تحقي: السيد حسن الموسوي، ط4، دار الكتب الإسلامية، (طهران-1363ش).
- 100- المبسوط في فقه الإمامية، تصحيح وتعليق: محمد تقي الكشفي، ط1، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية، (طهران-1387ش).
- ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام (ت617هـ/1220م):
- 101- نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، تحقيق: ايمن فؤاد سيد، ط1، مطابع دار السلام، (بيروت- 1412هـ/1992م).
- ابن ظافر، جمال الدين علي الازدي (ت613هـ/1216م):
- 102- اخبار الدول المنقطعة (القسم الخاص بالفاطميين)، تحقيق: اندريه فريه، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، (القاهرة-1972م).
- ابن عبد الظاهر، محي الدين ابو الفضل عبد الله المصري (ت692هـ/1292م):

- 103- الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق ايمن فؤاد سيد، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، (القاهرة-1996م).
- ابن العبري، غريغوريوس ابي الفرج بن هارون الملطي (ت685هـ/1286م):
- 104- تاريخ مختصر الدول، تحقيق الاب انطون صالحاني اليسوعي، ط2، دار الرائد اللبناني، (لبنان-1994م).
- أبو عُبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت٢٢٤هـ/839م):
- 105- كتاب الأموال تحقيق، خليل محمد هراس، دار الفكر، (بيروت- د.ت)
- ابن العديم، كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله (ت660هـ/1262م):
- 106- الانصاف والتحري في دفع الظلم والتحري عن ابي العلاء المعري، مخطوط محفوظ في قسم المخطوطات في مكتبة الاسد، تحت رقم 8424.
- 107- بغية الطالب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت- د.ت).
- 108- زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت- 1996م).
- ابن عذارى، ابو عبد الله محمد المراكشي (كان حياً سنة 712هـ/1314م):
- 109- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان و إ.ليفلي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، (بيروت-1983م).
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله (ت٥٧١هـ/1176م):
- 110- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واديها وأهلها، تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د.م- ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت395هـ/1005م):
- 111- التلخيص في معرفة اسماء الاشياء ، تحقيق عزة حسن، ط1، مجمع اللغة العربية، (دمشق- 1969م).
- العظيمي، محمد بن علي الحلبي (ت556هـ/1161م):
- 112- تاريخ حلب، تحقيق ابراهيم زعرور، (دمشق-1984م).
- العمري، شهاب الدين ابو العباس، المعروف بابن فضل الله (ت748هـ/1348م):

- 113- مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق احمد زكي باشا، مطبعة الكتب المصرية، (القاهرة-1924م).
- ابن العماد، ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت482هـ/1089م):
- 114- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ط2، دار الميسرة، (بيروت-1979م) .
- الغساني، الملك الاشرف اسماعيل بن عباس (ت803هـ/1400م):
- 115- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، مطبعة دار البيان، (بغداد-1975م).
- ابن فارس، ابي الحسين احمد (ت395هـ/1004م):
- 116- مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة-1979م).
- الفارقي، احمد بن يوسف بن علي الازرق (ت577هـ/1181م):
- 117- تاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، (القاهرة-1959م).
- ابو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت732هـ/1332م):
- 118- المختصر في اخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية المصرية، (مصر - د.ت).
- ابن الفرات، أحمد بن الفرات بن خالد الضبي الرازي (ت807هـ):
- 119- الدول والملوك والطريق السلوك الى معرفة تراجم الخلفاء والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات، تحقيق: أبو عمار عبد الله بن ضيف الله العامري الشمراني، ط1، دار الريان، (الإمارات - 1413هـ/1992م).
- الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت175هـ/791م):
- 120- العين، تحقيق: عبد الحميد هندوي، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت-2003م).
- ابن الفقيه، ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني (ت نحو 340هـ/951م):
- 121- مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، (لايدن - 1302هـ).
- القاضي النعمان، النعمان بن محمد بن منصور بن حيون (ت363هـ/974م):

- 122- افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (تونس-1986م) .
- 123- دعائم الاسلام، تحقيق: آصف بن علي اصغر فيضي، دار المعارف، (القاهرة-1383هـ/1963م).
- 124- المجالس والمسائرات، تحقيق: الحبيب الفقي واخرون، ط1، دار المنتظر، (بيروت-1996م).
- قدامة بن جعفر، ابو الفرج (ت337هـ/948م):
- 125- الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق، د محمد حسين الزبيدي، نشرته وزارة الثقافة والاعلام العراقية، (بغداد-1981م).
- القرشي، ادريس عماد الدين (ت872هـ/1467م):
- 126- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الاخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الاسلامي (بيروت-1985م).
- 127- عيون الاخبار وفنون الآثار في فضائل الائمة الاطهار، تحقيق مصطفى غالب، دار الاندلس، (بيروت-1975م).
- القرشي، يحيى بن علي (ت662هـ/1264م):
- 128- غرر الفوائد، تحقيق: محمد خرشافي، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت- 1996) .
- القرطبي، عريب بن سعد (ت369هـ/980م):
- 129- صلة تاريخ الطبري، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت- د.ت).
- القرمانلي، احمد بن يوسف (ت1019هـ/1610م):
- 130- اخبار الدول وآثار الاول في التاريخ، تحقيق احمد حطيط، ط1، عالم الكتب، (بيروت-1992م).
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م):
- 131- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت-١٩٦٠م) .
- القفطي، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف (ت646هـ/1248م):
- 132- انباه الرواة على انباه النحاة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط1، دار الفكر العربي، (القاهرة- 1986م).
- ابن القلانسي، ابي يعلي حمزة بن أسد بن علي (ت555هـ/1160م):

- 133- ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت-1908م) .
- القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت821هـ/1418م):
- 134- صبح الاعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب المصرية (القاهرة-1922م) .
- 135- مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار احمد فراج، ط2، مطبعة حكومة الكويت، (الكويت-1985م).
- 136- نهاية الارب في معرفة انساب العرب، تحقيق ابراهيم الابياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، (بيروت-1980م).
- القيسراني، ابي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي (ت548هـ):
- 137- ديوان ابن الخياط، تحقيق، خليل مردم بك ، المجمع العلمي العربي (دمشق-1377هـ/1958م).
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي (ت774هـ/1373م):
- 138- البداية والنهاية ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، (دم-1417/1420هـ) .
- ابن الكلبي، ابو منذر هشام بن محمد بن السائب (ت204هـ/820م):
- 139- نسب معد واليمن الكبير ، تحقيق ناجي حسن، ط1، دار عالم الكتب، (دم-1988م).
- الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت329هـ):
- 140- الاصول من الكافي، تصحيح وتعليق: علي اكبر الغفاري، ط5، دار الكتب الاسلامية، (طهران-1363ش).
- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت350هـ/961م):
- 141- الولاة والقضاة، تصحيح: رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت-1908م) .
- الكيدري، قطب الدين البيهقي (ت ق6هـ/ الثاني عشر الميلادي):
- 142- اصباح الشيعة بمصباح الشريعة، تحقيق: إبراهيم بهادري، ط1، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، (قم-1416هـ) .
- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت450هـ/1058م):

- 143- الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق احمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة (الكويت-1989م).
- المتقي الهندي، علي بن حسام الدين عبدالملك الهندي (ت975هـ/1567م):
- 144- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني، مؤسسة الرسالة، (بيروت-1989) .
- مجهول (من كتاب القرن العاشر الهجري):
- 145- الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تحقيق سهيل زكار، مكتبة دار الملاح، (د.م-1981م).
- المرتضى، علي بن الحسين الموسوي (ت436هـ):
- 146- تنزيه الأنبياء، ط2، دار الأضواء، (بيروت- د.ت).
- ابن المغازلي، علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي (ت ٤٨٣هـ/1091م):
- 147- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، ط1، دار الآثار، (صنعاء- ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م)
- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت413هـ/1022م):
- 148- أوائل المقالات، تحقيق: إبراهيم الانصاري، ط2، دار المفيد للطباعة والنشر، (بيروت- 1993م).
- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر (ت380هـ/990م):
- 149- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت- 2003م).
- المقرئ، احمد بن محمد بن علي (ت 770هـ/1368م):
- 150- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: عبدالعظيم الشناوي، ط2، دار المعارف، (د.م- د.ت) .
- المقرئ، تقي الدين أبي العباس احمد بن علي (ت845هـ/1441م):
- 151- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - المجلس الأعلى للإحياء التراث الإسلامي (د.م- د.ت).
- 152- غائصة الأمانة بكشف الغمة، تحقيق: كرم حلمي فرحات، ط1، مطبعة صحوة، (د.م- 1428هـ/2007م) .

- 153- المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط2، دار الغرب الاسلامي (بيروت - ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)
- 154- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤١٨هـ) .
 - منتجب الدين، علي بن بابويه (ت601هـ/1204):
- 155- فهرست منتجب الدين، تحقيق: جلال الدين محدث أرموي، مكتبة المرعشي، (قم - 1366ش) .
 - ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل (ت711هـ/1331م):
- 156- لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، ط3، دار صادر، (بيروت-1414هـ/1994م).
 - ابن منقذ، مؤيد الدولة ابو مظفر اسامة بن مرشد الكناني (ت584هـ/1188م):
- 157- كتاب الاعتبار، تحقيق فيليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة- د.ت).
 - المهلب، الحسن بن احمد (ت749هـ/1369م):
- 158- الكتاب العزيزي المسالك والممالك، جمعه وعلق عليه، تيسير خلف، ط1، (دم- د.ت)
 - مؤلف مجهول (ت٦هـ/ق12م):
- 159- الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، (بغداد-١٩٨٦م) .
 - ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف (ت677هـ/1278م):
- 160- اخبار مصر، تصحيح: هنري ماسيه ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، (القاهرة-1919م) .
 - ناصر، خسرو أبو معين الدين الحكيم القبادياني (ت٤٨١هـ/1088م):
- 161- سفر نامه، تحقيق: يحيى الخشاب، ط3، دار الكتاب الجديد، (بيروت-1983م)
 - النوبختي، الحسن بن موسى (ت300هـ/913م):
- 162- فرق الشيعة تحقيق عبد المنعم الحنفي، ط 1، دار الرشيد، (القاهرة-1992م) .
 - النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م):
- 163- نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت-2004م).
 - أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت٣٩٥هـ/994م):
- 164- الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، (بيروت- ١٤١٩هـ)

- الهمذاني، محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد (ت ٥٢١هـ/1120م):
- 165- تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، ط1، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت - 1958م).
- الهمذاني، محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي (ت 1031هـ/1630م):
- 166- الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت - 1998).
- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله الحموي (ت 697هـ/1297م):
- 167- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، دار الكتب، (القاهرة - 1972م).
- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر بن عمر (ت ٧٤٩هـ/1349م):
- 168- تنمة المختصر في اخبار البشر (المعروف بتاريخ ابن الوردي)، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
- اليافعي، ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت 768هـ/1366م):
- 169- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت - 1997م).
- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد الله (ت 626هـ/1228م):
- 171- معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، (بيروت - 1979م).
- 172- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف معجم الأدباء ، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، (بيروت - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).
- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح (ت بعد 292هـ/906م):
- 173- البلدان، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤٢٢هـ).
- اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد (ت 726هـ/1328م):
- 174- ذيل مرآة الزمان، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (الهند - 1955م).

ثانياً- المراجع:

1- الكتب العربية:

- الأصفهاني، شيخ الشريعة (ت 1339هـ):

- 175- إضافة القدير في أحكام العصير، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم - د.ت).
- الأمين ، حسن :
- 176- الوطن الاسلامي بين السلاجقة والصليبيين، ط1، (بيروت -1996م).
- الأمين ، محسن:
- 177- أعيان الشيعة ، تحقيق حسن الأمين ، ط5، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت 2000م).
- الألباني ، محمد ناصر الدين:
- 178- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية المنتخب من مخطوطات الحديث، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، مكتبة المعارف، (د.م - 1422هـ - 2001م).
- ابراهيم ، رجب عبد الجواد:
- 179- المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث ، ط1 ، دار الافاق العربية ، (القاهرة - 2002م).
- افندي، عزمي بك:
- 180- ولاية بيروت، مباحث علمية وأدبية، مطبعة الولاية، (بيروت - 1336هـ).
- الباشا ، حسن:
- 181- دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية ، (القاهرة - 1975 م).
- بدوي ، احمد :
- 182- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، (القاهرة - د.ت).
- بربر، مصطفى أغا:
- 183- أغناطيوس الخوري، (بيروت-1916م).
- البرقوقي :
- 184- ديوان ابي الطيب المتنبي، تحقيق: د عبدالوهاب عزام، (القاهرة - 1944م).
- البغدادي ،اسماعيل باشا:

- 185- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت - د.ت).
- 188- هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت - 1955م).
- البستاني، بطرس:
- 186- دائرة المعارف، دار المعرفة ، (بيروت - د.ت).
- بولس، جواد:
- 187- تاريخه لبنان، (بيروت - 1972م).
- البيشاوي، سعيد عبد الله جبريل البيشاوي:
- 188- الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية "1099-1291" م .، د ط، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية - 1989م).
- تامر، عارف:
- 189- الحاكم بأمر الله خليفة وامام ومصلح، ط1، دار الافاق الجديدة ، (بيروت - 1982م).
- تدمري ، عمر عبد السلام:
- 190- تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، ط1، مطابع دار البلاد، (لبنان - 1978م).
- 191- الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى، ط1، دار فلسطين، (بيروت - 1972م) .
- 192- دار العلم من تاريخ طرابلس الحضاري في القرن الخامس الهجري، ط1، دار الانشاء، (طرابلس - 1982م) .
- التستري، أسد الله الكاظمي:
- 193- مقابس الأنوار ونقايس الأسرار، تحقيق: السيد محمد علي، (طهران - د.ت)
- التتكابني، محمد بن سليمان:
- 194- قصص العلماء، ط2، منشورات ذوي القربى، (قم - د.ت) .
- ثويني، علي:
- 195- معجم عمارة الشعوب الاسلامية، ط1، بيت الحكمة، (بغداد-2005م).

- حبشي ، حسن:
- 196- الحرب الصليبية الاولى، (القاهرة - 1958م).
- الحداد د. عبد الله عبد السلام:
- 197- مقدمة في الآثار الإسلامية دار الشوكاني للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م - ٢٠٠٣م)
- الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت1104هـ/1692م):
- 198- أمل الآمل، تحقيق: أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس، (بغداد - د.ت)
- حرز الدين، محمد:
- 199- مرآة المعارف، تحقيق، محمد حسين، ط1، دار الكتاب العربي، (بغداد-1432هـ/2011م).
- حسن، حسن إبراهيم:
- 200- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة - د.ت).
- 201- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب ، ط4، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة - 1981م).
- حسن، علي إبراهيم:
- 202- مصر في العصور الوسطى(د.م - د.ت)
- حسنين، عبد المنعم محمد:
- 203- سلاجقة ايران والعراق،(الاسكندرية - 1989م).
- حسين، إعجاز:
- 204- كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار، ط2، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، (قم - 1988م).
- حليم، ابو عز الدين:
- 205- محافظة الشمال، محاضرة من سلسلة محاضرات دار الندوة اللبنانية، (بيروت-1961م).
- حمادة، محمد ماهر:

- 206- تاريخ الشيعة في لبنان وسوريا والجزيرة العربية في القرون الوسطى، اشراف وتعليق، جعفر المهاجر، دار بهاء الدين، (بعلبك - د.ت.)
- 207- المكتبات في الاسلام، (بيروت-1970م).
- الحميدة، سالم محمد:
- 208- الحروب الصليبية، ط1، دار الشؤون الثقافية، (بغداد -1990م).
- حومد ، اسعد محمود:
- 209- تاريخ الجهاد لطرد الغزاة الصليبيين، دار الثقافة ،(بيروت - د.ت.).
- أبو حبيب، د سعي:
- 210- القاموس الفقهي (لغة واصطلاحاً)، ط2، دار الفكر، (دمشق - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- الخانجي، محمد أمين:
- 211- منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان،(مصر-1907م).
- الخوانساري، محمد باقر الموسوي (ت 1313هـ/1896م):
- 212- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الدار الإسلامية، (بيروت-1991)
- درة، علي حسين:
- 213- إمارة بني عمار في طرابلس مجاهدون حتى النهاية،(دم- د.ت.).
- دروزة، محمد عزة (ت 1404هـ/1984م)،
- 214- التفسير الحديث، ط2، دار الغرب الاسلامي، (بيروت-2000م) .
- الدشراوي، فرحات:
- 215- الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ / 909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات ، ترجمة حمادي الساحلي ، ط1، دار الغرب الاسلامي ،(بيروت - 1994م).
- الدمشقي، محمد بن سلطان:
- 216- ديوان ابن حيوس، تحقيق خليل مردم بك، المجمع العلمي (دمشق-1958م).
- دوزي، رينهارت

- 217- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ط1، الدار العربية للموسوعات، (بيروت-2012م).
- دويهي، اسطفان:
- 218- تاريخ الازمنة، تحقيق: بطرس فهد. دار لحد خاطر، (بيروت- د.ت).
- الراجحي، زكية عبد السلام:
- 219- العلاقات السياسية والحضارية بين الدولتين البيزنطية والفاطمية خلال الفترة (305-448هـ/ 917-1056)، ط1، دار الكتب الوطنية، (بنغازي - 2008م).
- رستم، اسد:
- 220- آراء وابحاث، (بيروت-1967م).
- رمضان، محمد رمضان الاحمر:
- 221- الحياة الاجتماعية في مصر في عصر الدولة الفاطمية، القدس للنشر والتوزيع، (دم- د. ت)
- الريحاني، امين:
- 222- قلب لبنان، (بيروت - 1965م).
- الزركلي، خير الدين:
- 223- الاعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ط15، دار العلم للملايين، (بيروت - 2002م).
- زكار ، سهيل:
- 224- مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية (المشرق) ، (دمشق - 1995م).
- زكريا هاشم زكريا:
- 225- فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ، راجع هذا الكتاب وقدم له واشرف على اخراجه محمد احمد محمد المهدي. دار نهضة، (القاهرة-1970م).
- الزوكة:
- 226- في جغرافية العالم العربي، (القاهرة - 1968م).
- زيدان، جرجي:

- 227- تاريخ التمدن، دار الهلال، (مصر - د.ت).
- الزين ، سميح وجيه:
- 228- تاريخ طرابلس قديما وحديثا منذ اقدم الازمنة حتى عصرنا الحاضر، دار الاندلس، (بيروت -1969م).
- زيود، محمد احمد:
- 229- دول بلاد الشام ومصر في العصر العباسي الثاني، منشورات جامعة دمشق، (دمشق - 1993-1994م).
- سالم، السيد عبد العزيز:
- 230- طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي، مطابع رمسيس، (الاسكندرية - 1967م).
- السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم:
- 231- العادات والتقاليد العامية في سامراء، (بغداد-1970م).
- السبحاني، جعفر:
- 232- موسوعة طبقات الفقهاء، ط1، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، (قم-1418هـ).
- السحيمي، سليمان بن سالم:
- 233- الأعياد وأثرها على المسلمين، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط2، (المملكة العربية السعودية- ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- سرور، محمد جمال الدين:
- 234- تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، (مصر -1995م).
- 235- سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، (د.م -1976م).
- سليمان ظاهر:
- 236- تاريخ الشيعة السياسي الثقافي الديني، حققه وضبطه عبد الله سليمان ظاهر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت - د.ت).
- سيد ، ايمن فؤاد:

- 237- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، ط1، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة - 1992م).
- الشدياق، طنوس:
- 238- اخبار الاعيان في جبل لبنان، منشورات الجامعة اللبنانية، (بيروت - 1970م)
- شعيرة، د. محمد عبد الهادي:
- 239- من تاريخ التحصينات العربية (من المؤتمر الرابع للآثار العربية)، طبعة جامعة الدول العربية، (د.م-1963م).
- شلبي، أحمد:
- 240- تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية (د.م-1979م)
- الشيال، جمال الدين:
- 241- مجموعة الوثائق الفاطمية وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة - 2002م) .
- شيما، ميشال:
- 242- لبنان في شخصيته وحضوره، (بيروت - 1927م).
- الصالحي، محمد بن عيسى بن كنان الدمشقي (ت1152هـ/1740م):
- 243- المواكب الاسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق حكمت اسماعيل، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق - 1993م)
- الصدر، حسن:
- 244- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام، دار الكتب العراقية، (الكاظمية - 1370هـ/1951م).
- الصلابي، علي محمد:
- 245- دولة السلاجقة وبروز مشروع اسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، ط1، مؤسسة اقرأ، (القاهرة-2006م).
- الصياد، محمد محمود:
- 246- معالم جغرافية الوطن العربي، (بيروت - 1972م).

- 247- ضحى الاسلام، ط5، دار الكتاب العربي، (بيروت - د.ت).
- ضاحي، فاضل جابر:
- 248- محاضرات في منهج البحث العلمي، ط6، (دمشق-2016م).
- الطباطبائي، السيد محمد حسين:
- 249- الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (قم - د.ت) .
- الطريحي، فخر الدين محمد علي بن احمد بن علي (ت1085هـ/1675م):
- 250- مجمع البحرين، ط2، مرتضوي، (طهران-1362ش) .
- طقوش، محمد سهيل:
- 251- تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ط3، دار النفائس، (بيروت - 2009م).
- الطنطاوي، علي:
- 252- دمشق صور من جمالها وعبر من نضالها، دار المنارة، (جدة - 1443هـ/2023م).
- الطهراني، آغا برزك:
- 253- الذريعة الى تصانيف الشيعة، دار الاضواء، (بيروت - 1983م).
- الطويل، توفيق:
- 254- العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبي، ط1، دار النهضة العربية، (د.م - 1968م).
- عاشور، سعيد عبد الفتاح:
- 255- تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط2، دار النهضة العربية، (بيروت - 2003م) .
- 256- الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، ط2، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة - 1971م) .
- عثمان، هاشم:
- 257- تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام الشمالي، مؤسسة الاعلامي للمطبوعات، (بيروت - 1994م).

- 258- مشاهد ومزارات ال البيت (ع) في الشام، ط1، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت - 1414هـ/1994م).
- عزمي بك افندي:
- 259- ولاية بيروت، مباحث علمية وأدبية، مطبعة الولاية، (بيروت - 1336هـ).
- عطية الله، أحمد:
- 260- القاموس الإسلامي، ط1، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة - ١٩٦٣ م)
- علي، محمد كرد:
- 261- خطط الشام ، مطبعة المفيد ، (دمشق - 1928م).
- العميرة، محمد عبد الله سالم:
- 262- الجيش الفاطمي (297-567هـ / 909-1171م)، ط1، دار كنوز المعرفة العلمية، (الأردن - 2010م).
- عمران، محمود سعيد:
- 263- تاريخ الحروب الصليبية ، دار المعرفة الجامعية ، (مصر - 2000م).
- عمر، أحمد مختار وجماعة:
- 264- المعجم العربي الاساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (تونس - 1988م)
- ابو العينين ، حسن سيد احمد:
- 265- دراسات في جغرافية لبنان ، دار النهضة العربية ، (بيروت - 1980م).
- فريحة، انيس:
- 266- اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها ، منشورات كلية العلوم والآداب في الجامعة الامريكية في بيروت، (بيروت - 1956م).
- فهد، بدري محمد:
- 267- العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ، مطبعة الارشاد، (بغداد - 1387هـ/1967م).
- ال الفقيه، الشيخ محمد جواد:

- 268- سلسلة الاركان الاربعة ،ابو ذر رمز اليقظة في الضمير الانساني، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت - 1410هـ/1990م).
- الفياض، عبد الله:
- 269- تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة، دار المتنبي للطباعة والنشر، (د.م-1978م).
- الفيومي، محمد إبراهيم (ت ١٤٢٧هـ):
- 270- تاريخ الفكر الديني الجاهلي ،ط4، دار الفكر العربي، (د.م-١٤١٥هـ/١٩٩٤م)
- قلعجي، محمد رواس:
- 271- معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م-١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م).
- القنّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن:
- 272- اجد العلوم، ط1، دار ابن حزم، (د.م- ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م).
- الكاظمي، فيصل:
- 273- الحوزات الشيعية المعاصرة، ط1، دار المحجة البيضاء، (بيروت - 2011).
- كحالة، عمر:
- 274- معجم المؤلفين، دار احياء التراث العربي، (بيروت - د.ت).
- ماجد، عبد المنعم :
- 275- تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، ط7، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة - 1996م).
- 276- الحاكم بأمر الله الفاطمي الخليفة المفترى عليه، ط2، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة - 1982م).
- 277- ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر التاريخ السياسي، ط4، دار الفكر العربي، (القاهرة - 1994م).
- 277- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ط3، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة - 1978م).
- المازندراني، محمد بن إسماعيل:
- 278- منتهى المقال في أحوال الرجال، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ط1، (قم - 1416هـ).

- مجموعة مؤلفين، د خليل إبراهيم السامرائي - د عبد الواحد ذنون طه - د ناطق صالح مصلوب:
- 279- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دارالكتاب الجديد المتحدة، (بيروت - ٢٠٠٠ م).
- محمد، احمد رمضان احمد:
- 280- المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، مؤسسة روزليون، (د.م - 1977م).
- محمود، الدكتور حسن أحمد والدكتور أحمد إبراهيم الشريف:
- 281- العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط ٣، دار الفكر العربي، (د.م-١٩٧٧ م).
- المروج، جعفر الجزائري (ت1377هـ):
- 283- هدى الطالب إلى شرح المكاسب، ط2، انتشارات دار المجتبى (ع)، (قم-1383ش) .
- مفرج، طوني:
- 284- موسوعة قرى ومدن لبنان، دار نوبليس، (د.م - د.ت)
- مقبل، فهمي:
- 285- الفاطميون والصليبيون، (بيروت - 1980م).
- مكى، محمد علي:
- 286- لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني، ط4، دار النهار للنشر، (د.م- د.ت) .
- المهاجر، جعفر:
- 287- أعلام الشيعة، ط1، دار المؤرخ العربي، (بيروت - 2010)
- المناوي، عبد الرؤوف:
- 288- التوقيف على مهمات التعاريف تحقيق: د عبد الحميد صالح حمدان، ط1، عالم الكتب، (القاهرة - 1410هـ/١٩٩٠ م).
- المناوي ، محمد حمدي:
- 289- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، (مصر -1970م).
- نسيم، يوسف جوزيف:
- 290- تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية- 1984م).

- 291- العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الاولى، (القاهرة-1962م).
- نوار ، صلاح الدين محمد:
- 292- العدوان الصليبي على العالم الاسلامي، ط1، دار الدعوة، (الاسكندرية- 1914م).
- النوري، حسين:
- 293- خاتمة المستدرك، تحقيق ونشر: مؤسسة أهل آل البيت (ع)، (قم-1415هـ) .
- وديع، ابو فاضل:
- 294- دليل لبنان، (القاهرة- 1909م).
- وهبه، مجدي، المهندس كامل:
- 295- معجم مصطلحات اللغة والادب، ط2، مكتبة لبنان، (بيروت-1984م).
- اليسوعي، مارتن:
- 296- تاريخ لبنان، (بيروت - 1959م).
- يني، جرجي افندي.:
- 297- تاريخ سوريا ، تقديم هارون عيسى الخوري ، دار لحد خاطر، (بيروت - 1886م).
- اليوزبكي، توفيق سلطان:
- 298- دراسات في النظم العربية الاسلامية ، ط2، (الموصل - د.ت).
- 2- المراجع العربية:
- آن اشتون، سالي:
- 299- كيلوباترا ملكة مصر، ترجمة: زينب عاطف، مراجعة نفين عبدالرؤوف، مؤسسة هنداي. (دم-د.ت)
- باركر، آرنست:
- 300- الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني، ط2، دار النهضة العربية،(بيروت - 1967م).
- بروكلمان، كارل:
- 301- تاريخ الشعوب الاسلامية نقله الى العربية: نبيه أمين فارس، ومنيرالعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت-1968م).

- ج كوننتو:
 - 302- الحضارة الفينيقية، ترجمة د محمد عبدالهادي شعيرة، (القاهرة-1948م).
 - جولد تسيهر، اجناس:
 - 303- العقيدة والشريعة في الاسلام تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الاسلامي، نقله، محمد يوسف موسى، علي حسين، (د.م- د.ت)
 - جلانفيل، داوني:
 - 304- أنطاكية القديمة، ترجمة، د إبراهيم نصحي، (القاهرة-1967م).
 - حتي، فيليب:
 - 305- تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد، (بيروت-1958م).
 - 306- تاريخ لبنان، ط3، دار الثقافة، (بيروت - 1972م).
 - رنسيما ، ستيفن:
 - 307- تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، (بيروت- د.ت).
 - زامباور ، ادوارد فون:
 - 308- معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ،ترجمة زكي محمد حسن بك وآخرون ، دار الرائد العربي،(بيروت -1980م).
 - الشارتري، فوشيه:
 - 309- تاريخ الحملة الى بيت المقدس ،ترجمة قاسم عبده قاسم، ط1، دار الشروق، (القاهرة-2001م).
 - متز، آدم:
 - 310- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة د.عبد الهادي أبو ريده، (القاهرة - 1941م).
 - مؤلف مجهول :
 - 311- اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، دار الفكر العربي، (د.م-1958م).
- 3- المراجع الاجنبية:

- 312- Konde, Bruce, Tripoli of Kabanon, (Lebanon: Beirut, 1967) .
- 313-George, F.Hill,Catalogue of the Greek Coins of Phoenitia(England ,London).
- 314-Richard, Jean ,La Conte de Tripoli Sons la Dynastie Toulousaine (France: Paris, 1945).
- 315- Cahen, Clade ,La Syrie Norde L'Epoque des Croisades (France: Paris).
- 316-Vicinity of Tripoli A.D.1253-13urchard of Mountsion 11.18-23- J.C.M-Burchard of Mount Sion-Lauregrinators medu aevi quatuor-Leipzig 1864.(J.P.Brown-The Lebanon and Phoenicia-V.I.Beirouth 1969)
- 317- John, Gulick, Tripoli: A Modern City (U.S.A: Harvard Univ.Press).
- 318- Heyde, Historie du Levant (Leipzig: Germany).
- 319- Woodhouse, F.C.,The Military Religious Order of the Middle Ages (Englans: London) .
- 320- Staney, Lene -Poole.A History of Egypt in the Middle Ages.
- 321- James, Harry Robinson:An Introduction to the History of Western Europe(U.S.A: Boston. (

4- الرسائل والاطاريح الجامعية:

- الحدراوي، وسيم عبود عطية :
- 322- الحاكم بأمر الله (386-411هـ / 996-1020م) دراسة في سياسته الداخلية والخارجية ،رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الاداب ، (جامعة الكوفة - 2004م) .
- آل طعمة، حسين كاظم حسون القطب:
- 323- اماره طرابلس الصليبية (502-688هـ / 1109-1288م) ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى مجلس كلية التربية -ابن رشد ،(جامعة بغداد -2004م) .
- حاج عمر، علاء احمد:

324- المسلمون الشيعة في طرابلس حقبة بني عمار انموذجاً، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية في لبنان، كلية الدراسات الاسلامية (لبنان-2023م).

5- الأبحاث:

- الامين، حسن :
- 325- دولة بنو عمار في طرابلس ، بحث منشور في مجلة المنهاج ، العدد الاول ،(1996م).
- بك، خليل مردم:
- 326-ابن الخياط، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العربي، مجلد33، (1958م).
- البنا، محمد:
- 327- ندوة لواء الاسلام "اصل الاحتفال بالمولد النبوي وتاريخه" مجلة لواء الاسلام العدد السابع للسنة السابعة،(القاهرة- 1953م).
- علي، محمد كرد:
- 328- بحث انتقادي في مختصر تاريخ سوريا ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلد 2، العدد الاول ،(1922م).
- سلمان، علي داود:
- 329-الحسبة في الطب والجراحة عند العرب، بحث منشور ضمن كتاب دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب ، ط1، مطبعة العمال المركزية -وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - مركز إحياء التراث العربي - جامعة بغداد،(بغداد - العراق - 1407 هـ/1987م).
- الكريواني، الشيخ خليل:
- 330- دراسة في منهج كتاب المذهب، مجلة فقه أهل البيت، العدد 56، لسنة 1430 هـ .
- متروك ،عادل محمد:
- 331- الحياة العلمية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة، جامعة صلاح الدين، التربية الاساسية
- نوح، سري عمران:
- 332- امارة بني عمار في طرابلس(462-502هـ) دراسة الاوضاع الاقتصادية والعمرانية وسقوطها، بحث منشور في مجلة الباحث-المجلد الثالث والاربعون، العدد الثالث،(2024م) .

Conclusion

The Studies relating to Arab families occupy a prominent place within the scope of historical research in general, and within the history of Islam in particular. Many Arab families contributed to bringing about fundamental changes in the course of Islamic history. The Banu Ammar family is among those families that played a prominent political, military, and cultural role during the eras of Islamic history. Therefore, this study entitled (The General Conditions of the Amari State in Tripoli 462-502 AH) was chosen, which came to explain the conditions of the Amarna state in Tripoli during the period between 462-502 AH is one of the prominent historical topics that sheds light on a crucial period in the history of the Levant. It was distinguished that this period was marked by widespread political transformations and rapid cultural interactions, witnessing a decline in the influence of the central caliphate, both Abbasid and Fatimid, and the emergence of independent local entities, most notably the Banu Ammar Emirate in Tripoli. Prior to the rise of the Amarna state, so the city of Tripoli was under the control of the Fatimid state, which ruled large parts of the Levant. As its administrative grip weakened and internal conflicts erupted, the Bani Ammar family emerged as a local power that, thanks to its political wisdom and administrative capabilities, was able to establish a semi-independent entity, therefore these rulers exploited Tripoli's strategic location on the eastern coast of the Mediterranean to transform it into a thriving economic and cultural center. From its inception, the Ottoman state adopted a flexible policy based on achieving a balance between the major powers of the time, especially with Fatimids and Seljuks, and this allowed policy by preserving the state's independence and avoiding direct confrontations with this is amazing regional powers, which contributed to prolonging

the life of the state and preserving stability, the relative that was reflected in various aspects of life economically which in turn Tripoli witnessed a prosperous era under the rule of the Banu Ammar, transforming into an important trading center in the eastern Mediterranean .Boost maritime activity and trade with Other regions resources no matter what for the country, local industries flourished, most notably the paper industry, which played a significant role .begins the flourishing of the scientific and cultural movement within the city Tripoli, And in turn, he performed this economic recovery to effect a positively impacting the standard of living and stimulating activity within the Tripoli community. At the urban level one of the most important findings of the study is that the Bani Ammar are of Arab origin and that they embraced the twelver Shiite Imamite sect. This affiliation left a clear mark on the political, social, and cultural life of Tripoli during his reign. This has played family a prominent role in the levant although some question the lineage of the Bani Ammar, suggesting they are of Berber origin from the Kutama tribe, the prevailing evidence points to their Arab affiliation. Their connection to the Kutama tribes is explained by the latter's desire for regional dominance, seeing the Bani Ammar as a means to achieve this ambition. It was for the Bani Ammar played a prominent and influential role on both the political and military levels, in addition to their jihadist efforts in confronting the Crusader invasion. They were at the forefront of the Arab-Islamic resistance, standing firm against the expansion of this invasion, which failed to break their unwavering resolve. Despite the fall of many Muslim cities to the Crusaders, the Banu Ammar successfully maintained the resistance in Tripoli for ten years. Under their rule, Tripoli became a symbol of steadfastness and defiance against the Crusader invasion, thanks to the efforts of its leaders and their determination to confront this threat. The Banu Ammar also achieved on the cultural front,

they played a leading role in promoting the scientific movement, bringing together a large number of scholars from various disciplines, making Tripoli a major destination for students of knowledge who came to it from all over the world. The Banu Ammar established the House of Knowledge in Tripoli, which became renowned for its wealth of precious and rare books. Thanks to this, Tripoli transformed into a prestigious center of learning, rivaling the major Islamic cities of the time.

The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Wasit – College of Education for Human Sciences

Department of History



General conditions of the Amari state in Tripoli (462–502 AH)

A Thesis is submitted **to** the Council of the College of
Education for Humanities, as partial requirements for fulfillment
a Master's degree in Islamic History

by

Jabbar Faraj Lazem Al-Atabi

Supervisor

Professor Dr. Mohammed Hussein Ali Al-Suwaiti

2026 ad

1447 ah